عطية عبد الله عطية

عين كارم

الحقيقة والحلم

دراسات وخواطر

عطية عبد الله عطية

عين كارم

الحقيقة والحلم

دراسات وخواطر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م

٩ع٥,٣٢٢١
عطـ عطية عبد الله عطية
عين كارم الحقيقة والحلم/ عطية عبد الله عطية ـ.
عمّان: (د. ن)، ١٩٩١.
(٢٨٠) ص.
ر. أ(١٩٩١/٧/٣٣٠).
١. عين كارم ـ تاريخ أ. العنوان.
(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية ومركز الوثائق
(١٩٩١/٧/٣٣٠)

الإهـــداء. . . .

إلى ولدي،
الذي لم تكتحل عيناه بسماء وطنه، ولم يستنشق بعد عليل هوائه، ولم تتطهر قدماه بقدس ترابه.

إلى ولدي،
الذي لم يعرف إن له وطناً، إلا من خلال ذكريات أبيه وجده، ومن خلال ما يسمع وما يقرأ، ومن خلال ما يحس وما يتألم.

أقول لك يا ولدي،
إن لك وطناً، عزيزاً وجميلاً، هو من السماء زرقتها، ومن الأرض أديمها، هو من الدنيا زينتها وحلاوتها، ومن الأخرة جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

هو من القلب سويداؤه، ومن النفس شفافيتها، ومن العقل وعيه وإدراكه، ومن الروح خفتها ودعابتها، وهو على اللسان كلمات حق صاخبة ومشبوبة، وهو عند الله في ء من ظلال عرشه العظيم.

وطنك يا ولدي هو من الحقائق أدقها، ومن الأحلام أجملها، هو من الأرض التي بارك الله حولها، وجعل فيها الجهاد ماضياً إلى يوم القيامة.

هذه «عين كارم» مسقط رأس أبيك وجدك وجد كل الأجداد من قبلك، فإليها ستعود وسيعود أولادك وأولاد أولادك وكل الأولاد والأحفاد من بعدك إن شاء الله.

هذه «عين كارم ـ الحقيقة والحلم»،
فإليك يا ولدي، وإلى كل الأولاد من بني وطنك وأمتك. . .
أهدي هذه الدراسة المتواضعة، والخواطر العابرة والعابقة.

للذكـــرى. . . والتاريـــخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر

يطيب لي في بداية ملتقانا الرحب هذا:

أن اتقـدم بوافر شكري وصدق امتناني، إلى كل من ساهم معي في تحقيق فكرة (عين كارم... الحقيقـة والحلم) سواء أكـان ذلـك بالكلمـة الـطيبـة والمفيدة، أو بالفكرة الرائدة واللطيفة، أو بالومضة المشرقة والظريفة، من ذكريات خاصة، وشاملة، ومن خواطر ممتعة عابقة وعابرة.

وإلى كل من شجعني على استثارة ما في النفس من كوامن، وما في الصدر من لواعج وعلى ما في المشـاعـر من مزايا ومعطيات، فدفع بي إلى خوض ميدان هذه الدراسـة (المتواضعة) المضنية، ودفعني للغـوص في أعمـاق خواطر صاخبة وصارخة، واختراق خفاياها وأسرارها، وللفوز ـ في النهاية ـ بثمارها اليانعة، والاستئثار بلآلئها، ومرجانها وبكل حجارتها الكريمة.

وإلى كل من زين لي فائدة المتابعة والملاحقة، ومتعة الإصرار والثبات لاستجلاء كل أمر، صغيراً كان أم كبيراً، واستيضاح الرؤية عند كل موقف، ضاق أم اتـسع.

وإلى كل من أصغى إليّ، وأصغيت باهتمام إليه، واستمعت وإياه إلى نداء الحق والوطن والضمير، وتحملت معه مشاق استحضار المجهول، وعانيت وإياه مرارة التحدث إلى الماضي الـذي لا يعـود، الماضي الذي لا وجود له إلا في الأذهان، في الحواس، في الأحلام وفي الطموحات، في محاولة لتعديل وضع حاضر متردد، ومـستقبل ملاحق مطارد لا يعلم غير الله ما يكمن فيه وما يخفي له.

وإني لأخص بالشكر اولئك الذين يكبرونني ـ سناً وقدراً ـ الذين لم يبخلوا عليّ بالنصيحة الأمينة والسديدة، وبالرأي النافذ والواعد، وبالقول الحسن، وبالتوجيه السليم عن رضا وطيب خاطر.

وإني لأكبّر ـ في النهاية ـ جهاد المجاهدين وجد المجدين وإخلاص العاملين ـ المعلومين منهم والمجهولين ـ إن هؤلاء جميعاً سيظلون في ضمير الأهل والوطن ماثلين، وإنهم عند ربهم أحياء يرزقون.

لهم ـ جميعاً ـ في نفوسنا مكانة أيما مكانة، وفي قلوبنا مقام أيما مقام فإنا لهم لشاكرون، ولجميلهم لمعترفون، وعلى حبهم إنا باقون، وعلى عهدهم قائمون، وعلى دربهم لسائرون.

. . . . ولله الشكر من قبل ومن بعد،

عطية عبد الله عطية

مدخـــل :ـ

. . . . ولعلها الذكرى

تعود بي، وما أكثر ما تعود، وما أسرع ما تعود.

إلى أربعين سنة ويزيد، إلى تلك الأيام الحالكة السواد، الليالي الموحشة في الظلمة إلى سنوات عجاف، سنوات القهر والظلم، سنوات الذل والتشريد، إلى سنوات الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، سنوات إزهاق الحق وإحقاق الباطل.

لم يكن ذلك في الأساطير، أو في الخرافات والحزازير، أو في بلاد ما تحت السموات وما فوق الأرض، كان ذلك في عصر ما يسمى بعصر النور، في منتصف القرن العشرين، على بعد أربعة عشر قرناً هجرية من مولد النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظهور الإسلام بنوره وعدله وفتوحاته التي حررت المشارق والمغارب من نير العبودية والظلم وقتل الإنسان لأخيه الإنسان. . . .

كان ذلك في الأرض التي بارك الله حولها، وعلى الشعب الذي تمتد أصوله إلى أكرم أمة هي خيرة بني الإنسان مروراً بالقادة الفاتحين، بالمؤمنين المسلمين الذين عمروا هذه الأرض وحموها من كل جبار عنيد. . .

إنها أرض فلسطين،

وإنه الشعب الفلسطيني العربي المسلم،

لقد وقع الظلم عليهما أمام سمع هذا العالم المغبون وبصره، بإرادته وبصنع يديه وربما بغير ذلك، هذا الذي كان من أمرهما. . . وأمره. . .

والنتيجة واحدة. . . ظالم. . . ومظلوم. . .

وحاكم ومحكوم. . . ولكن في غياب الحق والعدل. . .

وفي ابتعادنا نحن، عن مخافة الله، ونقواه، وبفعل تحولنا عن صراط الله المستقيم.

* * *

ولعلها الذكرى تعود بي، وما أسرع ما تعود..

تعود إلى قريتي الجميلة عين كارم، مسقط رأسي، المكان الذي كان فيه مولدي وإليه انتمائي، وله على طول الزمان ولائي، وباسمه ينبض فؤادي، وذكره سيظل على طرف لساني ما حييت.

كان ذلك في منتصف عام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين...

حين أُخرجت مع من أُخرجوا من ديارهم وحين انتزعت مع من انتزعوا من أرضهم، من تاريخهم وحضارتهم، وحينما افتدت مع من اقتيدوا إلى مواقع الذلة والانهزامية إلى ديار الغربة والهجرة... بعد أن فقدنا كل وازع ديني ونزعة وطنية، وشعور قومي... وبعد أن جردنا من أبسط حقوقنا الإنسانية في الكرامة... والحياة.

ولا أقول هذا يأساً أو غضباً أو حمية، إنما أقول عن تجربة من خلال ما عانيت وما عانى شعبنا على مدى أربعين عاماً ـ وأربعين قبل ذلك ـ من قتل وتشريد، وظلم، وإذلال.. ومصاعب ومشاق لم يتعرض لها شعب من قبل.

فالهجمة الصهيونية والاستعمارية الصارخة، والمخطط لها، من كل جانب.. والمعد لها منذ زمن... وعن سابق إصرار كانت شديدة الوقع والتأثير، وسيئة النتائج على شعبنا الأصيل.

كنت حينها في الثامنة من عمري، أُخرجت من منزلي في عين كارم بصحبة أهلي وجدي وجدتي وأبي وأمي وأخوتي وأعمامي الأربعة وزوجاتهم وأبنائهم.. حيث كنّا جمعياً نعيش في بيت كبير واحد، في رعاية رب الأسرة الأكبر هو جدي، المائدة واحدة، والأيادي الممتدة إليها كثيرة، ولكن الأكثر دائماً، هي البركة.

لكننا ـ على كثرتنا ـ انتقلنا إلى مكان آخر، كبيرنا يحمل صغيرنا، وقوينا يجر ضعيفنا إلى بيت صغير لا يكاد يتسع إلى نصف عددنا، ولكنها الضرورة في أن ينام بعضنا ـ بينما ينتظر البعض الآخر وقتاً آخر للنوم، وفي ليال كثيرة حرم كبارنا نعمة النوم، وقد أسقطت بفعل ذلك اعتبارات كثيرة...

كنت أوسط أخوتي وأبناء عمومتي سناً.. مع ذلك فقد كنت قادراً على المشي بأدنى مشقة وأن أركض في الهواء بقدمين طريتين تسابقان الريح دونما استشعار بالتعب والألم.

غرر بنا منذ اللحظة الأولى، وقيل لنا إننا سنعود إلى المنزل بعد ثلاثة أيام نقضيها في أحد (كرومنا) غربي القرية ـ ولتعتبرها نزهة صيفية غير ممتعة! في منطقة مراح الهوا، ففعلنا ذلك...

وغرر بنا ثانية، فقيل لنا: علينا أن نتوجه إلى قرية (رأس أبو عمار) القريبة لبضع ليال أخر، ففعلنا..

وقيل لنا ثالثة: أن نعود من (رأس أبو عمار) إلى (المسكوبية) وفعلنا، وفي المرة الرابعة توجهنا حسب الأوامر إلى رأس التوتة (مسكرى) طرف عين كارم الجنوبي الشرقي.. ولما مللنا التطواف أُشير علينا أن نرحل إلى (كريمزان) ـ بعيداً عن القرية ـ وهو دير يقع على قمة جبل عال.. شرقي البلدة على الطريق إلى بيت جالا...

فاذعنّا للأمر.. وقبلنا الاستشارة.. وتفيئنا ظلال أشجار الكرمة والزيتون.. وشربنا من ماء الدير حتى ارتوينا.. وأكلنا من عنبه وتينه حتى شبعنا...

ولم يقف الأمر عند هذا الحد... فهذه المرة نُصحنا أن نرحل إلى بيت ساحور... إلى «دير السيُّر» شرقي بيت لحم وسمعنا إن إقامتنا لن تطول في الدير أكثر من أيام وربما أكثر من شهر أو شهرين حتى تنتهي الحرب...

ومررنا في طريقنا إلى بيت جالا وبيت لحم وقد أقللنا ـ نسوة وأطفالاً ـ سيارةً واحدةً نحن (وعفشنا) تاكسي أبي سليم السرياني السائق ذي الشاربين الطويلين، اللذين لم يعد يقف عليها صقر أو نسر... حتى ولا نحلة ولا ذبابة، بفعل ما مر من أحداث! في حين سبقنا ـ الرجال ـ مشياً على الأقدام.

وفي بيت ساحور طاب لنا الموقف والمقام، وانتظرنا هناك يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة دون أن يتحقق لنا الحلم في العودة إلى الوطن..

وبتنا مغررين بنا حتى ساعتنا تلك... إن ساعة عودتنا قريبة وقريبة، وإن الأمل في متناول الأيدي، ولكن لا بأس من المزيد للانتظار... ففي الأمر شيء من الصعوبة!! وسوء في الفهم!

غرر بنا أكثر من مرة... إننا سنعود بعد سبعة.. أهي سبعة أيام أم سبعة أسابيع أم سبع سنين... أم سبعون سنة! أم سبعمئة...!

ومن يدري إذا ما تحولت السبعة إلى سبعين.. والسبعون إلى سبعمئة... ولا يعلم الغيب إلا الله..

... ومن بيت ساحور وبعد إقامتنا فيها عشر سنوات، رحلنا إلى عمّان... أو قل رحل بعضنا إلى عمّان... فالعائلة الكبيرة أصبحت صغيرة.. والجد قد رحل إلى جوار ربه بعد أن أُصيب بشلل نصفي (الفالج) مدة خمس سنوات... ولحقت به جدتي بعد عام من وفاته..

فتركنا روحيهما وديعتين عند الله . . . وتركنا رفاتيهما في تراب بيت ساحور . . فلا زالت ـ بيت ساحور ـ وأهلها محلّ إجلال وتقدير واحترام كثير في نفسي .

. . . وتعود بي الذكرى . . . وما أسرع ما تعود . . . وما أكثر ما تعود . .

ولكني أقف عند ذكرى واحدة . . تحديداً للحديث حتى لا تضل الجادة في بداية البدايات . . . ذكرى قطي الأشقر الذي كنت في صغري أحبه وأرعاه . . أطعمه وأسقيه . . وأقضي وإياه وقتاً طويلاً . . (نتمازح . . ونتلاعب) . . لقد استأثرت به ، وحملت عن أمه (مهمة تربيته) فكان محظوظاً بهذه التربية . . . بفضل ما كنت أحضر له من (شحم ولحم) وعظام من (ملحمة) أبي يعقوب (اسماعيل يعقوب) الذي شاءت الأقدار أن يصبح أحفاده أخوال أولادي ! .

كان آخر وجه رأيته ـ في عين كارم ـ هو وجه قطي الأشقر ،

وآخر نداء سمعته كان نداء قطي الأشقر !

وآخر كلمات وقعت على مسامعي كانت كلمات قطي الأبكم !

. . . كانت كلمة غير منطوقة . .

كانت مواءة حزينة . . ما زالت ترن في أذني ، تداعب طنوني وحواسي وشوارد أفكاري . . حتى لحظتي هذه . .

وآخر عينين رمقتهما هما عينا قطي الخضراوين المشعتين اللامعتين !

لحق بي قطي الأشقر مسافة طويلة قطع خلالها الأزقة الضيقة والطرقات الملتوية ، لحق بي وهو يستحثني على البقاء ، على التشبث بالأرض ، على المقاومة والاستبسال والوقوف في وجه العدو ، ولكن لا سبيل إلى ذلك . .

ذهب مواء القط هدراً ، وصياحه ودموعه ، عيناه الخضراوان . . ومخالبه الحادة ، وأطرافه تسابق الأرض والزمن معاً . . تقول لي توقف . . لا ترحل . . لا تذهب ، لا تتركني وحيداً . . ولكن . . لا سبيل إلى ذلك . .

كان القط ينادي ، ومواءه يملأ السهل والوعر . . ولكن ليس لي أذن تسمع . . وعقل يعي ويدرك .

فالمصيبة أكبر من أن تحتمل ، والأهل أضعف من أن يدافعوا عن أرضهم . . والقضية التي دفعنا إلى حومتها أسمى من أن يصل عقم تفكيرنا إلى حلها . .

. . . ورحلنا إلى ، مراح الهوى ، والمسكوبية ، ورأس أبو عمار ، ومسكرى ، وكريمزان وبيت جالا . . . وبيت ساحور . .

. . . وفي عام ١٩٦٠ . . .

انتهى بنا المطاف إلى عمّان العاصمة التي راق لنا اللقاء بها وطاب لنا فيها المقام !

وكان القط أكبر منا حباً لوطنه وأشد ولاء لمسقط رأسه . . لقد انتزعت قدماه في الأرض بينما اقتلعت منا الأقدام وتقطعت الجذور والأغصان ! وكان الرابح . . . وكنا الخاسرين . .

لا أخفي ، إني أحس بالذنب كلما عاودتني تلك الذكرى ، وأشعر بالخيبة والخجل وأنا استشعر ذلك الموقف الأخير من قطي العزيز .

على الرغم من أنني كنت صغيراً لا أدرك أبعاد مواء القط ، ولم أكن بحكم السنوات الثماني التي كانت محمولة على كتفي الفض .

إلا أنني ربما أكون قد أدركت شيئاً ما . . .

أدركت أن صوت الوطن قد لا يكون ـ بالضرورة صوت إنسان ، صوت مواطن صالح محب ، أو صوت بندقية يخترق كل الموانع والحواجز من صدور البغاة والغزاة والظالمين . . .

قد يكون صوت الوطن في جلجلة صاروخ من صواريخ الحق يحول المادة القاهرة إلى عدم أبدي ، صوت الوطن قد أسمعه في قذيفة مدفع ، وأزيز رصاصة .

صوت الوطن قد أسمعه في ترنيمة أم لطفلها ، وأسمعه في بكاء طفل يستدر حنان أمه ، وعطف أبيه .

أسمع صوت الوطن في كل شيء . . في حفيف الأشجار ، وفي خرير المياه . . في هدير العاصفة وفي هدأتها .

وأسمعه . . . في نباح كلب يحرس الأرض وما عليها من حرث ونسل . . . وأسمعه كما سمعته ، في مواء قط حزين . . . تركه صاحبه . . ورحل . . . كما فعلنا نحن بقطنا . . .

وأهم من كل شيء وأجمل وأرقى من كل شيء سماع صوت الوطن عندما يرفع إلى عنان السماء النداء الإلهي المقدس الذي تنزل علينا من فوق سبع سموات . . .

أدركت أن عدونا أشر ، وهو كالاخطبوط ذو ذيول كثيرة متشابكة ، وأطرافه ممتدة مترامية ، وهو موغل في الغدر والخديعة منذ فجر التاريخ .

وأدركت أن لنا عدواً يحاربنا بكل ما يملك من قوة ، وبكل ما يملك من وسائل الدس والغدر والخديعة ، ويحاربنا على جميع الصعد ، دينية وقومية ووطنية وإقليمية .

يحاربنا في تاريخنا وتراثنا الشعبي ، وفي زينا وأغانينا ، وفي حكاياتنا وأساطيرنا ، في حقائقنا وأحلامنا .

إن اللغة التي يفهمها العدو هي لغة التحدي والمواجهة، وحتى نكون على مستوى ذاك الفهم يجب أن نصبر ونتحدى ونواجهه بإيمان وقوة ولا بد وأن يكون لنا النصر في النهاية لأن وعد الله حق وهو منجز ما وعد وهو الغالب على أمره.

وختاماً

﴿وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا﴾ صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المؤلف

عمّان محرم ١٤١٢هـ

تموز ١٩٩٠م

الفصـــل الأول

إضـاءات

الكتابة الجادة، والأعمال الأدبية الرائدة، ليس الإبداع فيها من الأمور السهلة، بخاصة عندما لا تكتمل عناصر تلك الأعمال وهي، الرسالة. إذ المضمون ومدى السمو والارتقاء بهما، والبناء العام الذي يفترض أن يكون قوياً ومنيعاً، والإسلوب أو طريقة الأداء، ومدى ما يتصفان به من الرقة أو الجزالة، بالقدر الذي يستحوذ على مشاعر ونفسية ورضا المتلقي دونما صعوبة أو ثمة تعقيد.

وكل هذه الأمور لا تأتي هكذا عبثاً، أو تأتي عن طريق الصدفة، إن هذه الأمور لا تتم إلا ببذل المزيد من الجهد والتعب والعرق وحرق الأعصاب!

إن الكيان الإنساني ككل، بصراً، وبصيرة، مشاعر وأحاسيس، روحاً، ودماً، هو الذي يصنع العمل المبدع وبالتالي فهماً قد يصبحان، «الكيان الإنساني للكاتب، والكيان الأدبي لهذه الأعمال» كياناً واحداً، قوة ومنعة واستمرارية، كياناً معبراً... صدقاً وإخلاصاً.

وفي عملي هذا، أحاول قصارى جهدي أن تتكامل تلك «الوحدة المنشودة بيني وبين عين كارم/ الحقيقة والحلم»، وإذا ما تم لي ذلك، فأنني أكون قد أديت الأمانة، وبلغت الرسالة، التي حملتها في أعماق قلبي وعلى سنان قلمي منذ سنين طويلة أملاً في أن أشعر أنني قدمت شيئاً متواضعاً لوطني ولقضيتي، ولقريتي الجميلة عين كارم.

وقد يظن البعض أنني أكتب عن «عين كارم» بصفتي «عكرماوياً» والتوضيح أكتب عن هذه القرية الجميلة، لأنها قطعة من الوطن العربي، من الأرض الفلسطينية التي سلبها عدو «تاريخي» متأصل، موغل في الحقد منذ القدم.

أكتب عنها بصفتي مسلماً، عربياً، فلسطينياً يرى من واجبه أن يذكّر كل من لديه امكانيات العمل ليقدمها في سبيل تحرير هذه القطعة الجميلة الغالية من براثن المعتدين.

وحتى لا نكـون (مادة الكتابة) عن عين كارم جافة وضيقة ارتأيت أن أصبغ عليها لمسـات من نصاعة الحق، ونزاهة الموقف، وعدالة القضية ما يشرح صدر القارىء، ويرطب خاطر المتلقي، وتمنحه شفافية في الأحاسيس والمشاعر.

معتبراً أن عين كارم والقدس، ونابلس، وحيفا ويافا وكافة المدن والخرب والزقائق والأطلال في فلسطين، هي في المحبة والرضا عندي سواء بسواء.

وحتى لا تأخذني «الحمية» وتقوى عليَّ «ملكة الكتابة» أرى أن لا بد من التوقف وبهدوء أكثر وبتركيز أكثر لأتناول الموضوع من خلال عوامل رئيسة أربعة وهي:

١ـ العامل التاريخي والتراثي / الأنثروبولجي.
٢ـ العامل النفسي / السيكولجي.
٣ـ العامل الاجتماعي / السيسولوجي.
٤ـ عامل تكوين الشخصية.

وهذه العوامل ستكون لي العون مجتمعة أو منفردة في إضاءة الدرب لكشف ظلم الظلام، وكشف سريرة الغزاة الطامعين الذين تمتلىء قلوبهم حقداً وكراهية على كل صاحب حق في كل زمان ومكان.

وستكون هناك إضاءات تشع بين الفينة والأخرى فتظهر لنا في كل مرة ما لم يظهر من قبل.

وهذه الإضاءات هي:

١ـ الجذور.
٢ـ الأنساب.
٣ـ الانتماء.
٤ـ الاغتراب.
٥ـ الأيدلوجية الصهيونية.
٦ـ الحنين إلى الوطن.

الاضـــاءة الأولـــى:ـ

الجذور:ـ

شجرتنا باسقة، وشامخة، ذات جذور متينة وممتدة،

ممتدة الجذور إلى أعماق الأرض إلى ما لا نهاية،

شجرة شماء أبية، أغصانها متسامية، متعالية متشابكة، تطاول وبكبرياء عنان السماء، تجوب ـ وبحرية ـ ردهات الأفق، ردهة بعد ردهة، لا توقفها لطمة ريح أو ضربة إعصار.

شجرتنا عالية، ذات قطوف دانية، وأغصان متدلية، ذات أوراق مخضرّة دوماً وصاحبة أزكي وأطيب ما أنعم الله بها علينا من ثمار.

شجرتنا هذه، لن تقتلع أبداً، والتربة من حولها لن تجف ولن تتناثر، ومعينها لن ينضب، والأرض التي تنتصب عليها ستظل أرضاً عزيزة وغالية ومباركة، مهما ادلهمت الخطوب، وتكالبت عليها الأزمان، وضاقت في وجهها سبل الحياة.

هذه الشجرة التي وجدت طريقها إلى الحياة من خلال ذرات تراب مقدس، وفي أحضان النسائم العليلة والهواء الطلق والاجواء الواسمة الهادئة.

هذه الشجرة هي نحن...

نحن ابناء هذا الوطن... الوطن الذي يتعرض اليوم ـ وكل يوم ـ لأنكى وأشد هجمة استيطانية همجية عنصرية صهيونية، أعد لها الأعداء من كل صوب، وعجز عن ردها معنا الأصدقاء.

قد يكون الأمر موقفاً اختيارياً، أو موقفاً اضطرارياً، وقد يكون الموقف ضعفاً إرادياً أو ضعفاً غير إرادي...! ولكن الضعف ليس أمراً إرادياً على الاطلاق!

لسنا في مجال الفصل بين هذه الحالات وتلك، إذ لا فائدة من ذلك كله. إننا نعيش ذلك الواقع المترتب على النتائج الأخيرة لهذه التناقضات..

بيد إن الأمر ليس جديداً علينا نحن ابناء هذا الوطن فمنذ أكثر من أربع آلاف سنة ونحن

معتادون على مثل هذه الأوضاع ومتطبعون على التعامل مع تلك المتناقضات الشاذة التي هي في الغالب ليست من صنع أيدينا، وإن كنّا في الحقيقة لا نبرىء أنفسنا من بعض المسؤولية، لكنها أقدارنا اننا كنا دائماً مظلومين ومقهورين ومطاردين من قبل أعداء العدالة على مر الزمن، ولا يتأتى ذلك إلا في بعدنا عن عقيدتنا التي لا تعقد بها إلا كل راية بيضاء.

مع ذلك فليس هنالك ضير في أن نفتخر بأننا أصحاب هذه الأرض، تاريخاً وحضارةً وتراثاً، وتراباً، وحجارة، ودماء وسماء وهواء وأنها لنا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إن فلسطين في ميزان العدل الإلهي، أرض إسلامية، عربية، فلسطينية إلى يوم الدين.

وإن الدعوات الحديثة التي تنطلق من هنا وهناك للسعي وراء «السلام المشرف» و«العدل المشرف» والحل المشرف، والمطالبة بتطبيق قرارات الأمم المتحدة التي لم تصدر قراراً واحداً لمصلحتنا، ولقوة حقنا، ولرجوعنا إلى ديارنا كقرارات ١٨١، ٢٤٢، ٣٣٨، إنها مجموعة من كلمات بلهاء غبية لا تغني من الأمر شيئاً لأن الأرض لن يكون لها في ضمير الإنسان المحروم المتألم بديل، حتى «السلام» الذي يرجى وينشد.

إنني في هذه «الإضاءة» سأسوق ما تجمّع لدي من كلمات، وأفكار ومن حقائق ثابتة، وأحلام شاردة، في سبيل أن أقدم شيئاً تتضح من خلاله، قوة حجتنا، وتثبت صدق موقفنا، ونصاعة حقنا منذ بدء التاريخ.

ويحار العقل في ترتيب الأولويات وتنسيق الأحداث والوقائع التاريخية التي تثبت حقيقة بعد حقيقة، وواقعة بعد واقعة، وحدثاً بعد حدث، أن الأرض، أرضنا منذ أن دب على ظهرها أول إنسان.

ويحار العقل في أمور كثيرة متشابكة معقدة، ويتوقف عند الكثير من الغرائب والعجائب في هذا... الزمان الرديء... ولابدأ...

ولكن من أين أبدأ وكيف؟

بما أنني لست بصدد كتابة تاريخ لفلسطين الموغل في القدم على عمق خمس آلاف سنة.

فلا أملك الحق وحدي، ولا أمتلك القدرة وقتاً وجهداً وأنا في مجال الحديث عن قرية صغيرة من قرى فلسطين التي هي بالنسبة لي كبيرة وكبيرة.

وأراني اتحدث بشمولية، وبمراجعة مختصرة موثقة من بعض ما يكتنز في ذهني من معلومات، أرغب في طرحها في سياق حديثنا عن عين كارم.

للتذكير بها حتى تظل محبة بلادنا في قلوبنا متجددة يوماً بعد يوم، على أمل أن تظل قضيتنا، حية متجددة أبد الدهر.

أبدأ بهجرة الكنعانيين[١] من الجزيرة العربية، منذ حوالي ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد، إلى فلسطين، الأرض المباركة، وحكموها قرابة ١٥٠٠ سنة، حتى عرفت باسم أرض كنعان، وهم الذين شكلوا أول دولة على أرضها وبنوا أكثر من مئتي قرية ومدينة منها يبوس «القدس» وبيت لحم والرامة وبافا والكرمل، وجبع وبئر السبع وحلحلول وعكا وغيرها.

ومنذ[٢] أكثر من ألفي سنة قبل الميلاد، منذ وصول سيدنا إبراهيم عليه السلام مدينة سالِيم[٣] أرض كنعان فوجد فيها أميرها ملكي صادق، ومعناه الملك البر العادل، الذي أعجب به سيدنا إبراهيم فسماه (رجل الله) وتقول التوارة، أن إبراهيم كان أول من عبر نهر الأردن في مجموعة من قومه إلى فلسطين، وسموا «بالعبرانيين».

وكان بعض هؤلاء (اللاجئين) قد سكنوا في إحدى مزارع الكنعانيين في أريحا، وحاولوا الاستيلاء على تلك المزارع، فكشف أمرهم وطردوا منها شر طردة.

وعندما دخل «الاسرائيليون» بقيادة يوشع في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد بلاد كنعان ووطئوا مدينة أريحا وأتوا من الأعمال البربرية ما تقشعر لهولها الأبدان ثم زحفوا إلى الغرب يدمرون مدن كنعان، ويربط بعض المؤرخين المحدثين أفعالهم تلك بما فعلوا بدير ياسين عام ١٩٤٨.

وما أشد ما كان بين العدوانين من ظلم وظلام، وغزاة ومجرمين إلى يومنا هذا!!

وفي عام ١١٨٤ ق. م[٤]، هاجرت جماعة من سكان جزر بحر أيجه، من جزيرة كريت إلى أرض كنعان عرفت باسم (الفلسطينيين) والفلسطينيون تعني باللغة اليونانية القديمة (المغتربين) حتى أصبحت تلك البلاد تعرف باسم فلسطين منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا، وإن كان الأصل الكنعاني هو الذي ساد عرق شعب هذه المنطقة «فلسطين».

ولما لهذه الأرض من أهمية من حيث الموقع الجغرافي والمركز التاريخي والديني فقد تعاقب عليها الغزاة، غازٍ بعد غازٍ، حقبة بعد حقبة، على مر مراحل التاريخ المختلفة.

وكانت الصهيونية هي آخر المراحل، وآخر الغزاة والتي شكلت مع التتار والصليبيين الثالوث المشؤوم الذي سيظل يثقل بكوابيسه على كاهل هذه الأمة إلى أن يكتب الله أمراً كان مفعولا.

وبهذه المناسبة، وعلى ضوء هذه الأحداث، فإن أمر اليهود لم يرتق إلى مستوى الحكم

والسيطرة إلا في زمن داود وسليمان عليهما السلام، وكان في أضيق الحدود زماناً ومكاناً.

ولم يطل لهم مقام في بلادنا، وقصة «يوسف» في القرآن الكريم تؤكد لنا صحة ما نزعم وما نقول.

وكسباً للوقت والجهد، ارتأيت أن أضع بين يدي القارىء الكريم جدولاً(*) يبين الدول والحكام والغزاة الذين توالوا السيطرة على فلسطين. قبل الفتح الإسلامي.

وبعد الفتح الإسلامي وبعد أن أصبحت فلسطين عربية إسلامية، مشيراً إلى الغزاة الذين حاولوا العودة إلى فلسطين بصور أخرى، وبوجوه اخرى... الذين لم يستطيعوا أن يبدلوا الوجه العربي الإسلامي لهذه الأرض المباركة.

وخلاصة ما يمكن استخلاصه من هذا الجدول ما يلي:

١ـ فلسطين أرض كنعانية، عربية، إسلامية، بحكم الحقائق التاريخية، وبسيادة العرق العربي، بحكم انطوائها تحت لواء الإسلام، وإن الادعاء بأنها أرض شعب الله المختار تلك المقولة السخيفة لهي وهم باطل، لأن اليهود أو (العبرانيين) عندما عبروا هذه الديار أول مرة بطريقة غير مشروعة، وجدوا فيها قوماً جبارين...

٢ـ إن الغزاة والظلام والقتلة والمحتلين... مهما طال مكوثهم في هذه البلاد فإنه قصير.. وإنهم لا محالة لمنهزمون... حيث إن للأرض أهلاً وأصحاباً، شرعيين، فلن يقر لهم في هذه الديار قرار!

٣ـ إن فلسطين أرض مباركة مقدسة، وإنها لا تقبل أي نجس أو دنس، وإن قدسيتها ومباركتها من الله جلت عليها (الشر وسقط الأشرار) من بني الإنسان وأوجد الله سبحانه وتعالى في المقابل قوة من الخير والحق والعدل لتظل في مواجهة مستمرة متواصلة مع هؤلاء الأشرار إلى يوم الدين... وهي قوة منصورة وغالبة بإذن الله...

الجهة المسيطرة	فترة الحكم ق.م	مدة الحكم (بالسنة)
ـ الدولة الكنعانية	٣٥٠٠ـ١٤٧٩ ق.م	٢٠٢١
ـ الفراعنة + الدولة الكنعانية	١٤٧٩ـ١١١٨ ق.م	٣٦١
ـ الدولة الكنعانية	١١١٨ـ١٠٠٤ ق.م	١١٤
ـ الفراعنة + مملكة داوود	١٠٠٤ـ٩٢٣ ق.م	٨١
ـ الفراعنة + مملكتا اسرائيل	٩٢٣ـ٨٥٣ ق.م	٧٠
ـ الفراعنة + مملكتا اسرائيل + الأشوريون	٨٥٣ـ٧٢٢ ق.م	١٣١
ـ الأشوريون + مملكة يهودا	٧٢٢ـ٥٨٦ ق.م	١٣٦
ـ البابليون	٥٨٦ـ٥٣٨ ق.م	٤٨
ـ الفرس	٥٣٨ـ٣٣١ ق.م	٢٠٧
ـ اليونان	٣٣١ـ٦٣ ق.م	٢٦٨
ـ الرومان	٦٣ ق.م ٣٩٥م	٤٥٨
ـ البيزنطيون	٣٩٥ـ٦١٤م	٢١٩
ـ الفرس	٦١٤ـ٦٢٧م	١٣
ـ البيزنطيون	٦٢٧ـ٦٣٦م	٩
ـ الخلافة العربية الإسلامية	٦٣٦ـ١٠٩٩م	٤٦٣
ـ الصليبيون	١٠٩٩ـ١١٨٧م	٨٨
ـ الأيوبيون	١١٨٧ـ١٢٦٥م	٩٨
ـ المماليك الإسلامية	١٢٦٥ـ١٥١٧م	٢٥٢
ـ العثمانيون	١٥١٧ـ١٩١٧م	٤٠٠
ـ البريطانيون	١٩١٧ـ١٩٤٨م	٣١
ـ الصهاينة	١٩٤٨ـحتى الآن	

وثيقة شخصية تثبت أن فلسطين أرضاً وتراثاً وتاريخاً وحضارةً هي لنا، ونحن أصحابها الشرعيون.

الاضـــاءة الثانيـــة :

الأنســـاب :

كان من طبع العربي ـ وما زال ـ بصفة خاصة يعتز بنفسه، وبنسبه، وبأصوله وفروعه، بآبائه وأجداده، ويعتز بقبيلته التي ينتمي إليه، اعتزازاً يصل إلى درجة العصبية.

حتى إنه من فرط هذه العصبية أن أصبحت تؤخذ على العرب سبة في الجاهلية، ولعل أيام العرب كداحس والغبراء، ويوم بعاث، والعداوة المتأصلة التي كانت محتدمة بين الأوس والخزرج، والتي انتهت هذه العداوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبرعايته ولحسن إسلام القبيلتين بعد ذلك.

وكانت مثل هذه الحروب المستعرة تدور رحاها بين القبائل العربية لأتفه الأسباب كالثارات القديمة، والنخوة الجاهلية التي كانت تفتقد في معظم الأحيان إلى الحكمة والعقل...

فقد قتل زعيم قبيلة بني ربيعة «كليب بن ربيعة» من أجل ناقة... وقتل عمرو بن كلثوم عمراً بن هند بسبب خلاف ناقه بين أم عمرو بن هند وأم عمر بن كلثوم على من تناول الأخرى (الطبق)...

وكانت قصة الطبق صورة من كيد النساء... العظيم.

وقد جسد عمرو بن كلثوم هذه القصة بمعلّقة عصماء جاء فيها:

أبا هند فلا تعجل علينا ... وانظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهن حمراً قد روينا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا

وهي معلقة من أقوى المعلقات السبع في الجاهلية، وما أوردت منها إلا القليل وهذا الحدث تجسيد للعصبية، والافتخار بالأنساب!..

وكانت الجملة المأثورة تقف على لسان كل عربي قبل الجاهلية، (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، وقد أصبحت هذه الجملة (حديثاً نبوياً شريفاً)، ضمن مفاهيم إسلامية خالصة...

وتعني أن تنصر أخاك ظالماً، هو أن تردعه عن الظلم وتنهاه عنه، ومظلوماً أن تدفع عنه الأذى وتردع الظلم عنه.

ومن محاسن العرب التي نعيدها للذكرى في معرض هذا الحديث، هو الكرم، والوفاء بالعهد، والنخوة... في حدود فهمنا لهذه النخوة..

ولست في معرض الحديث عن المحاسن والطباع، والصفات الحميدة للعرب ولكن الحديث هنا هو عن اعتزاز العرب بالأنساب... بهدف ربط القديم بالحديث من خلال تناولنا لهذه الظاهرة..

وتناولتُ هذه الظاهرة وأشرتُ إلى سلبياتها، وإيجابياتها وذكرت أنه بظهور الإسلام قد اختفت الكثير من السلبيات، بسبب تنظيم الإسلام لها، وتحويلها وتنقيتها وتنزيهها عن كل شائبة، ووضع مقاييس جديدة لها، ومعايير قرآنية من صنع الله وليست من صنع البشر...

فكان من أهم مقاييسها وأعظمها التقوى، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾... فجعل التقوى أساس كل نسب.

لكن الإسلام لم يلغ ظاهرة النسب، أي نسبة الإنسان المسلم إلى أبيه وجده وأصوله، ووضع لها أسساً حتى أصبحت هذه الظاهرة علماً اسمه (علم النسب)[6] واشترطت التقوى على أن تكون في المرتبة الأولى وتليها المراتب الأخرى...

وقد حفظ علم الأنساب نسب قريش، ونسب الصحابة والولاة والخلفاء وقد كان رواة «مختصون» في ذكر الأنساب من أجل إقامة مجتمع إسلامي تقي مستمر متواصل ذي جذور ممتدة ومتينة.

وكان أول المفتخرين بنسبه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين امتطى بغلته وقال: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب..)

وفي معرض السؤال عن النسب، فعن أبي هريرة أنه قال: «قيل يا رسول الله من أكرم الناس، قال: أتقاهم، قالوا ليس عن هذا نسألك، قال: يوسف نبي الله إبن نبي الله إبن خليل الله، قالوا ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعن في (النسب) فقال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب... والنياحة على الميت».

وصلة الأرحام لها في النسب صلة، وقد ربط رسول الله بينهما حين قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مسراة في المالة منساة في الأجل، مرضاة للرب».

وقد أمر حسان بن ثابت[7] أن يأخذ ما يحتاج إليه من علم نسب قريش عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ومن اهتمامه بنسب قريش في فتح مكة حين رد اعتبار ابي سفيان بعد دخوله الإسلام، بعدما كان من عداوته للإسلام قبل ذلك، فقد أعلن عند فتح مكة عليه السلام: «إنه من أغلق عليه بيته فهو آمن، ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن..».

وفي ذلك تقدير منه لظاهرة النسب والاعتزاز العرب قديماً بهذه الظاهرة.. مؤكداً على صحتها، إذا لم تكن تتعارض هذه الظاهرة مع التقوى التي هي زاد المؤمن وأساس العلاقة بينه وبين ربه وبينه وبين بني جنسه.

إن كل ما تقدم من حديث عن ظاهرة الأنساب، ليدفعني إلى القول بأننا أحوج ما نكون إلى تناول مثل هذا الحديث أكثر من أي وقت مضى..

فإن خروجنا من ديارنا، وابتعادنا عن أوطاننا، وتفرق شمل أهلنا وشتاتنا في اصقاع الأرض، يدفعنا إلى العودة للأخذ بعلم الأنساب، لرد اعتبارنا أمام العالم الذي يتنكر لأصولنا، وتجاهل جذورنا الممتدة بحجة إن الماضي قد رحل ولا صلة له بالحاضر أو المستقبل وإن عهد «النسب قد ولّى، وإن الإنسان هو إنسان اليوم، بل إنسان الساعة وما خلا ذلك فهو من أضغاث الأحلام».

إننا نرى من واجبنا الاهتمام بأصولنا، وجذورنا، وتسجيل أنسابنا، من الجد إلى الجد إلى الجد، متتبعين ـ قدر الإمكان ـ للتوصل إلى العلاقة الوثيقة بين الأنساب والأرض التي هي أرضه، وربط حديثنا على هذا النمط بقضيتنا التي هي قضية أرض وإنسان وحياة وحضارة وتاريخ... وأنساب، لأن من أهداف العدو قطع الأصل عن الجذر، وفصل الجد عن الجد، وتقطيع أواصر الأنساب لتتهيأ له الفرصة لبتر تلك الجذور من تربتها السمراء الغنية الممتدة إلى أعماق التاريخ منذ آلاف السنين.

إن تشتت أهلنا في أصقاع الأرض، وتشريد شعبنا في جنبات الدنيا كلها، يجب أن يكون حافزاً من حوافز اهتمامنا بظاهرة الأنساب.

إن تشريد شعبنا في أعقاب حرب ٤٨ في الجولة الأولى، وفي عام ٦٧ في الجولة الثانية، وفي ظاهرة الإبعاد التي يتعرض لها بعض المجاهدين، والسجن والقتل، التي يتعرض لها المواطنون في كل زمان ومكان من الأرض المحتلة وفي الجنوب اللبناني، هدف العدو من ذلك هو خلع الإنسان عن جذوره، وأن خبث العدو تزداد حدته يوماً بعد يوم حتى لو أعلن ألف مرة ومرة، إن يده (لن تنال السكان الآمنين) وإنها ـ أي يده ـ لن تنال إلا (الإرهابيين والمشاغبين والمخربين) وأما الباقي فعليهم أن يأكلوا ويشربوا ويناموا ليلهم الطويل (كالبقر والغنم والحمير).

هذا الخبث والمكر لا ينفيان أبداً ظاهرة تقطيع الأنساب التي تبناها إسرائيل في فلسطين كذلك ظاهرة تهجير الأهل إلى أمريكا أو كندا أو استراليا (بطرق مشروعة) وإعطائهم التأشيرات بسهولة!، وظاهرة تسهيل الهجرة اليهودية من شتى بقاع العالم إلى فلسطين.

إن الظروف المعيشة القاسية للفلسطينيين في معظم البلدان المضيفة وبخاصة في المخيمات، وفي بعض المدن ـ أيضاً ـ تسهم في عملية تقطيع الأنساب، وتفريق الشمل، وتشتيت الأهل، إن هذه الظروف إن طال أمدها ستجعل من الشعب الفلسطيني شعباً «مسحوقاً»، إن لم تكن قد جعلت قسماً كبيراً منه، فعندما يكون الأب في بلد، والزوجة في بلد، والابن في بلد، أليس هذا من ظاهرة تقطيع الأنساب؟ أليس مؤلماً ومحزناً أن يتشتت أفراد الأسرة الواحدة قسراً إلى أكثر من قطر أو قطرين؟ أليس مؤلماً ومحزناً وباعثاً على اليأس أحياناً وأنت تستمع إلى برامج المستمعين في إذاعات كثيرة من العالم العربي، حتى وفي إذاعة العدو، أن تستمع إلى فلان من الناس وهو يهدي سلامه إلى أبيه أو أخيه أو إلى أمه في بلد آخر، وأن تبعث امرأة إلى أولادها الثلاثة في الخارج تبلغهم فيها سلاماتها وشوقها ودموعها، هذه الصورة الحزينة قد انطبعت في مخيلتنا وأذهاننا وفي واقعنا ولن تمحى أبداً؟ أليست هذه الظاهرة هي ظاهرة معاكسة لظاهرة الاهتمام بالأنساب التي تدعو إلى ربط أوصالها في كل محفل؟.

إن النظر إلى أفراد العائلة الواحدة تجد إن بعض أفرادها يعيشون في الأردن، بينما يعيش البعض الآخر في لبنان أو في سوريا أو في بلاد الاغتراب خارج دول المواجهة في الخليج أو السعودية أو أوروبا أو في الأمريكيتين، حتى إنك لتجد إن بعض أفرادها يعيشون في فلسطين المحتلة لعام ٤٨، أو في الضفة الغربية.

ومما يؤسف له وما يحزن ما يسمى اليوم (معاملة لم الشمل). لعمري إنها مهزلة المهازل!

على الرغم من تلك الصورة الموحشة، فإن هناك عائلات مكتملة تعيش (رغداً) في بلد

واحد كالأردن، فالأردن قد هيأ نعمة الاستقرار لمواطنيه على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم وانتماءاتهم الوطنية.

لقد تعرضت الشعوب الإسلامية والعربية لظاهرة (تقطيع الأنساب) إبّان الغزو التتري للمشرق الإسلامي، ولقد كانت هناك الأساطير الكثيرة التي تتحدث عن تشتت العائلة الواحدة في أكثر من مكان في العالم الإسلامي آنذاك.

ولكن امرنا يختلف إلى حد بعيد عن تلك الأوضاع، بسبب الفارق ونوعية الهجمة الغازية التترية والهجمة الصهيونية. إن التاريخ يعيد نفسه أكثر من مرة في هذا السياق.

إن أجدادنا هم الذين أورثهم الله هذه الأرض، الذين قلعوا، وحرثوا، وزرعوا وحصدوا، وقطفوا منها أزكى الأثمار على امتداد الأزمان كلها، ومنحوها كامل عنايتهم ورعايتهم، وسقوها بمحبتهم لها، ورووها (بإخلاصهم ودمهم) فلا يعقل بعد كل هذا أن نعطي بالاً لمن يقول إن فلسطين هي أرض شعب الله المختار!

الإضـــاءة الثالثـــة:

الانتمـــاء:

في حديثنا عن أنساب العرب وقفنا على مدى اعتزاز العربي بقبيلته وعشيرته ونسبه، ومدى ما يتصف به من صفات حميدة كالكرم والوفاء بالعهد، والنخوة والشهامة وغيرها، حتى أن العربي يعتز بما قد نعتبره في مفهومنا من السلبيات، ولكنه كان متشدداً بما يعتز، وما الحروب والثارات والغزوات إلاّ نتيجة من النتائج المترتبة على تمسكه بتلك السلبيات. . . حسب مفاهيمنا الحديثة.

وقد يدفع بنا الحديث إلى تناول توجه آخر من التوجهات الإنسانية الحديثة وهو الانتماء. .

والانتماء له امتدادت أخرى، وفي بعض الأحيان قد تكون له نفس القوة التي تتمتع بها فضيلة الأنساب، وقد لا تكون، وإن مدى تأثير هذا في النفس بمدى قوة الرابطة بين. . المنتمي والمنتمى إليه. . .

والانتماء أوسع انتشاراً، وأكثر شمولية وبخاصة بعد التقدم الحضاري، والتطور الذي طرأ على العالم، واختلاف التوجهات والآراء وتباين التطلعات بعد ذلك!

وبعد سيطرة ما تسمى (بالسياسة) الحديثة التي أصبحت ذات مقاييس ومفاهيم متغيرة متقلبة وموسمية لها تابعون، وأصبح لها (منتمون). . .

فقد ظهرت الأحزاب والمدارس السياسية والدينية، ذات الاتجاهات المتعددة بعد عصر النهضة والتي استقطبت الكثير من الولاءات من الاتباع والعاملين (والمنتمين).

والانتماء أقصى درجات الولاء. .

والانتماء لغة من نما ينمو. . نمواً. . وانتماءً. .

فالشجرة التي تزرع في هذه القطعة من الأرض. . . ثم تنمو وتخرج إلى النور وتزهو وتكبر.

والتي تتناثر بذورها على وجه الأرض وتنغرس في أعماقها بينما تطال ـ بعد ذلك ـ

أغصانها عنان السماء! لتثبت بالفعل إن خير انتماء هو ما يربط الأرض بالسماء بعرى إيمانية متينة وقوية.

إن الأرض التي وهبنا الله إياها هي أمانة في أعناقنا، وهي مسؤولية من مسؤولياتنا، والمحافظة عليها وإعمارها هي من أقوى الفرائض التي كلفنا بها، ومحبتها عبادة، والعمل من أجلها عبادة، والدفاع عنها هو جهاد مقدس من حيث ارتباط العقيدة بالأرض ارتباطاً وثيقاً ومتيناً.

إن هذه الأرض التي سخرها الله لنا، سخرها جبالاً ووديانـاً، وسخرها هواءً وسماءً، وسخرها تراباً وماءً، سخرها في مقابل أن نعبده ولا نشرك به أحداً.

لقد تأكد ارتباطنا بالأرض، وجعله ارتباطاً مقدساً، من خلال، ما طلب إلينا من إعمار الأرض والسعي في مناكبها، والاستفادة من النعم الكثيرة التي تمنحنا إياها، من الطيبات من الرزق، حيث جعل لنا منها رزقنا عماد حياتنا، في هذه الدنيا، وقاعدة عملنا ومنطلق خطواتنا إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض.

إن محبتنا لهذه الأرض، أصّلت فينا الانتماء إليها، والارتباط بها، والانطلاق منها وهي المكان الذي نخرج منه إلى هذه الدنيا، والمكان الذي تأوى إليه ـ أجسادنا ـ بعد انتهاء آجالنا، نعيش ونحيا عليها ونموت فيها حين ينتهي بنا الأجل المحتوم.

إن محبتنا لهذه الأرض، وانتماءنا إليها جاءا أمراً فطرياً، مفروغاً منه، وقد يتسم بصفة القدسية لما جاء في وعد الله لنا بهذه الأرض حين قال في كتابه العزيز:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[٨].

صدق الله العظيم

إن الأرض محبة وانتماء أفضل لدينا وأعظم من أي مصدر آخر لمفهوم أيدلوجي معين أو كحزب سياسي أو الارتباط بجهة ما، كلها لا تتصف بالطهر والقدسية، والنقاء، لا نقبل أي خلط في الانتماءات أو الازدواجية في الولاءات، أو التشكيك فيها، فلنا وجه

واحد، وكلام واحد وفكر واحد . . . ولنا قلم واحد. وليس أفضل من أن يكون هذا النص القرآني على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام موجهاً ومحدداً للانتماء الذي تحدث عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين﴾[٩].

صدق الله العظيم

الإضـــاءة الرابعـــة:

الغربة والاغتراب

الغربة (أو الاغتراب) تعني[١٠] ـ في الأصل ـ الابتعاد والانتقال من مكان إلى مكان ومن وضع إلى آخر، فترة زمنية ومكانية محدّدة، أو لفترات زمنية ومكانية غير محدّدة، وقد تكون الغربة مفتوحة إلى درجة اللاعودة، حتى نقطة التقاء الساكنين سكون الحياة، وسكون الموت.

والغربة قد تأتي بإرادة، وقد تأتي بفعل غير إرادي، وأشدها تلك التي لا تكون لنا إرادة فيها.

وقد تأتي طوعاً، وقد تأتي قسراً، وقد تأتي ـ حيناً ـ ميسرة للحال، وحيناً آخر تضيق سبل الحياة، ويسوء بها الحال.

والغربة ظاهرة شاذة من ظواهر الحياة، ولكنها ليست نادرة الوقوع، وقد لا يكون هناك مقياس محدد لرسم معالم تلك الظاهرة، فهي دائمة الظهور في حياة الأمم والشعوب والأفراد، فلم تسلم منها أُمّةٌ، ولا شعب، وتاريخ هذه الأمم والشعوب فيه من الدلائل المثيرة للدهشة والجدل . . . والتأمل ولكن دونما الوصول إلى نتيجة واحدة ومحددة، للحصول على تقييم عادل لتلك المسألة، ذات المعادلات غير المتوازنة وغير المتكافئة . .

وعلى مستوى الأفراد، فلا يكاد يسلم منها نبي أو حكيم أو صالح، ولم يسلم منها فاسق وشرير . . أو عابد صنم.

كذلك لم يسلم منها قائد، أو حاكم، أو رجل مهمات صعبة، ولم يسلم منها الإنسان العادي، والعادي جداً . .

فخاصة القوم . . وعامتهم أمام هذه الظاهرة سواء بسواء.

ومن أجل لملمة أطراف الحديث استطيع أن أقول إن الغربة في رأيي أربعة أنواع رئيسة :ـ

١ـ الغربة النفسية ـ أو الاغتراب الذاتي.

٢ـ الاغتراب الديني.

٣ـ الاغتراب الاجتماعي.

٤ـ الاغتراب الانتقالي ـ أو الهجرة ـ الهجرة أو التهجير/ الاغتراب الحضاري.

وقد لا تكون هذه «الإضاءة» تتسع للخوض تفصيلياً في الحديث عن هذه الأنواع.

١ـ الاغتراب الديني[١١]:ـ

وهو أخطر أنواع الاغتراب على الاطلاق ـ بالنسبة للإنسان المسلم ـ من حيث إنه يتعلق بأصول عقيدته التي هي رأس الأمر كله عنده.

وتتعلق اول ما تتعلق بعلاقة الإنسان بربه، فعندما تكون هذه العلاقة متينة وقوية بين العبد وخالقه، لن تكون هناك فجوة.. أو جفاء، وعندما يكون الحبل متيناً وممتداً عبر الأزمان والحقب من جيل إلى جيل.

وعندما ينقطع هذا الحبل حتماً ستكون النتائج سيئة بالنسبة للإنسان ذلك المخلوق الضعيف، فإن هذه الحالة هي التي قد نسميها بحالة الاغتراب الديني، وبصورة أوضح و أقرب للفهم فإنه الاغتراب عن الله أي البعد عن الله والإعراض عن تنفيذ أوامره، وعدم اجتناب نواهيه.

فلن تكون راحة بال، أو هدوء أو استقرار لهذا الإنسان من حيث إنه ـ أي هذا الإنسان ـ (المؤمن) لم يُخْلَق إلا ليعبد الله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾.

والبحث في هذا الموضوع طويل وشائك، وفي إضاءة كهذه لا نستطيع أن نلم بكافة جوانب هذا الموضوع أو ببعض منه، ولكن لبلورة الفكرة التي اطرحها عن الاغتراب الديني كما أوضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد قال صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون ما أفسده الناس...»

فهل تكون للغربة مهمة إصلاح الناس بغير اطاعة الله وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وإصلاح ذات البين؟.. ففي هذه الحالة فإن الإنسان أقرب ما يكون إلى الله.. وهو في هذه الحالة غريب عن الناس، من حيث طبيعتهم في معارضة كل ما لا يوافق هواهم...

ومن معاني الغربة الدينية المتمثلة بقوله عليه السلام: «كن في هذه الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

والمعنى هنا إن يكون الإنسان غريباً عن كل ما يغضب الله ومن يغضب الله... وغريباً عن

كل ما يسد الطريق بينه وبين الله... لأنه ـ أي الإنسان ـ المسلم لا بد وإنه ملاقي وجه ربه.. وإن هذه الحياة هي «ممر» ليست دار الإقامة.. وإنها لسبيل إلى دار أخرى يحيا فيها، ولكن بمخافة الله وتقواه وطاعته.

قد تحتمل الغربة بين الإنسان ونفسه لفترة ما.. والغربة بين الفرد والمجتمع لفترة ما... لأنها قد تصلح يوماً..

وأما الغربة عن الله لا يمكن احتمالها، أو توقع نتائجها، لأنها من علم الله، فيجب أن تكون العلاقة بين الله والإنسان عامرة بالإيمان... وبالتقوى وأن تكون عامرة كذلك بين الإنسان وربه، وحتى لا تكون حالة غربة مزدوجة ومعقدة، وتلك هي من سنن الله التي لن تجد لها تحويلاً ولا تبديلاً.

٢ـ الاغتراب الذاتي[١٢]:ـ

الاغتراب الذاتي، أو الاغتراب النفسي، الغربة النفسية كلها تؤدي إلى معنى واحد.. وهي تلك الحالة التي تفصل بين الإنسان ونفسه، بينه وبين ذاته.. على الرغم من إنها أقرب المحسوسات لديه..

فأول ما يشعر الإنسان وبالفطرة.. ومنذ ساعة ابداع الله بتكوينه إياه.. تتحرك المشاعر، والأحاسيس، وفي اتجاه توحيد (الهيئة) العامة للنفس الإنسانية وهي وحدة واحدة وهي الإنسان الذي خلق من طين لازب، والذي نفخت فيه الروح، ودفع على ظهر هذه الدنيا دفعاً، لحين من الدهر، لينتهي بعد ذلك من على ظهر هذه الدنيا ويرجع إلى الله الذي خلقه أول مرة..

هذه النفس التي يعتبرها بعض علماء النفس إنها الروح التي هي من (أمر الله).

وقد نشأت العلاقة وثيقة بين الإنسان ونفسه، فلا معنى ـ على ضوء ذلك ـ للحياة ببعد الإنسان عن نفسه، التي هي بين جنبيه، وإن خلع الإنسان عن نفسه هو نفسه (الاغتراب الذاتي)، فإن أصعب ما تكون الغربة عندما يجد الإنسان نفسه غريباً عن نفسه وإن في الأمثلة على الغربة أن يخيل إليه إنه يملك هذا العالم، وهو في الحقيقة لا يملك شيئاً، وأنه يطوف فوق ارجائه، الواسعة، وهو ما زال قابعاً في مكانه، وقدماه متسمرتان في عمق الأرض، وهو لا يقوى على الحراك.

وإنه يملأ اسماع هذه العالم بضجيج غير واضح، وهو يقول كثيراً، ويثرثر كثيراً، وهو في الحقيقة لا يقول شيئاً، وإنه يفكر كثيراً ولكن في لا شيء... ليس له آمال أو طموحات غير أن يقف أمام مرآة افكاره وهو لا يملك لا شاردة ولا واردة.

من شدة الغربة التي يعاني منها، إنه لا يستطيع أن يقنع نفسه بما يريد وهو الضائع في دائرة وجوده.. التي لا محيط لها.. وهو ضائع في بلاد ما وراء الإحلام . وما البأس والنكوص النفسي، والفصام، والكبت، إلا بعضاً من نتائج وانعكاسات هذه الحالة أيضاً.

الاغتراب الاجتماعي[٣]:ـ

ومن حالات الاغتراب التي يعانيها الإنسان الواعي لأمور الحياة، وغير الواعي المدرك لطبائعها المتباينة وغير المتباينة.

وهذا اللون من الغربة ـ الغربة الاجتماعية ـ هي شديدة الوقع على الإنسان المغترب الذي يعاني من هذه الحالة والذي يقع أحياناً تحت سيطرتها لظروف ما صنعتها يده أو صنعها الآخرون له.

فالإنسان بطبعه اجتماعي، وليست السلامة كل السلامة في أنه اجتماعي! فقد اكتسب هذه الميزة بحكمة الله التي هي في خلق الإنسان من أجل أن يعمر الكون، ويجعل من الحياة دائبة الحركة في عباب الزمن وفي كل اتجاه.

ولذا فإن الإنسان مرتبط على ضوء الحكمة التي خلق من أجلها، بما حوله من جماد وأشياء وبمن حوله من بني جنسه.

والمشكلة في هذا الوضع تبدو معقدة وصعبة، حينما تكون هذه الصلات والارتباطات غير طبيعية، وإن امراً ما قد احدث (ثغرة) في بناء هذه العلاقة.. وإن هذا الأمر هو حالة الاغتراب التي نحن بصدد الحديث عنها (حالة الاغتراب الاجتماعي).

إن واقع الإنسان المعاش هو دليل على مدى استشعاره بتلك الغربة، ومدى تأثره بها ومدى انعكاس هذا عليه فهو ما يشعر ويحس وكما يبدو له واضحاً من واقعه.. إن كوابيس الغربة مثقلة عليه والكوابيس كثيرة، والغرباء كثيرون، وتصنيفهم من الأمور العسيرة والصعبة وسلسلة الحديث أمر محير، ولعلي أورد بعض الأمثلة: فالعالم بين الجاهلين غريب، والمصلح بين المفسدين غريب، والمدافع عن الحق بين أهل الظلم والباطل غريب، والفقير بين الأغنياء غريب، والمخلص بين الخائنين غريب.. والمبصر بين العُمي غريب.

وإن أمر زوال هذه الغربة من الحياة الإنسانية لهو ضرب من ضروب المستحيل ما دام هناك ظالم ومظلوم، وقوي وضعيف، وغني وفقير، وعالم وجاهل، وما دام هناك مغتصب وصاحب أرض فإن الغربة هي حقيقة واقعة مسلّم بها.

الغربة باقية بقاء هذا العالم، والتعايش مع هذه الحقيقة ليس أمراً مستحيلاً ولكن فيه الكثير من الصعوبة.

والذي لا يحسن التعايش مع الغربة وذيولها وأسبابها ومسبباتها، لا يستطيع أن يكون مستقراً في حياته اليومية والنفسية بصورة خاصة وإننا وإن حاولنا من خلال خبراتنا الطويلة منذ أن دفع بنا خارج أرضنا، أننا لم نستطع أن نعيش بسلام مع هذه الظاهرة، ظاهرة الغربة، لأنها ـ أي الغربة ـ أصابت منا (مقتلاً) في أعماق نفوسنا، وفي عمق مشاعرنا وأحاسيسنا، ولكننا تعايشنا معها، وعالمنا معها، تفاهمنا قليلاً إلى درجة أننا فقدنا الأمل بالعودة إلى الوطن، مع ذلك فإن الذي يعوّض عنّا بعضاً من تلك الراحة النفسية والهدوء والاستقرار هو أننا فسحنا لمزيد من الإيمان بالله للاستقرار في قلوبنا، على الرغم من أن الغربة قد تجاوزت الحد المعقول، لقد عشنا الغربة والاغتراب بأدق تفاصيلهما، وبمر مذاقهما. فلقد عشنا الغربة بأنواعها (الغربة النفسية والاجتماعية والدينية)، والغربة الانتقالية، مع ذلك فما زال فينا للأمل في نفوسنا بقية.

٤ـ الاغتراب الانتقالي ـ أو الهجرة ـ:

هي أن ينتقل المرء من مكان إلى مكان، وأن تتحرك خطواته إلى الوراء وإلى الأمام بدونما تركيز، تقوده إلى الشرق تارة أو إلى الغرب تارة أخرى، من مكان إلى مكان تحمله من هذه المدينة إلى تلك، ومن هذا البلد إلى ذاك، وأما الأسباب فهي كثيرة منها الغربة القسرية ـ كما هو حالنا ـ ومنها الطوعية التي يقصد من ورائها طلب الرزق أو العلم أو لمآرب أخرى.

وأصعب أنواع الغربة في هذا المجال هي الغربة عن أرض الوطن والابتعاد عن مسقط الرأس، لأن الوطن (التاريخي) في هذه الحالة هو صاحب الاعتبار الأول، وهو ذو التأثير الأقوى، وهذه الحالة هي أشبه بما نحن عليه، وهي حالة اغتصاب الوطن.

وإن هذا التأثير الأقوى ينتقل من جيل الآباء إلى جيل الأبناء إلى جيل الأحفاد وسيظل كذلك حتى تنتهي هذه الحالة من الاغتراب بانتهاء الأسباب والمسببات.

إن مقاومة ابنائنا وأطفال الحجارة للعدو الاسرائيلي في كل مكان تؤكد صحة ما نقول، لأن معظم هؤلاء الابناء قد ولدوا وربما في اماكن غير أماكن ولادة آبائهم، لأن الأرض واحدة والوطن واحد.

والوطن العربي ذو الأطراف المترامية، والأجواء الواسعة والفسيحة هو واحد أيضاً، ولكن لمسقط رأس الجد.. والأب والابن أهمية وأهمية خاصة.

إن هجرتنا عن أرض الوطن تعطي مفهوماً خاصاً وهي هجرة القلع من الأساس، من الجذور، كما هو واقع الحال فقد قُلعْنا من وطننا فلسطين ودُفع بنا إلى (شرقي الأردن)، والأردن جزء من الوطن العربي كما إن فلسطين جزء منه أيضاً، ولكننا نعتبر هذه الهجرة كارثة هذا القرن لهذا الشعب.

إن إقامتنا في الأردن لم تنسينا وقع الكارثة في نفوسنا وعلى مستقبلنا، ولم تفقدنا محبة الوطن، وفي الوقت نفسه لم نتنكر لمحبتنا للبلد الذي احتضننا، وإن كان احتضانه لنا هو من قبيل الواجب، من حيث ما ذكرنا إننا من وطن واحد ونتسب إلى أمة واحدة.

إننا نحب هذه الأرض التي أكلنا من خيراتها وشربنا من مائها واستنشقنا هواءها، وقضينا فيها ما قدر لنا من أعمارنا فإننا لن ننسى فضلها على الاطلاق.

تشرد الفلسطينيون في جميع أنحاء العالم كما هو موضحٌ[١٨] أدناه.

وعلى الرغم من الهجرات الاجبارية التي فرضت على الشعب الفلسطيني عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ فما زال ٤٣٪ من مجموع الفلسطينيين صامدين على أرض فلسطين يعانون أنواع الاضطهاد الصهيوني كافة، مقدمين آلاف الشهداء في سبيل الدفاع عن الأرض.

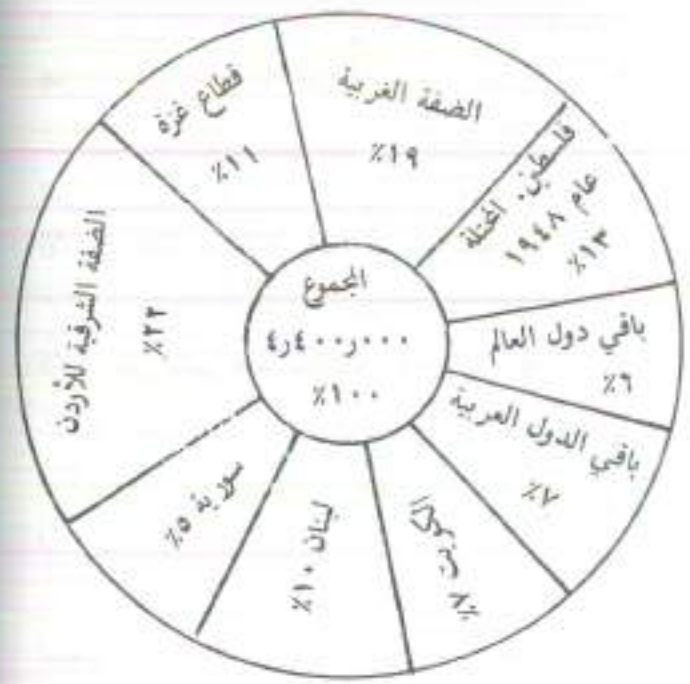

توزيع الفلسطينيين في العالم
عام ١٩٨٢
(بالنسبة المئوية)

ولقد ساهمت هجرة الفلسطينيين في تغيير وجه الصحراء، فقد اخضرت هذه الصحراء، وكانت لليد الفلسطينية فضائل كثيرة في تحويلها، حيث عملوا في دوائر الدول في تلك البلاد، وعملوا في شركات البترول والمرافق الخاصة والعامة، وقاموا بدور ايجابي، قدموا الكثير الكثير في مقابل رواتب شهرية مغرية وغير مغرية، التي لم توفر لهم الاستقرار «الوطن الدائم».

وانتشر الفلسطينيون في كل مكان من الوطن العربي، وكانوا في مقدمة المتعلمين والمتفوقين والبارزين بحيث عادوا بمكاسب خاصة وأعانوا أنفسهم على تحمل مشاق الغربة، وواجهوا المعاناة من آثار الكارثة وما زالوا يواجهون حتى ساعتنا هذه.

لقد أصبح الفلسطينيون بعد وحدة الضفتين أردنيين بموجب مواد الدستور الأردني المتعلقة بالحقوق والواجبات وأصبحوا ينابيع من الموارد الثابتة مالياً وإدارياً وبشرياً، فهم عقول تعمل بحدة وذكاء وإخلاص وقلوب عامرة بالحب والوفاء.

ولقد أصبحت لتحويلات المغتربين منهم حساب خاص ومتميز في ميزان الدخل القومي، وأصبحت ذات مؤشرات ايجابية في الاقتصاد الأردني.

لقد كانت هجرة الفلسطينيين ونكبة الفلسطينيين بمثابة الأجراس التي قرعت في أماكن كثيرة من الوطن العربي كي يستفيق النائمون، ويهب العاطلون الى العمل الجديد والمفيد.

ولعل هذه هي الإيجابية الوحيدة من هجرة الفلسطينيين، أن آفاق العالم العربي أو هكذا تتصور من سباته العميق.. ولكن بعد فوات الأوان، وعلى حساب وطن عربي مقدس، وشعب عربي أعزل وقضية عربية عادلة... (مظلومة).

لقد غيرنا وجه الصحراء، فأصبح أخضر، وغيرنا الإنسان العربي من عربي مستعمر مستكين، في معظم دويلاته السبع التي كانت عام ٤٨، إلى وجه «حر مستقل».

لقد قامت على الأرض العربية إثنتان وعشرون دولة... آخرها دولة فلسطين. ولكن همنا وحدسنا وهاجسنا أن تكون هناك دولة عربية واحدة لا أن تكون ثلاثاً وعشرين دولة أو أربعاً وعشرين! وهي أمنية حلوة وعزيزة لو عملنا لإجلها بإخلاص قليلاً، لما أصبحت صعبة المنال والتحقيق.

الاغتراب الحضاري، أو الاغتراب التراثي[١٩]:-

وهي غربة الإنسان عن ماضيه، وحضارته وتراثه، وقطع الصلات بينه وبين كل هذه القيم،

أو أن تكون فجوة كبيرة بينه وبينها، فالأمجاد في حياة الأمة أو في حياة الأفراد كثيراً ما تكون ذات تأثيرات عكسية عليه سيما إذا اشتدت التداعيات وكثر التراجع، وتعددت الفروقات بين ما كان وبين ما هو كائن، كما هو الحال بالنسبة لنا، إن الشقة بعيدة والغربة موحشة بيننا وبين ماضينا، ولا يوجد ثمة رابط إرادي يشدنا إلى بعضنا البعض، وإن الروابط فيما بيننا هي روابط الذكريات، والتغني بالأمجاد والبكاء على الأطلال، كل هذه الحالات تتكثف بعضها فوق بعض لتكون الحالة التي نعانيها هي حالة الاغتراب، التي تأتي بالنتائج المعاكسة كفقدان الثقة، بقدرتنا على صنع حاضر ومستقبل لهذه الأمة يكون في مستوى ما كانت عليه صناعتنا للماضي من أصالة ومتانة.

ومن تلك النتائج ما كان من عمليات الخلع من الجذور، والفصل عن الأحساب والأمجاد، كما هو الحال بالنسبة لشعب فلسطين الذي خلع عنه ماضية خلعاً تاماً وفصله عن امجاده وبتره عن امته الذي هو جزء منها، أما كيف فتلك أمور صعبة البحث والتنقيب في عجالة كهذه، ولكن حديثنا المتواضع لا يتسع للمزيد المزيد، فالغربة بشتى أنواعها وألوانها وحالاتها والحديث عنها عميق وغني وصاخب بالمثير المثير.

إن الغُربه الحضارية والغربة التراثية لا تقل أبداً عن الغربة النفسية والاجتماعية، لأن الإنسان متصل دائماً بنفسه، ودوماً بمجتمعه... وهو دائم الاتصال ـ أيضاً ـ بماضيه، في حالاته الخاصة والعامة.... فالبكاء شديد، والحزن كبير، والذهول صفة مؤكدة في مثل هذه المواقف.

ومن أشد ما نعانيه في هذه الحالة، ما يسميه علماء النفس بالاغتراب التكويني... لانه حالة خلع كاملة..

فقد تجاوزت حالات الاغتراب في حياتنا كل حد، نفسية واجتماعية ودينية وتاريخية تراثية، وما علينا إزاء ذلك كله إلا أن نبدأ بالتحدي والمواجهة لإبطال مفعول تلك الحالات القاسية من حالات الاغتراب... وفي حالة العكس فإن المعاناة شديدة والألم مرير.

الإضـــاءة الخامســة

الأيدلوجية الصهيونيـــة :ـ

الصهيونية[١٦] حركة سياسية تطالب بإعادة توطين اليهود في فلسطين ـ ما تسمى عندهم بأرض الميعاد ـ، وكلمة صهيونية اشتقها اليهودي النمساوي ناتان برنبهاوم (١٨٦٥ـ١٩٣٧) من كلمة (صهيون) ليصف بها هذا الاتجاه السياسي الجديد بين صفوف اليهود وغيرهم في انه حول النزعات التقليدية اليهودية التي بدأت في الظهور منذ منتصف القرن السادس عشر تعبيراً عن بؤس اليهود وشقائهم نتيجة لما يسمى «بالمسألة اليهودية» فتحولت إلى حركة سياسية كما حول التطلع الديني التقليدي إلى برنامج سياسي.

وبظهور هرتزل على الساحة عام ١٨٩٦ تحولت الصهيونية إلى حركة سياسية منظمة واعية للضغوط والضوابط الدولية فبدأ في تنظيم الجمعيات الصهيونية المختلفة ودعا إلى المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ وتابع مهمته التي تكللت بالنجاح عام ١٩١٧ حين أعلن بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك وعد بلفور المتضمن اعطاء وطن قومي لليهود، وقد أثمرت جهود هرتزل بقيام دولة العدوان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ وما ترتب عن قيامها من تهجير شعب من بلاده إلى ديار الغربة، دونما رحمة أو رأفة أو اخذ اعتبار لحق وقانون.

وعلى الرغم من أنها دعوة باطل... إلا أن الاستجابة كانت سريعة ومتناهية في السرعة حتى قبل تبلور الصهيونية كحركة سياسية منظمة وظهورها على الساحة العالمية رسمياً بمئتي سنة! فعلى سبيل المثال[١٧]:

١ـ في عام ١٧٨٧ دستور الولايات المتحدة يعلن كل من يطلب عملاً أن يدخل امتحاناً دينياً (لمعرفة اليهودي من غير اليهودي).

٢ـ اليهود في الأراضي المنخفضة يحصلون على حقوق متساوية.

٣ـ تم انتخاب يهودي رئيساً للبرلمان الفرنسي عام ١٨٩٨.

٤ـ في عام ١٨٦٧ تم اجراء تعديل على الدستور في النمسا والمجر يتضمن اعطاء اليهود حقوقهم الدستورية.

٥ـ ملك بروسيا يعلن عام ١٨٩٧ أن اليهود مواطنون بروسيون.

٦ـ في عام ١٨٨٧ معاهدة برلين تعلن عن الغاء كل القوانين التي تحد من تزايد اليهود في رومانيا وبلغاريا.

٧ـ وفي اوائل القرن العشرين تمت اجراءات كثيرة وكثيرة جداً، ولعل أهمها وعد بلفور، الذي هو من ناقلة القول أن انطرق بحديثي إلى حيثياته وأسبابه ومسبباته ونتائجه وآثاره فلقد تناولت كتب التاريخ والأدب وكتب القضية هذا الوعد المشؤوم ولكنني اكتفي بالإشارة إليه، تاركاً للقارىء والمهتم أن يقدح زناد فكره، ويتذكر... أهم ما أود أن أقوله إنه أعطي أرضاً ـ هذا المشؤوم بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك ـ شعباً لا يستحق هذا الأرض، وهي ليست من ملك المعطي، والمعطي له ما يوعد جاء على حساب صاحب الأرض والحق الأصيل!

٨ـ وفي عام ١٩٣٦ أعلن الدستور في الاتحاد السوفيتي إن الكراهية والعنصرية والانعزالية والقومية من الجرائم التي تعاقب عليها القوانين، ولعل مما تتذكره هنا، إن الاتحاد السوفيتي كان أول دولة اعترفت بالكيان الاسرائيلي.

٩ـ ولعل ما اعيده إلى الذاكرة أن نابليون بونابرت كان قد دعا إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين على الرغم من محاولاته المشبوهة للتقارب من العرب والمسلمين بعد حملته المعروفة على مصر ولبسه (العمامة) كرمز لتلك المداهنة.

ولعلني لا أريد أن أسجل هنا مواقف الدول الغربية بدءاً من بريطانيا وفرنسا والمجموعة الأوربية وانتهاءً بالولايات المتحدة الأمريكية، ومروراً بالدول الشيوعية وعلى رأسها روسيا كل هذه الدول وغيرها ليست لها مواقف مؤيدة متميزة بالتأييد لقضيتنا، إلا لفترات قليلة ونادرة تبعاً لمصالحها وهواها...

وقد كان الثقل الأمريكي المتمثل (بفيتوهاته) الكثيرة المتعددة كلها تؤيد ظلم اليهود للعرب، وبقاء العرب على حالهم متفرقين مبعثرين مشتتين أفكاراً ودولاً واتجاهات سياسية وأيدلوجية من أجل أن يبقى حال الأمة على ما هو إن لم يكن على الأسوأ.

إن الخرافات والأساطير التي حولتهما الصهيونية إلى ايدلوجيات محددة بحكم تكوين اليهودي المتميز بالخديعة والمكر والخيانة منذ فجر التاريخ، ومنذ تجاوز هؤلاء كل المفاهيم الاخلاقية والدينية بدءً بتجاوزاتهم لسيدنا موسى عليه السلام ودعوته، وتجاوزاتهم لدعوة السيد المسيح واعتدائهم الشخصي عليه ولولا أن الله تدارك نبيه برحمته، فشبه لهم، إن من قتلوا ومن صلبوا ليس هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وكذلك تجاوزا دعوة نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن رحمة الله التي وسعت كل شيء، قد احبطت أعمالهم ورد كيدهم إلى نحورهم.

وإذا كنا نحدد رؤيتنا للايدلوجية الصهيونية، فإننا نقف على المفارقات التالية:ـ

١ـ يقول العدو عكس ما يفعل، فهو يدعو إلى السلام في كل أحاديثه (المعلنة) دولياً، وعلى منابره (المزيفة) يدعو إلى السلام وهو يعمل على اشعال الحرب بل ويحارب، ويصف المعركة الكبيرة أو الهجمة العنيفة بكلمة قصيرة صغيرة هي (العملية) العملية الدفاعية، العملية الوقائية.

٢ـ يطلق العدو على وزارة الحرب الاسرائيلية، بوزارة الدفاع الاسرائيلية، والدفاع هو الحرب والهجوم في المفهوم الاسرائيلي.

٣ـ تدعي اسرائيل بصداقتها لبعض الدول الإسلامية كتركيا وكبعض دول افريقيا، وتحاول أن تفاضل بين العرب والمسلمين وتدعي بمراعاة المشاعر الإسلامية، في الوقت نفسه تقوم بحرق المسجد الأقصى، وبالاعتداء على مسجد حسن بيك في يافا.. وتقوم بتطويق المساجد عقب كل صلاة جمعة، بحجة مقاومة المشاغبين وقتل اطفال الحجارة والمحافظة على الأمن والنظام!

٤ـ انتهزت اسرائيل اقوالنا والفارغة» من المضامين وغير المعززة بالأفعال، وقد تحدثنا طويلاً وهددنا طويلاً والقيناها في البحر كثيراً، ونحن في مكاننا، وقابعين في عقر بيوتنا انتهزت هذه الفرصة وتمكنت من الاستفادة من موقفنا الخائر هذا، أمام الرأي العالمي، وزينت له إننا دول معتدية وشعوب اكلة لحوم البشر.

٥ـ كل ما تقوم به من أفعال، أو تنثر فيه من أقوال، تقوم اسرائيل بادراجها تحت شقين الشق الأول، الشق العاطفي، والشق (العقلي)، أما في الأول فتقوم بدغدغة عواطفنا كثيراً وباساليبها، حين تثير فينا كوامن خلافاتنا مع بعض وتثير فينا حماساً اقليمياً محليا وفي الشق الثاني تقوم بمقارعة الحجة بالحجة كذباً وافتراءً وتقلب الحق إلى باطل والباطل إلى حق وتعبث بالحقائق والأرقام كيف تشاء!

٦ـ تصفنا اسرائيل أمام العالم بأرذل الصفات، وتتهمنا بأننا شعب متأخر، وأننا من دول العالم الثالث. ولذا، فإننا غير قادرين ـ في رأيها ـ على مسايرة تطور وحضارة العالم وتصف نفسها بأنها من الشعوب المظلومة التي ظلمها العرب والمسلمون، والأوروبيون وفي هذا المجال

تقول إن هتلر حرق خمسة ملايين يهودي، وتطلب إلى العالم «التكفير» ولو على حساب شعوب أخرى وكان شعبنا هو الضحية والهدف!

٧- تدعي اسرائيل بأنها دولة ديمقراطية، وإنها تعامل مواطنيها عرباً ويهوداً سواءً بسواء وتحافظ على الأماكن المقدسة وعلى طوائفها وتابعيها لأنهم جزء من الدولة، ولكنها لا تستطيع أن تخفي بأنها دولة دينية قومية متشددة مستبدة، وأن أي «خلل» في هذه التركيبة يسارع في انهيارها.

٨- تقوم بتفريغ الأرض من سكانها، لاستقبال أكبر عدد ممكن من اليهود في انحاء العالم، وتقوم بانشاء المستوطنات في شتى انحاء فلسطين، دون أن تشعر أحداً بأنها تقوم بعمل (باطل) وإن من حقها أن تقيم وأن تشيد وأن تأمر، وأن تنهي.. لأنها الدولة المهيمنة على كامل الأرض «الاسرائيلية».

٩- تعتبر اسرائيل ان الحرب النفسية جزء من الحرب العسكرية فتقوم بأعمال إرهابية «وتخويف» سكانها وتهديدهم... بسبب وبدونما سبب، حتى تشعرهم بأنها قائمة وقوية.

١٠- توهم العالم بأنها هي التي قامت بتحرير الأرض، وقد كانت تسمى (الأردنيين بالمحتلين) والعثمانيين بالمحتلين... حتى الانجليز كانت تسميهم بالمحتلين.. وأنها هي محررة الشعوب.

١١- تتحكم اقتصادياً بدول كثيرة ومنها الولايات المتحدة الأمريكية فاللوبي الصهيوني يفعل افاعيله، وهذه واحدة من أهم أيدلوجيات واستراتيجيات العمل الصهيوني.

١٢- لعل من أقوى وسائل (الهدم) الاسرائيلي، هي الوسائل الإعلامية، فإن لها إعلاماً مركزاً، يؤكد أن فلسطين كلها أرض اسرائيل، بينما لا نجهر بالقول في أن فلسطين كلها أرض إسلامية عربية ونفصل بين الضفة الغربية وقطاع غزة، وبين فلسطين كاملة وأن لنا الحق في جزء دون الجزء الآخر، وإن من المعلوم في هذا الصدد إنه لا توجد في دولة العدو بما يسمى وزارة الإعلام الاسرائيلية.

ولأختتم هذه الإضاءة بالتأكيد على أن الصهيونية[١٩] المعاصرة هي ايدلوجية، ومنظومة متشعبة، من المنظمات، وممارسة سياسية للبرجوازية اليهودية الكبيرة التي اندمجت بالأوساط الاحتكارية، في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأمبريالية الأخرى، والمحتوى الرئيسي للصهيونية هو الشوفينية النزاعة إلى الحرب والعداء للشيوعية.

والصهيونية وإن لم تظهر بمفهومها الحديث، وبالوجه الذي ظهرت به منذ نيف ومئة عام فقد كانت هناك دعوة شبه مماثلة ظهرت منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة، حين أصدر[٢٠] رجال الدين اليهود في ذلك الوقت لأول مرة في بابل، مرسوماً يستطيع بموجبه كل يهودي أن يعلن عن امتلاكه أربعة فدادين وهمية في فلسطين.

فهل يستطيع أحد أن يقنع أحداً بأن «يحرر» يشتري أربعة فدادين من فلسطين، ولو بصورة وهمية، حتى يشعر هؤلاء بمسؤوليتهم الحقيقة، وواجبهم في الدفاع عن املاكهم وأراضيهم.

لقد نجحت دعوة رجال الدين اليهود الباطلة منذ زمان بابل.. فهل تنجح دعوتنا - وهي دعوة حق - في أن نقنع أنفسنا على أننا على حق فيما نقول وفيما نفعل.

الإضـــاءة السادســة

الحنـــين إلـــى الوطـــن

لعل من أجمل العواطف الإنسانية وأقواها عاطفة الحب، وعاطفة الحب بمعناها الشمولي لا تقتصر على حب الرجل للمرأة، حبيبة، كانت أو زوجة، أو كانت أمها أو اختاً شقيقة . . . أو حب الأخ لأخيه، أو حب الوالد لولده، والوالدة لولدها.

فالحب عاطفة نبيلة قد تربط بين نقيضين، بين إنسان متفجر بالمشاعر والأحاسيس وبين أرض جرداء وتربة سمراء، وجبال شاهقة، ووديان عميقة، وأنهار جارية، وعيون متدفقة، وينابيع حالمة.

ومن أسمى آيات الحب ذلك الحب الذي يربط الإنسان بالأرض «الأم»، التي انجبت ذلك الإنسان، ودفعته على ظهرها برفق وحنان.

فالحب للأرض قد يكون أقوى بكثير من عواطف كثيرة أخرى، كعاطفة الحزن والفرح وغيرها، وهو مزيج من هذه العواطف كلها.

فارتباط الإنسان بأرضه تبدأ منذ اليوم الأول، من لحظة مولده . . وتتنامى مع عاطفة الأمومة . . فهو يرضع الحليب من ثديي أمه، بينما يستنشق من الأرض هواءها ويشرب ماءها العذب ويهتدي بنورها الذي هو من نور الله، ويتلمس الدفء من اشعة الشمس المشرقة.

من هنا ولدت هذه العاطفة النبيلة، وقد ولدت قوية ومتينة . . مما أكسبها المناعة والامتداد والاستمرارية والبقاء طويلاً في حياة وذكريات ووجدان الإنسان.

وحب الأرض أو حب الوطن هو جزء من حب الإنسان لخالقه، فالأرض من بعض خلق الله وابداعه، ولذا فإن العلاقة بين مخلوقات الله ـ متينة وقوية ـ، لا سيما وأن الله قد سخر الأرض والسماء والفضاء والهواء، وسخر الشمس والقمر، وسخر الجبال والأنهار ولذا فلا بد وأن يكون الإنسان (السوي المؤمن) على معرفة بهذه الحقيقة، فلا يتنكر لجميل ولا يجحد بنعمة، فهذه هي نفسها نعمة الله التي تدر (لبناً وعسلاً) وتعطيه الطيبات من الرزق بإذن الله.

والحنين إلى الوطن عاطفة لا تقل عن الحب، عند الإنسان، والإنسان عندما يكون مواطنا

عادياً وعندما يكون مسؤولاً وفي مراكز السلطة، لا يستطيع أن يتنكر لحبه لوطنه ولا يملك الا أن يشعر بالحنين الجارف له إذا ما كان هناك بعد وجفاء.

حتى الأنبياء فإنهم لم يفقدوا الحنين إلى الوطن، ولم يخفوا حبهم لوطنهم، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن يخفي حبه لمكة مسقط رأسه حينما جاءه أمر هجرتها من الله إلى المدينة المنورة، قال صلى الله عليه وسلم مخاطباً مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت»، رواه أحمد والترمذي حديث صحيح.

وعلى أي مستوى، وفي كل زمان ومكان، كان حب الوطن والحنين إليه يشكلان أهم مصادر الالهام في أكثر مما يشعرون بهاتين العاطفتين المتأججتين، وكان التاريخ العربي وتاريخ الأدب العربي، سيما الشعر، يحمل إلينا دلالات كثيرة ومتعددة على ذلك، ففي مختلف عصور الأدب العربي قديمها وحديثها، وفي الجاهلية، وفي عصر الإسلام الأول، وفي العصور الأموية والعباسية، ظهرت قصائد كثيرة وشعراء كثيرون يكتبون فيه «دموعاً» وأشعاراً ويسجلون فيها حرماتهم من أوطانهم وبعدهم عنها.

وفي الجاهلية، نلمس الكثير الكثير ونحس بالكثير الكثير من مثل هذه المواقف فعنترة العبسي، الذي يحن إلى وطنه من خلال حنينه إلى عبلة، ويتذكر كل مكان له فيه ذكرى. . وكذلك فقد نحا هذا المنحى شعراء جاهليون، عندما يستهلون قصائدهم بذكرى الحبيبة وبذكرى الأطلال، أطلال الوطن. .

فعنترة العبسي يقول في معرض تغزله بعبلة:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

أعياك رسم الدار لم يتكلم ... حتى تكلم كالأصم الأعجم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحاً دار عبلة وأسلم

دار لانسة غضيض طرفها ... طوع العناق لذيذة المتبسم

وزهير بن أبي سلمى وامرىء القيس والنابغة الذبياني، كانوا في أشعارهم يتذكرون أوطانهم، مع استذكارهم لحبياتهم. . لأن الرابطة بين الحبيبة والوطن قوية ومتينة فالحبيبة والأطلال متلازمان في معظم اشعار الجاهليين، بالإضافة إلى المضامين المطروقة انذاك كالوفاء والكرم والنخوة والثارات القديمة والافتخار بالإنساب وغيرها وإن الأرض التي كان يحن إليها كانت كل الأرض العربية في الصحراء، وفي الحضر، وعلى الرغم من أن طبيعة العربي آنذاك

تتعرض للتنقل من مكان إلى مكان، طلباً للكلأ والماء من أجل الإنسان الضارب في هذه الأرض، ومن أجل (الحيوان) الذي يشاركه الهم والتنقل والحنين.

كانوا بدواً رحلاً ولكنهم كانوا يحنون إلى أوطانهم، ويحبونها، وإذا ما برحوها يتمنون الرجوع إليها، وقد يرجعون.

ولما ظهر الإسلام، أصبح الناس يهتمون بالدين الجديد، ويعملون ضمن اوامر جديدة ونواه جديدة، وقد كانت أمانة نشر الإسلام التي حملها العرب، قد غيرت مفاهيم جديدة محددة، ارتباط الإنسان المسلم بوطنه بمفهوم جديد، كان الرابط الأول والأقوى هو الدين الحنيف، وإن الذين فتحوا البلاد والأمصار كانوا من العرب الذين لم يبرحوا الجزيرة من قبل حتى دخلوا في الإسلام، وعندما دخلوا في الإسلام، ركبوا الأخطار دون استشعار بأي ضيق لأن الهدف كان سامياً وهو نشر الإسلام.

ومع ذلك فإن حب الوطن والحنين إليه لم ينتهيا من ذاكرة وقلب الإنسان المسلم وقد ربطوا بين تلك المشاعر الإنسانية ومشاعرهم الإسلامية الجديدة.

ولعل مما أحب أن أورده في هذا السياق قصة ميسون الكلبية[٢١] وهي بدوية نصرانية من قبيلة بهدل والتي قيل إنها كانت زوجة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، وأم يزيد، وقد دخلت قصر الخلافة في دمشق، وما لبثت أن حنت إلى حياة الصحراء وشغفها والوجد إليها وفضلتها على حياة الحضر وقد انشدت في ذلك شعراً تقتطف هذه الأبيات..

لبيت تخفق الأرياح فيه ... أحب إليَّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني ... أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطرّاق دوني ... أحبُّ إليَّ من نقر الدفوف

وقيل إن هذه الأبيات وغيرها ـ بلغت اسماع أمير المؤمنين، فرق لها قلبه، وملأ حديثها عن الحنين إلى الوطن شغاف قلبه، فخيرها في أمر بقائها في القصر أو الصحراء.. اختارت عن أمير المؤمنين وقصر الخلافة في دمشق، الصحراء التي ولدت فيها، وعاشت فيها طفولتها وربيع عمرها الأول.

ومهما بلغت هذه القصيدة من تأجج حب الوطن فيها، فإنها لا تعدوا لأن تكون مثالاً على أن الوطن غال وعزيز في أي مكان وفي أي زمان.

والشعر الأندلسي ينهض بمثل هذه الألوان الجذابة من الشعر (الوطني) ولا مجال هنا لايراد

المزيد من الأمثلة لضيق المجال، في هذه الإضاءة، لكنني سأمر على قصيدة اندلسية للشاعرة الاندلسية حمدة بنت زيادة المؤدب المعروفة بحمدونة وقد شكك بعض المؤرخين بصحة نسب هذه القصيدة، والذي يهمنا هو المضمون، حيث إن الشاعرة تحنُّ إلى وطنها الأول (وتعني بلاد الشام)، وأني لأورد هذه الأبيات من تلك القصيدة للدلالة على شدة شوق الإنسان إلى وطنه..

وقفنا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث الحميم
حللنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
يسد الشمس إنا واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

إنها الشاعرة تحنُّ إلى واد من وديان الوطن! والوادي يمثل لها الوطن بكامله!

والقرن العشرون، على غزارة الأحداث فيه، لاشتداد الظلمة في الأوطان ولتفسخ العالم العربي والمشرق الإسلامي، وتعرض العرب والمسلمين لحالات كثيرة من القهر والظلم والتشريد، كان غاصاً بالاشعار الحماسية الوطنية، التي تلهب المشاعر وتأخذ بالعقول والألباب، وليس الشعر وحده في هذا الميدان، كانت الخطابة، والقصة والموضوعات المتنوعة، والصحافة تملأ العقل العربي والوعي العربي والقلب العربي، والعاطفة العربية، بألوان متعددة من الأدب الوطني والأمثلة كثيرة، شعراً ونثراً، ومقالة وخطبة.. ولكنني أورد منها قصيدة للشاعر أبي سلمى ـ وشعر أبي سلمى زاخر بالمضامين الوطنية الخلاقة، المبدعة والمؤثرة، اخترت قصيدة خفيفة جميلة...

أحبك أكثر...

كلما حاربت من أجلك أحببتك أكثر
أي ترب غير هذا الترب من مسك وعنبر
أي أفق غير هذا الأفق في الدنيا معطر
كلما دافعت عن أرضك عود العمر يخضر
وجناحي يا فلسطين على القمة ينشر

* * *

كل إنسان له دار وأحلام ومزهر
وأنا الحامل تاريخ بلادي اتعثر

وعلى كل طريق لم ازل أشعث اغبر

* * *

كلما رف اسمك كان الحرف اشهر
وحروفي تزرع الأشواق في كل معسكر
وحروفي شعل في كل صحراء ومهجر

* * *

ويا فلسطين ولا اغلى ولا أحلى ولا اطهر
كلما حاربت من أجلك احببتك أكثر

وها هو الشاعر (العكراوي) المحامي محمد خلاد، يتذكر قريته الجميلة ويحن إليها، ويشتاق لها، بعد طول غياب..

يقول الشاعر في مقدمة لقصيدته (أشواق عين كارم)

لم ازر بلدي منذ نزوحي عن أرضها، وما زال الحنين يكبر في نفسي كل يوم ويشدني إليها، وما زلت اسأل القادمين من هناك عن ملاعب الصبا وأرض الأحلام، فاعلم منهم إن الأرض قد اقفرت والرياض صوحت والمعالم قد تغيرت، وهذه الأبيات محاولة للتعبير عن شعور هؤلاء النازحين الذين تغص نفوسهم بمرارة اللقيا.

اتيتك من بعد طول الغياب
فما كان ارهبه من إياب
فأين العصافير يا دارنا
وأين ابتسام الربى في الشعاب
وأين العنادل تزجي الغناء
شجيا فتكسر هذى الرحاب

والشاعر خلاد هو مؤلف نشيد مدارس جمعية عين كارم الخيرية، نسوق منه هذه الكلمات:

عين كارم يا نشيداً يا لحوناً باقاية
يا بلادي يا فؤادي يا عيوني الغالية
حبك المعطاء خيري ومياه الساقية
سوف تبقين رجائي في حياتي الآتية

وما دمت اشعر بعد أن الأضواء ما زالت مسلطة على الحنين إلى الوطن، فأسجل هنا ما اشعر بأنه شعر وطني جميل، وهذه قصيدة أمير الشعراء التي كنا قد حفظناها عن ظهر قلب في سنوات دراستنا الابتدائية الأولى، حيث كانت هذه القصيدة مقررة في مناهجنا في الأردن.

عصفورتان في الحجاز حلتا على فنن
في خامل من الرياض لا ند ولا حسن
بيناهما تتناجيان سحراً على الغصن
مر على ايكيهما ريح سرى من اليمن
حيّا وقال درتان في وعاء ممتهن
فقد رأيت حول صنعاء وفي ظل عدن
خمائلا كأنها بقية من ذي يزن
قالت احداهما والطير منهن الفطن
يا ريح أنت ابن السبيل ما عرفت ما السكن
هب جنة الخلد اليمن لا شيء يعدل الوطن

وقد ظهر اتجاه شعري ما يسمى (بشعر الأرض المحتلة أو أدب الأرض المحتلة)، وهو لا يقل عن غيره من الاتجاهات الأخرى رقة وعذوبة ودقة ومعنى ومضموناً والشعر الوطني سواء أكان خارج الوطن أو داخل حدوده، سواء أكان ذلك في عهود الاستعمار أو عهود الاستقلال، فالشعر الرقيق المبدع هو شعر سواء أكان وطنياً أو عاطفياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو دينياً.

ولا يستطيع أحد أن ينكر مدى تأثير الكلمة الجميلة والشعر الجميل على أحاسيسه ومشاعره... إلا إذا كان فاقداً لهذه النوعية من الأحاسيس والمشاعر... وفاقد الشيء لا يعطيه!

ونتيجة النتائج،
وخلاصة كل قول،

إن الوطن عزيز وغال وهو يعادل كل شيء في هذا العالم، الراحة والهدوء والاستقرار وسعادة النفس وخفة الروح . . .

وهو جنة الإنسان في أولاه، وهو منطلقه إلى الخلود في اخراه . .

وهو شغله الشاغل، إذا ما وقع عليه حيف أو ظلم، وهو همه إذا ما احتل ترابه، ودنس حياضه، وهو مصابه إذا ما استبيحت طيباته ومحارمه وكرامة أهله .

أخشى أن ابدأ ثانية من حيث انتهيت، فالحديث طويل وطويل، وشجبي وحزين، والألم يزداد مع كل حركة وسكنة، العواطف تشب، والمشاعر تتأجج اللحظة بعد اللحظة، ولا توقف لها، فعقدة الذنب بالعجز والتقصير صعبة وشديدة، وإرادة الصحوة من براثن الغفلة قوية وعنيدة، والأمل بعيد . . بعيد . . ولكنه في علم الله ليس بعيداً .

ما زال حب الوطن شغلنا الشاغل وهمنا الكبير إلى أن يرث الله الأرض وما عليها . وهو روضة من رياض الجنة زين الله بها الأرض وشغلنا بها حتى عن أنفسنا . وزرع لها في قلوبنا حباً كبيراً وعظيماً .

والوطن كما قال شوقي رحمه الله :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وسنقف بعد قليل على أبواب عين كارم

- عفوا! على أبواب (كتاب عين كارم - الحقيقة والحلم) - سأقف وأنا اتذكر هذه المرة ما قاله - رفعت الصليبي - الشاعر الأردني «السلطي» .

هناك بذلك العلم منازلنا من القدم
ترى عيني مرابعها ولا تسعى لها قدمي
هناك كان لي أهل وأصحاب وخلان
هناك كان لي أمل وأفراح وأحزان
بلاد باعها بالبخت سمار وخوان
وأهل شردوا في الأر ض لولا الغدر ما كانوا

ولنقلب الصفحة إلى عين كارم . . .

لاستجلاء طلعتها . . . . «البهية»!

الفصل الثاني

(عين كارم)

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

قبل عام ٤٨، وأثناء حكم الانتداب البريطاني كانت فلسطين مقسمة إلى ستة ألوية وستة عشر قضاء هي كما هو واضح على الخريطة اعلاه. (١).

ولنبدأ من القدس، كتنظيم إداري!

يتألف قضاء القدس[٢٢] من سبعين قرية، حسب آخر التنظيمات الإدارية لفلسطين عام ١٩٤٥، وهي قرى عربية النسب والأصل والهوية.. وهذه القرى هي:

أبو ديس، عناتا، عقور، عرطوف بتير، بيت داقو، بيت حنينا، بيت اجزا، بيت اكسا، بيت عنان، بيت عطاب، بيت جمال، بيت محسير، بيت نقوبا، بيت صفافا بيت سوريك، بيت ثول، بيت أم الميس، بدو، بير نبالا، البريج، دير ابان، دير عمرو، دير الهوا، دير رافات، دير الشيخ، دير ياسين، عين كارم، العيزرية، حزمة، العيسوية، إشوع، جبعة، عسلين، جرش، الجيب، الجديرة، الجورة، كفر عقب، كسلا، خربة اسم الله، خربة اللوز، خربة العمور، لفتا، المالحة، مخماس، النبي صمويل، نطاف، القبو، قلندية، قلونيا، ابو غوش القسطل، قطنة، القبيبة، رافات، الرام، راس أبو عمار، صرعة، ساريس، ساطاف، شرفات، شعفاط، سلوان، صوبا، سفلى، صور باهر، ام طوبا، الطور، الولجة.

وقد أوردت اسماء تلك القرى، أملاً في أن يتسع أفق القارىء لاستيعاب اسماء قرى قضاء القدس السبعين... وليتذكر دائماً، إن كل قرية من هذه القرى هي قريته، هي وطنه..

ولنتأمل ونحن نقرأ ونكتب ونفكر، ونحلم.. أيضاً، بقريتنا الجميلة، التي تتميز عن قريباتها بما يثير في نفوسنا محبتها وحنيناً إليها، لتبقى ذكرى حية أبد الدهر. ومحبة القرى الأخرى.

وأحب أن أضيف هنا اسماء المستعمرات الاسرائيلية[٢٣] التي تأسس معظمها في عهد الصهيونية العالمية بعد ١٨٩٤-١٩٥٣، أيضاً للذكرى، لأنها ينبت بالقرب وعلى أنقاض وعلى أراض تابعة للقرى السبعين التي ذكرت.

موتسا، اشتاؤل، افن اسبير (بالقرب من عين كارم)، اورا، ايتانيم، بارجيورا (تبعد عن عين كارم ١٥ كم، بقوعا، بيت شمش، بيت نقوبة، بيت هاكارم، (ضاحية من القدس)، ثاروم، تسورعاه، تسوفاه، تيروش، جفعتيا اريم، جفن، رامات راحيل، رومبما، (ضاحية من ضواحي القدس)، زانوح، شورش، شوبيفاه، طال شاحار، عميناداف، قريات عنيقيم، قريات هيوفيل، قريات يعاريم، كسالون، رامات ريزنا رازينيل، كفار سلمه، ماعوز تسيون، محسياه، مسلات تسيون، بيت مئير، مطاع، مملة همشاه، مفسرت زيون، مفوبيتار، مناحات، مي يفتوح

نحشون، نحم، نفه هاريم، نفه ايلان، عرملوف، جبعت شاؤول، بيت زيت، بين بيت ويغان، بيت نير، هاجشاماه، يشعي.

ترى كم يصبح عددها سنة ٢٠٠٠!!

ولعل اباءنا ومن يكبروننا سناً ومن هم أكثر سعة أفق وأكثر علماً منا، يعرفون كثيراً من هذه المستعمرات، سيما التي كانت قد أسست قبل عام ١٩٤٨.

وإن المستعمرات الجديدة التي ظهرت بعد عام ٤٨، أقيم معظمها على أنقاض القرى الفلسطينية الصغيرة وعلى أراضيها.

ولقد أوردت ما أوردت للتأمل.

- لواء القدس -

سبعون قرية فلسطينية حتى عام ١٩٥٥ يقام في مقابلها خمسون مستعمرة، فما هو موقفنا إذا ما اطلعنا على عدد المستعمرات التي اقيمت بعد عام ١٩٠٥ علماً بأن لواء القدس كان يتألف إدارياً من القدس، رام الله، بيت لحم، أريحا، يافا، الرملة، وإذا ما اعتبرنا إن قضاء القدس كان يتألف من هذا الكم من القرى... والمستعمرات والمدن والقرى. فكيف إذا أكملنا اطلاعنا على التقسيم الإداري لفلسطين زمن الحكم العثماني والانتداب البريطاني الذي كان يتألف من اللواء الشمالي (حيفا المركز) والناصرة وعكا زمارين، طبريا، صفد، والجنوبي من غزة المركز، المجدل الخليل، بئر السبع.

ومن السامرة ونابلس المركز، جنين طولكرم، بيسان.

فهل هناك من يشكك بعد كل هذا... بحقنا التاريخي، والحضاري، والإنساني والإداري وهذا (أضعف الإيمان)! إن فلسطين غير عربية... غير إسلامية!

إن كثرة المستعمرات وتزاحمها على الأرض الفلسطينية لا تمنح هذا التشكيك طول العمر، إنها وصمة عار يجب أن تمحى.

عـين كـارم

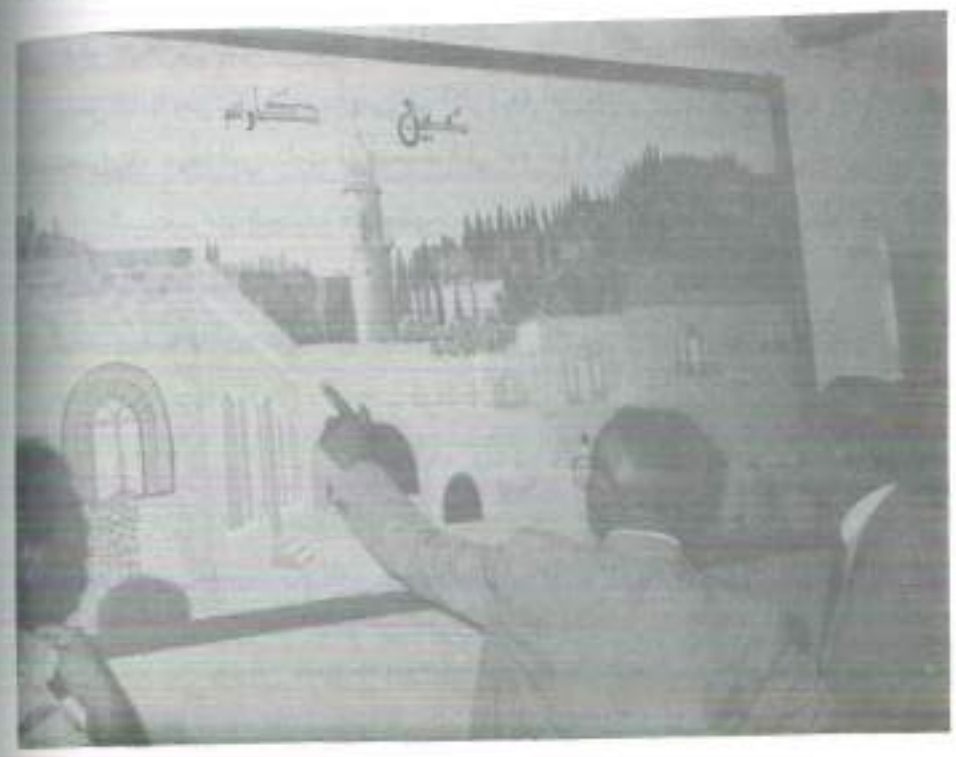

لوحة عين كارم لوليد دودو

لماذا سميت بهذا الاسـم :ـ

عين كارم[٢٥]، عين الكريم، عين الكرْم (بتسكين الراء) وعين الكرَم (بفتح الراء) وعين المكارم هذه الأسماء الجميلة، متماثلة «شكلاً ومضموناً» في المظهر والجوهر.

تعطي معنى الخضرة والجمال، والندى والعطاء، والخير والرخاء، والجمال الذي لا يماثله جمال...

بالإضافة إلى إنه اسم عربي أصيل، مبنى ومعنى!

عين كارم، عين مريم[٢٥]، عين البتول[٢٦]، عين العذراء، كما توجد قرية في قضاء الناصرة تحمل الاسم نفسه (عين العذراء).

اسماء لها من القدسية، ما تبعث على الرضا والارتياح، وتكسب القلب سكينة، وتضفي على الروح سمواً وارتقاءً.. وتزيد النفس شفافية وصفاء.. وتملأ الجوارح بحب إلهي يتنزل علينا من فوق سبع سموات..

فلقد سميت بهذه الأسماء، نسبة إلى سيدتنا مريم العذراء حيث كانت تتردد على عين كارم كثيراً، وكانت تحمل الماء من العين إلى خالتها القديسة اليصابات زوجة سيدنا زكريا.

لذا سميت العين باسمها، ومن هنا فقد اكتسبت عين كارم هذه التسمية (المقدسة).

كذلك فإن لطبيعة عين كارم الجمالية، ماءً وهواءً وتراباً وعيوناً، قد اكسبتها هذه التسمية الجميلة.

الموقع :

تقع عين كارم في مركز الوسط من لواء القدس، كما إن القدس تقع في مركز الوسط من الكرة الأرضية.

تبعد عين كارم[٢٧] عن القدس سبعة كيلومتر إلى الجنوب الغربي منها، وتبعد عن قرى المالحة، الجورة، الولجة بمسافة واحدة وهي كيلومتر.

وعين كارم[٢٨] هي أكبر قرى لواء القدس مساحة، وأكثرها في عدد السكان، وحدودها واسعة، تتماس مع حدود قرى متعددة، وتتداخل أراضيها بأراضي قرى متعددة.

وعين كارم هي إحدى أربع عشرة قرية، التي تسمى بقرى بني حسن، وفي رواية إنها أحدى عشرة[٢٩]، وفي رواية إنها عشر، ورواية أخرى تقول إنها تسع[٣٠].

وأغلب الظن إن قرى بني حسن قد زاد عددها بعد أن تكونت وفي بعض المواقع السكنية المأهولة (نواة لقرى جديدة) على مر الزمن الذي اعقب ظهور هذه التسمية.

أما أصل التسمية فهي تعود ـ كما ترجح التقاليد الموروثة ـ إنها نسبة إلى بني حسن، أي (السلطان حسن سيد بني هلال)، كما ورد ذلك في «تغريبة بني هلال» المشهورة التي تحكي قصة وتاريخ وبطولات بني حسن والهلاليين وقادتهم وساداتهم كأبي زيد الهلالي وذياب بن غانم.

وسنأتي على بعض التفاصيل في هذا الباب في الصفحات التي ستتناول فيها (نسب) سكان عين كارم (الحاليين).

وهذه القرى هي: عين كارم، بيت جالا، المالحة، حوسان، بيت صفافا، بتير، القبو، رأس أبو عمار، شرفات، الجورة، خربة اللوز، الولجة، دير ياسين، الخضر.

وقد ذهب بعضهم إلى القول أن موقع بيت كار[٣١] بمعنى (بيت الخرفان) المذكورة في العهد القديم كان يقوم على بقعة عين كارم، كما ورد ذلك في العهد القديم، وقد ظهر هذا الموقع واضحاً في خريطة (الفسيفساء) التي اكتشفت في كنيسة بمأدبا في شرقي الأردن، والتي تظهر فيها بعض المواقع من الأراضي المقدسة بما فيها عين كارم.

تقع عين كارم ـ جغرافياً ـ ضمن أقليم جوديا[٣٢] على قمة المرتفعات الغربية العالية، ذات الجبال الشاهقة والسفوح المريحة ذات الخضرة الدائمة والمنحدرات المتماسكة بعضها ببعض، المكسوة بأشجار الفاكهة والكرمة واللوزيات والتفاحيات وأشجار الزيتون المباركة، والأشجار الحرجية المتنوعة من السرو والصنوبر سيما في المناطق التي تقوم عليها الأديرة والكنائس القديمة، والأبنية الخاصة القديمة ذات الآثار الموغلة في القدم، في عين كارم مواقع قرية يحتوي على قبور قديمة[٣٣] منقورة في الصخر على شكل فسيفساء جميلة.

وهذه السلسلة من الجبال المتصلة بجبال نابلس في بداياتها الأولى، والمتواصلة في امتدادها بجبال القدس وانتهاء بجبال الخليل، التي تتاوزى معها، وتتساوى ـ تقريباً ـ في الارتفاع باستثناء جبل الزيتون ـ في القدس ـ الطور، حيث ترتفع (٨٣٠) متراً عن سطح البحر، وجبال «الكريمزان» في بيت جالا جنوبي شرقي القدس حيث ترتفع إلى (٩١٤) متراً فوق سطح البحر وهي أعلى جبال هذا الأقليم على الاطلاق.

وموقع عين كارم «الصحي» اكتسب اهتماماً خاصاً منذ القدم، حيث كان الكثيرون من ابناء فلسطين، ومن «الافرنج» قديماً، ومن البولونيين (حديثاً) كانوا يترددون عليها للاستمتاع بمعطيات هذا الموقع الجمالي، وكانت الزيارات المدرسية لها كثيرة للاستمتاع بالخضرة الدائمة المبهجة للنفس، وللماء العذب المنساب، وللهواء الطلق الذي يملأ اجوائها الصافية، فينعش النفوس، ويريح القلوب وتتمتع العيون بما تتسم من مناظر جميلة جذابة.. ولهذا فقد استغلت اسرائيل هذه السمات التي منحها الله لبلادنا ـ ولعين كارم ـ فأقامت مستشفى هداسا عين كارم في موقع بير القف بالقرب من مراح الهوا والدوامة...

ويعتبر مستشفى هداسا من أكبر مستشفيات اسرائيل، ومن المستشفيات الكبيرة في المنطقة، وكثيراً ما تتناقل ـ أخبار ـ العدو اسم عين كارم، كقرية جملية ومصيف جميل وموقع

صحي، وفي الصحف الاسرائيلية تظهر بعض الاعلانات الخاصة عن القرية بصور مختلفة، وباغراض مختلفة أيضاً كدعاية سياحية أو فندقية وغيرها.

ومن مميزات الموقع الممنوح من الطبيعة لعين كارم، وهذه المرة ميزة «دولية» وهي إن عين كارم تعتبر ضمن المنطقة الدولية، حين كانت قضية تدويل القدس قضية جانبية هامشية ادرجت على هوامش القضية الأم.

ومهما يكن من أمر... فإن جمال الموقع لم يعد يشفع لنا في محبتنا لقريتنا وحنينا إليها في هذا الزمن الرديء.

المساحة والحدود

تبلغ مساحة عين كارم عشرين كيلو متراً مربعاً تقريباً، من حيث الأراضي التابعة والتي تقع ضمن ملكيتها ـ حسب مصادر أخرى[٣٤] ـ وهي كبرى قرى قضاء القدس مساحة، إذ تبلغ مساحتها بالدونمات، المشجرة والمخضرة بـ ١٥٠٢٩ دونماً، وتقوم القرية على مساحة ١٠٣٤ دونماً.

وقد ضمت عين كارم مواقع كثيرة وخرباً متفرقة هنا وهناك وأصبحت تكوّن في معظمها عين كارم (الكبرى) إذ كانت عين كارم القديمة هي منطقة العين ومنطقة (الدير) في الوسط بالقرب من (البد) وهو مكان لأطلال قديمة يعتقد أن الأهل الأوليين كانوا يقطنون هذا المكان ومنطقة تسمى «بالحرجة» بالقرب من مقام الحاج عيد والمسجد العمري القديم.

ومن هذه الخِرَبْ ما كانت تسمى (حريش) أيام الرومان وهي حاراش، في أقصى الغرب، وخربة الجبيعة، وبيت مزميل أو ما كانت تسمى (بيت مدميل) خربة الحمامة، في أقصى الشرق بالقرب من المالحة.

وعلى امتداد محيطها في الجهات الأربع، تحدها من الغرب القسطل وصاطاف، ومن الجنوب الجورة، ومن الشرق المالحة على أطراف مدينة القدس، ومن الشمال دير ياسين، وقلونية التي تفصلها عن عين كارم طريق القدس يافا.

وتقع على أطراف حدود عين كارم الشمالية الشرقية مستعمرة بيت فاغان وبيت كارم القريبتين من موقع الشرفة على الطريق الرئيسي عين كارم/ القدس، والتي تربط عين كارم بلفتا القرية العربية الصغيرة.

ولها اتصالات حدودية بصوبا من الغرب، وبمستعمرات يهودية هي بيت فاغان وبيت كارم

من الشرق التي لا تفصلهما عن عين كارم سوى كيلومترين أو ثلاثة، وكما ذكرنا فإن عين كارم تبعد عن كل من المالحة، والجورة، ودير ياسين بكيلو متر واحد..

ونظراً لسعة حدودها فإن قرى كثيرة غير التي ذكرت ـ عند عملية تحديد القرية ـ لها اتصال مباشر أو غير مباشر بها.

وكذلك عن طريق الاحتكاك (السكاني) للزيارة الشخصية، بحكم المعرفة والجيرة والاتصالات التي تحمل طابع (المصلحة) كالتجارة أو تبادل المنافع، أو قيام سكان تلك القرى بعصر زيتونهم في عين كارم، أو طحن حبوبهم في مطاحنها، أو لتسويق حاجياتهم لدى سكان القرية.

من هذه القرى[35]، لفتا في الشمال الشرقي، وصوبا والقسطل، وأبو غوش أو قرية العنب في أقصى الغرب، وخربة اللوز على مشارف باب الواد، وقولنية في أقصى الشمال. ورأس أبو عمار في الجنوب الغربي.

كذلك فإن قربها من القدس يجعل من حدودها ذات اتصال دائم بالقدس عن طريق القطمون باب الخليل.

وأما رأس عين كارم أو (الشرفة) فهي نقطة الاتصال بالمناطق الشمالية وبالقدس، ومنطقة رأس التوتة بالمنطقة الجنوبية، وبيت مزميل بالمنطقة الشرقية والمالحة.

والقرية تأخذ شكل المربع تقريباً، وهي متعرجة متداخلة الحدود من الجهة الغربية ومستقيمة من الجهات الثلاث الأخرى.

وتعتبر عين كارم مدينة وإن كانت ـ مشيخة بني حسن ليست فيها ـ إلا إنها أكثر هذه القرى حركة ونشاطاً من الناحية العشائرية والسكانية والسياحية والتجارية، بما فيها من حياة اجتماعية واقتصادية ووطنية ضمن الحدود ـ المتواضعة لهذه المفاهيم ـ.

وقد لقبت بأنها (كرسي بني حسن).

وبينما الكرسي الرسمي والحقيقي في المالحة الذي يقع فيها منزل عبد الفتاح درويش ـ شيخ بني حسن ـ وهو «ولجي» الأصل أي من ابناء قرية الولجة القريبة.

وفي أحد المصادر القديمة التي ورد فيها الحديث عن حدود عين كارم ذكر إنها تقع على بعد سبعة كيلو متر غربي القدس بانحراف قليل إلى الجنوب يحدها جنوباً الولجة وشمالاً قلونية

وعين وكاووت»[36] وبختيار، وغرباً عين الشقاق، وشرقاً المالحة. وتوجد فيها عين مقدسة تسمى عين ستي مريم.

وهذه حدودها في القرن السادس عشر الميلادي...

كشف تفصيلي لمساحة عين كارم[37]

والمساحة بالدونم

	المساحة	الأراضي المروية	الأراضي المزروعة بالحبوب
عرب:	١٣٤٤٩	٧٩٥٣	١١٧٥
يهود:	١٣٦٢	٢٧	٢٤
مشاع/ عام:	٢١٨	—	—
المجموع	١٥٠٢٩	٧٩٦٠	١١٩٩

	الأراضي المبنية	أراضي غير مستصلحة	المجموع
عرب	١٠٠٧	٣٣١٤	٤٣٢١
يهود	٦٣٠	٦٥١	١٣٣١
مشاع/ عام	١٧	٢٠١	٥٨٧٠
	١٧٠٤	٤١٦٦	٥٨٧٠

التضاريس الطبيعية:ـ

بحكم موقعها المتميز (٥٠٠ـ٦٠٠م[38] عن سطح البحر) وبتنوع تضاريسها، ففيها الجبال العالية والوديان العميقة، وفيها السفوح الهادئة الميلان، وفيها الحبائل الموزعة على قمم وفي بطون الجبال.

وفيها الينابيع الموسمية، وفيها العيون الجارية على مدار العام، المتدفقة من باطن الأرض... ومياه جوفية وجارية، منعشة وعذبة.. كلها تتشكل بفضل ما ذكرناه عن الموقع الجغرافي المتميز.

وكسباً للجهد والوقت ولتنظيم الحديث عن هذه التضاريس، يمكننا أن نتناول الحديث على الوجه التالي:

١ـ الجبال.

٢ـ السهول والسفوح.

٣ـ الوديان.

٤ـ العيون والينابيع.

١ـ الجبال :ـ

جبال عين كارم هي امتداد لسلسلة المرتفعات الغربية الممتدة من جبال نابلس مروراً بجبال القدس وانتهاءً بجبال الخليل.

جبل الزيتون ٨٣٠م، وجبل الطور ٨٨١م.

وجميعها جبال خضراء تغطيها أشجار الفاكهة بشتى أنواعها والأشجار الحرجية وأشجار الزيتون المباركة..

وهناك مواقع تغطيها شجيرات صغيرة «شجيرات البطم»، وشجيرات (التشّ) وهي شجيرات يستفاد منها في أمور مهمة ـ آنذاك ـ التحطيب لأغراض الخبز، والطهي وللدفء ـ أيام الشتاء ـ، كما يستفاد منها في «صنع» مكانس القش لاستعمال منزلي محدود.

من هذه الجبال: جبل العقود الذي يقع شمالي القرية ويفصل القرية عن دير ياسين ويمتد شرقاً حتى يتصل بمنطقة «الشرفة» على الطريق المؤدية إلى القدس عند رأس الكبك وهو جبل عال ذو سفوح شديدة الانحدار، ولكن بفعل اهتمام أهل القرية بالأرض تمكنوا من الاستفادة من هذا الميلان في إقامة حبائل خضراء هنا وهناك، وفي (سلسلة) مواقع كثيرة منه من أجل تخضيرها، وزرعها بالشجر المثمر، وعلى مر الزمن فقد اصبح العقود جبلاً أخضر غني بفاكهته وخضرواته وزيتونه، وكثرت فيه المصايف الخاصة.

يبلغ ارتفاع هذا الجبل في أعلى قممه (٥٠٠) متراً فوق سطح البحر، ولذا فإنه يطل على باب الواد طريق القدس يافا. وهو يواجه المنطقة الغربية بوضوح، وبتحد... وشموخ. مزهواً بخضاره وأشجاره والحركة الدائبة فيه من قبل أهله وأصحابه، ويبدو إنه سمي بالعقود، لأنه يتكون من عقدة فوق عقدة فوق عقدة، بما يشبه شكل المخروط أو الهرم ذي القاعدة الواسعة القوية التي تتقارب ضلوعه شيئاً فشيئاً... (حتى يتم اللقاء) عند القمة وكان له دور كبير في مواجهة (العدو) وسقط على قمته شهداء كثيرون!)

٢ـ جبل رأس التوتة ـ أو جبل مسكرى ـ كما إنه أصبح اسمه على كل لسان عند أهل القرية، ففي السنوات الأخيرة من حكم الانتداب، وتلك قصة سنسوقها فيما بعد إذا اتيحت لنا الفرصة، ويقع جنوب شرقي القرية وفي مواجهة جبل العقود، ويقارب ارتفاعه (٥٠٠م) وهو جبل أخضر بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وسفوحه ليست شديدة الميلان فهي مريحة وجميلة وكثيرة الأشجار والزروع، وتصل هذه السفوح في ميلانها حتى تتلامس تدريجياً مع منطقة العين في وسط القرية الجنوبي ومن الشرق الغربي منطقة (المربعة) وفي الغرب منطقة بالصلاحية ـ، وهو

يطل على الجورة والولجة ورأس أبو عمار، ويطل إلى جهة الشرق في مواجهة كريمزان وهو جبل عال (٩١٤م)، يقع على شرفات بيت جالا.

ولعله من المناسب الآن أن أذكر التسمية الحديثة التي اكتسبها هذا الجبل بمسكرى (مس كري).

ومس كري سيدة بريطانية، سكنت رأس الجبل في بيت أشبه بقلعة صغيرة، جاءت في مهمة تبشيرية لإحدى الجمعيات البروتستنتية البريطانية وقد أحبت القرية لهذا اتخذت منها مكان الإقامة والعمل.

وقد كانت اتصالاتها مع رجال القرية في البداية كمبشرة، ولكنها ما لبثت أن اعتبرت نفسها صديقة... لعدم (التجاوب) في مهمتها الأصلية، غير إن اتصالها بالأديرة وبأهل القرية من النصارى كان متواصلاً.

وقد تعهدت المس كري أن تقوم بتعليم اللغة الانجليزية لبعض شباب القرية (الطموحين) إعراباً عن رغبتها في خدمة القرية، فقام بالمقابل البعض بتعليمها اللغة العربية حتى قيل إنها اصبحت تتحدث العربية بطلاقة.

ورأس التوتة هذا كان المفترق الذي وقف عندها الأهل ليلقون النظرة الأخيرة من على قمته الخضراء بعد تصميهم على الرحيل عن القرية، بحكم الأوضاع الجديدة المؤسفة والمؤذية. ولكل عكرماوي ذكريات أليمة مريرة أثناء قيامه بعملية الوداع ـ المحزنة هذه ـ.

ولا ننسى إن رأس التوتة كان قد شهد معارك كثيرة تلك التي كانت تدور رحاها بين حامية القرية وبين العصابات اليهودية الغازية، وقد استشهد كثير من ابناء القرية في تلك المعارك دفاعاً عن الوطن. وكانت قيادة حامية الجيش العربي الأردني قد اتخذت من هذا الجبل مركزاً لعملياتها في القرية.

٤ـ جبل رأس المدورة، وسمي بهذا الاسم لانه ذو رأس مدبب يتخذ شكلاً دائرياً ويقال إن شكله جميل وملفت للنظر، ويطل من يقف على (هامته) على الطريق المؤدي إلى القدس ـ يافا بالقرب من قرية قلونية شمالاً.

وهناك جبال متفرقة صغيرة تحيط بالقرية من كل جانب، حيث إن القرية هي نفسها قرية جبلية تضم بين حنايا هذه الجبال بعضاً من نفسها، فيحنوا بعضها على بعض.

وفي وسط القرية المعروف بأنه أشبه بواد واسع جميل سمي (بوادي عين كارم) تقوم على اطرافه جبال صغيرة وخضراء جميلة، وتسمى تلك المنطقة العالية نسبياً (بوعر النصارى) التي يملكها بعض من النصارى من عائلة راحيل، ولذا سمي في وقت من الأوقات (بوعر راحيل) نسبة إلى عائلة راحيل.

كما أن هناك عائلات من النصارى تتخذ منه مسكناً بما يشبه التجمع ومن الذين كانوا يسكنون بطن هذا الجبل «يعقوب عيسى» مختار النصارى المعروف في ذلك الوقت.

٢ـ السهول :ـ

ليس في القرية سهول تذكر ـ بمعنى السهول ـ جغرافياً، بيد إن هناك قطعاً منبسطة من الأراضي يزرع فيه القمح والشعير للاستهلاك المحلي الخاص.

ومن هذه السهول «سهل الخاص» في بطن ذلك الجبل الذي تحدثنا عنه آنفاً، والذي يمتد بصورة متقطعة حتى يتصل بموقع الصلاحية بالقرب من العين.

٣ـ الوديان :ـ

من الطبيعي أن تتميز المنطقة ذات الجبال الشاهقة بوديان عميقة وطويلة وكثيرة، وفي عين كارم وديان مريحة ذات انحدارات طفيفة، ومثمرة اثماراً جيداً بالحبائل والمثمرة بالأشجار المثمرة وكما ذكرت فإن عين كارم هي وادي كبير معاكس سمي بوادي عين كارم، والوديان في عين كارم هي وديان جارية غنية ورطبة، والوديان في معظمها خضراء، نظراً للمعطيات التي منحت للقرية من موقعها الذي حباها الله في منطقة جبلية دافئة مباركة.

ومن أهم هذه الوديان الشرقية والشمالية بالقرب من بيت حالا، وداي أحمد، وادي البدوية ووادي ذياب بالقرب من الشرفة ويتصل في طرفه الجنوبي بقرية المالحة، وفي طرفة الشمالي يتصل بمستعمرات بيت فاغان التي أنشئت بعيد ظهور وعد بلفور على الساحة السياسية في العشرينات من هذا القرن.

وادي عين رواس في أقصى الغرب، بالقرب من منطقة حاراش على الطريق الموصلة إلى صاطاف وصوبا وخربة اللوز والقسطل.

٣ـ وادي الصرار، وهو الذي يبدأ بالقرب من مدينة رام الله متجهاً إلى قلونية مروراً بطرف القرية الشمالي مكملاً طريقه إلى باب الواد باتجاه روبين في منطقة الرملة وهو ليس من وديان (عين كارم)، ولكنه ذو صلة ما بها!

ووديان عين كارم، تتخذ اشكالاً هندسية جميلة، بفعل تأثير جريان مياه الأمطار التي تأكل الأطراف الصخرية للوديان سنة بعد سنة فتحدث فيها بعض (الشروخ) التي تتحور وتتحول إلى مناظر جميلة.

وهناك وادٍ آخر، هو وادي يوسف، جنوب غربي القرية، الذي تكثر على اطرافه الأشجار الباسقة من اشجار الفاكهة وأكبرها اشجار التوت، والكرمة وغيرها.

وإذا ما اعتبرنا إن منطقة خلة الجنابن بالقرب من العين من أعمق وديانها بسبب انخفاض هذه المنطقة التي تمتد إلى وادي الغزلان في منتصف الطريق إلى حاراش ومنطقة خلة الجنابن، منطقة خضراء، حيث يزرع فيها الخضروات بشتى أصنافها، بالإضافة إلى إنها ممتلئة على سعتها بالأشجار سيما الفاكهة، ومن أجمل اشجارها وأثمارها كانت اشجار (الأجاص) الكمثرى، والتفاح السكري والتوت الأبيض والأسود.

وهذه المنطقة من القرية دائمة الخضرة كما ذكرنا، بسبب قربها من العين الرئيسة حيث لا يفصل بينهما إلا شارع يسمى شارع العين.

٤ـ العيون والينابيع :ـ

التسمية أكبر دلالة على الطبيعة التي منحتها قريتنا الجميلة منذ فجر التاريخ فقد عرفت القرية بأنها عين... ستي، مريم، البتول الكرم، والاسم الاصلي والعربي لها والذي عرفت به هو عين كارم.

والحديث عن عين كارم، أولاً حيث إنها «الهوية، والعنوان، والدلالة».

تقع العين في الطرف الجنوبي من وسط القرية، تقع في اسفل امتداد جبل الصلاحية، أو بداية تكوين جبل رأس التوتة الذي يحمي القرية من الشرق والذي ينحرف جنوباً بالقرب من قرية الجورة كما إنها تقع ـ العين ـ في نهاية الطريق المستوية والتي تربط وسط القرية عند باب الدير الكبير وفي نهاية الطريق المؤدي من أقصى الشرق المنحرفة شمالاً والتي تصل القرية بالقدس، وتقع في مكان قريب نسبياً بالنسبة لأهل القرية الذين اعتادوا منذ قديم الزمان على الاعتماد على العين فيشربون ويسقون هم وأغنامهم وحلالهم، ويقومون بغسل ملابسهم وحمل مائها إلى البيوت التي لا تملك (ابياراً) علماً بأن معظم بيوت القرية كانت تبنى في الوقت الذي تحفر بجوارها بئر تقضي حاجتهم، إلاّ إن مياه العين ـ لا غنى لهم عنها ـ ولعل هذا الأمر له علاقة بمحبتهم لها منذ القدم ولعله عامل نفسي أكثر منه عاملاً (مادياً).

وموقع العين القريب من نقطة الاتصال بالقرى المجاورة كصوبا وصاطاف وخربة اللوز حيث إنها ـ العين ـ تستقبلهم عند وصولهم إلى القرية من الجهة الغربية، ترحب بهم فيروون ظمأهم. . ويشربون هم وحميرهم وبغالهم ومن ثم يواصلون سيرهم إلى القدس مشياً على الأقدام أو بالباص. فعين كارم، بحكم العين، هي محطة اتصال وتوصيل (ترانزيت) كما يعرف اليوم في مفاهيمنا الحديثة. وإذا كانت حاجتهم في القرية يقضونها فيكونون بذلك قد حلّوا ضيوفاً مكرمين على العين وأصحاب العين.

والعين كما هو وارد في التقاليد إن سيدتنا مريم كانت تتردد عليها وتحضر الماء إلى خالتها القديسة اليصابات المقيمة في مقام سيدنا زكريا في أقصى غربي القرية مع انحراف إلى الجنوب في المنطقة المعروفة بدير يوحنا أو كنسية الزيارة القريب من المسكوبية «الكنسية الروسية».

أما مصادر المياه الرئيسة للعين هي مياه الأمطار والمياه الجوفية التي تغذي الأرض الخصبة، وتختزن في العمق من أطراف الجبال المحيطة بها وهي جبل الصلاحية ومنطقة وعر النصارى ورأس التوتة فتنفذ إلى العين من الداخل.

ومن المعروف إنها ـ العين ـ عين جارية منذ فجر التاريخ، ولم تذكر لنا الكتب والأساطير، والتقاليد الموروثة إن العين توقفت يوماً واحداً عن العطاء، فهي عين مباركة، ومقدسة، ولم يحدث إنها قننت يوماً، أو إنها خضعت (لتمديد مواسير أو تحديد للمجاري) والطرقات وقد عمدت السلطات الاسرائيلية إلى تقنينها وتحديد مجراها. . . فقلّت «بركتها» وهو ليس من قبيل (الاستهواء النفسي للعين)، بل هو من قبيل تسجيل حقيقة تاريخية إن العين لم تعد عيناً مقدسة في ظل الاحتلال الصهيوني للقرية.

والعين أو البناء المتواضع الذي يحتضن مصب الماء بين جدرانه.

فيقع مصب العين وهو عبارة عن حجر كبير حفرته المياه فجعلته كما يشبه القناة «المكّرة» الحجرية المفتوحة على شكل الفم. .

وفم العين مركب في غرفة صغيرة متواضعة حجرية ذات أقواس عالية وسقف منخفض لا يعلو أكثر من ثلاثة أمتار وأما مساحة الغرفة فهي ثلاثة أمتار طولاً، وأربعة عرضاً تقريباً.

والمياه تصب من الفم إلى العين إلى قناة حجرية أيضاً تقع وسط الغرفة وتجري فيه المياه وعلى طرفي القناة تعلو بسطة حجرية بما يشبه الطاولة، حيث تقعد النساء بجوارها، على أحجار مربعة كالكراسي ينشدن الراحة وهن يقمن بعملية غسل جماعية متقوعة بكثرة فوق الماء!

والمنظر تراثي تقليدي قديم، حيث تحلو أحاديث النساء، وحكاياتهن وخفاياهن. . فمنهن من يقمن بعملية الغسيل وينصرفن ومنهن من يعبئن جرارهن ويحملنها على رؤوسهن ويعدن إلى بيوتهن القريبة أو البعيدة، فالأمر سواء، لأن العين قريبة ـ نفسياً ـ وإن كانت تبدو بعيدة على الأقدام لأول وهلة!

أما الرجال الذين يأتون لحمل الماء فهناك البغال أو الحمير، وأما من يقصدون الوضوء فالمسجد قريب وهو بجوار العين وحوض الوضوء الذي يعبأ من العين (بالتنك) والجرار يسد حاجتهم. . للوضوء وللغسيل وللنظافة. . في حالة خلو غرفة العين من النساء.

وللعيون ضيوف وزوار ورواد مستفيدون من أهل القرية ومن القرى المجاورة، ومن الأوروبيين الذين كانوا يحجون إلى الأرض المقدسة، فيأتون إلى القرية للتبرك بها وللوقوف على آثارها التاريخية ولإرواء ظمائهم من مياه عين كارم العذبة.

لعلني تحدثت عن عين كارم بما فيه الكفاية، وفي الحقيقة إنني لن أكف عن الحديث عنها، لأنها رمز محبتنا ورمز انتمائنا وتفكيرنا. . . ربما لأنها ليست في اليد وإذا ما عادت يوماً فنرجو أن تظل رمزاً وانتماءً ومحبةً. . . والله عنده علم الغيب وحده.

ويجب ألا يمنعنا الحديث عن العين في عين كارم عن الحديث ولو بقليل من التفصيل عن العيون والينابيع الأخرى التي تنتشر هنا وهناك في جبال وحنايا وسهول القرية ووديانها منها:

١ـ عين رواس شمال غربي القرية، وقد سميت بالرواس نسبة إلى أحد شيوخ الطرق الرفاعية.

٢ـ عين بعفيشة. وعين الحنية (عين الحنو)، وعين الشقاف غربي القرية مع انحراف إلى الجنوب حيث ذكرنا إنها كانت نهاية حدود القرية في القرن السادس عشر وعين الخندق، وعين الخارجة، وأما عين زكريا فيقال إنها بالقرب من العين الرئيسة.

ومعظم هذه العيون إن لم تكن جميعها تقع في الجهة الغربية من القرية لأنها الجهة الأغنى طبيعة والأوطأ من حيث الموقع. . ومن حيث طبيعة الأرض الخضراء المليئة بالزيتون والكرمة وأشجار الفاكهة سيما التين على اختلاف أنواعه وألوانه.

وأما المنطقة الشرقية فهي منطقة أعلى من المناطق الغربية، وتعتمد على مياه الأمطار وعلى الشتاء الزاخر بالخيرات.

وهذه العيون لا تجف حتى أيام الصيف، وأقلها ما تقل فيها المياه لفترة قصيرة ولكنها لا تتوقف عن العطاء إلا نادراً.

ولذا فتكثر حولها البساتين الصغيرة التي تزرع فيها الخضار للحاجة اليومية وأما المنطقة التي تزرع فيها الخضار ويستفاد منها (تجارياً) حيث تسوق في القدس فهي منطقة خلة الجنائن القريبة من العين الرئيسة، حيث تقنى المياه الجارية وتوزع بين أصحاب الأرض على جانبي وبالقرب من الأقنيات التي تعد من قبل المزارعين.

ومن الخضروات، الفلفل، الباذنجان، البندورة، السلق، السبانخ، القرنبيط، الكوسا، والخس، والكرنب.

٥ـ المناخ والعوامل الجوية :ـ

يتبين لنا من خلال الموقع الجبلي المتميز لعين كارم، فإنها تبعاً لذلك تتمتع بمناخ معتدل ذي سمات متميزة أيضاً.

فشتاؤها ماطر دافىء حيث يتجاوز معدل كميات الأمطار السنوي الـ ٥٠٠ ملم[٣٩].

وصيفها حار وجاف نسبياً، والرياح الغربية التي تهب عليها من البحر الأبيض المتوسط الذي يتمتع هو الآخر بمناخ يسمى باسمه، للدلالة على تميزه.

تنفذ هذه الرياح إلى القرية من خلال «باب الواد» وقد حملت معها شيئاً من الرطوبة لتلطف الجو العام.

أما الرياح الشرقية «فتنحدره إليها من شرفات بيت مزميل، فتخف حدتها قليلاً.

وبهذه المعطيات المناخية جعلت من عين كارم متنزهاً كبيراً وجميلاً بالإضافة إلى كونها قرية مقدسة نظراً لتعدد أديرتها وكنائسها، فكانت محجاً لحجاج الأراضي المقدسة، وللسياح الأجانب والعرب، وكانت أيضاً محل نصيحة المسؤولين في دائرة المعارف العمومية بفلسطين، حيث كانت تنصح بتسيير الرحلات المدرسية إلى عين كارم كما سنبين لاحقاً.

٦ـ المقومات الاقتصادية :ـ

لم تكن في القرية لتملك جميع المقومات الاقتصادية الكاملة لتصبح قرية مثالية (تأكل مما تزرع وتلبس مما تصنع) التي تهيىء لها هذه (المقولة) حياةً كريمةً وعيشاً رغداً، حيث يندر أن يتوافر لأي مكان في هذا العالم هذا الوضع، بخاصة في القرى والمدن الفلسطينية التي كانت الظروف السياسية تثقل بكوابيسها على الوطن والمواطن.

بيد أننا نستطيع أن نشير بالحقائق إلى بعض من المقومات الاقتصادية المتواضعة التي كان

من أبسط غاياتها هو توفير مصادر الرزق للأهل الذين حرموا كغيرهم من الحماية والعناية من قبل السلطات الرسمية المسؤولة، وأن أهم مصدر لتوفير الرزق هو الأرض وما تخرجه لهم من شجر وثمر.

من هذه المقومات المتواضعة :ـ

١ـ الثروة الحيوانية :ـ

ولأنها قرية زراعية يعيش أهلها على ما تخرجه لهم الأرض، فإنه لا بد وأن نشير إلى اهتمام الأهل باقتناء الحيوانات والعمل على تربيتها، لتسهم معهم في مواجهة ظروف الحياة الصعبة، وفي القيام بالأعمال الزراعية المطلوبة.

من هذه الحيوانات، الماشية كالأبقار والأغنام (أما الجمال فقد كانت نادرة)، وتربيتها كانت للاستفادة من لحومها وحليبها للتغذية التي تغنيهم عن كثير من المشاق والمتاعب وكان يستفاد منها محلياً وليس تجارياً.

وما يفيض عن الحاجة ينقل ويباع في أسواق القدس والمستعمرات المجاورة.

أما اقتناؤهم للحمير والبغال التي كان يستفاد منها في أمور الزراعة للحرث وقلع وجنى الثمار وبخاصة الزيتون.

كذلك تستعمل كوسائط للنقل داخلياً إلى الكروم والمروج (وللسفر على متنها إلى القدس واللد والرملة).

وكانت الحاجة إليها ملحّة لكل بيت، وكانت شغل الكثيرين الشاغل حيث يشترونها ويبيعونها وكان سوق (الحلال في اللد) هو المكان الأنسب ـ وكان يعتبر أكبر سوق للحلال في فلسطين ـ لشراء الأفضل، كذلك في سوق القدس.

وبالنسبة للأغنام، الماعز والضأن فكانت تربى عند البعض بشكل تجاري حيث كان البعض يقوم (باستيرادها) من شرقي الأردن، وكانت تبلغ أعدادها بضع مئات عند بعض الناس «التجار»، ومن هؤلاء اسماعيل يعقوب، ومحمد جابر.

أما تربية الدواجن فجديرٌ بأن ننوه عنها ولو قليلاً، حيث إنها كانت ذات اهتمام كبير عند البعض الذين كانوا يستعينون من البيض واللحوم محلياً وتجارياً حيث يقومون بتسويق الفائض عن الحاجة في أسواق القدس والمستعمرات القريبة.

وبالنسبة للبط، والحبش، والأوز، فكانت تربيته أقرب إلى الهواية منها إلى شيء آخر، كذلك تربية الأرانب كان لها من يرعاها.

ونود أن ننوه إنه لم يكن هناك أعلاف خاصة لتغذية الحيوانات والدواجن التي ذكرت، الذي كان متوافراً هو ما يتم الحصول عليه من قرى دير إبان وبيت نتيف ومن قرى العرقوب ومن القرى الفلسطينية الوسطى التي تعتمد في زراعتها على زراعة الحبوب والحنطة.

٢ـ الثروة الزراعية :ـ

أهل القرية بحكم موقع قريتهم، فلاحون، يحرثون الأرض ويقلعونها.. ويزرعونها بأجمل وأفضل الأشجار ذات الثمار الزكية.

وإذا ما تحدثنا عن الزراعة فأول ما يتبادر إلى أذهاننا هو أن نتناول شجرة الزيتون المباركة، ولقد مرَّ ذكر هذه الشجرة في هذه الراسة مرات ومرات مع ذلك أخشى الملل من ذكرها.. لأنها ذُكرت في القرآن الكريم بصيغة القسم «والتين والزيتون وطور سينين».

وبداية من موسم الشتاء فإن الحياة الزراعية تدب في أوصال أهل القرية جميعاً ليحرثوا الأرض ويتابعون العناية بها حتى موسم القطاف وجني الثمار.

وكان أهم مواسم القطاف، هو موسم قطاف الزيتون وما كنا نسميه (بالجداد) لأن الفلاحين كانوا يتعاملون بالجدادة مع الأغصان الطرية!

كان موسم القطاف عرساً لكل بيت، ومهرجاناً وطنياً للجميع، ففيه المتعة لأنه جاءهم بالخير العميم.

يكاد لا يخلو بيت من بيوت القرية إلا وفرحة الزيتون تملأ عليه حياته.

كانت الثروة الزيتونية أكبر مصدر للرزق لزيادة الدخل القومي!! والتي تبنى عليه حسابات كثيرة، منها الزواج وإن لم يكن الزواج معضلة كما هو الحال اليوم، حيث كان يباع الزيتون زيتاً.. وزيتوناً (رصيص) ويشترى «الذهب» ويدفع المهر وتكثر فيه الأفراح والليالي الملاح!

كان الأهل يبيعون ثمارهم في أسواق القدس وفي أسواق القرى المجاورة ويشترون بها حاجياتهم كالأدوات المنزلية، والملابس، والمواد التموينية كالسكر والأرز، والطحين.. والسمن وغيرها كذلك لشراء بعض الكماليات (النادرة) إذا جاز لنا هذا التعبير، فإنه لم تكن هناك كماليات تذكر قياساً للكماليات التي نتعامل بها ونعتمد عليها اليوم في عمليات التكيف المتوالية

والمتغيرة مع متغيرات ومتطلبات الحياة، الحديثة في عصر العلوم والحضارة والتكنولوجيا.

وكان أكثر ما يتوفر من كماليات، الراديو والميكرفون!!

ويحق لنا أن نقول إنه كان لدينا ثروة زراعية كبيرة، كان على آبائنا وأجدادنا توجيه هذه الثروة واستعمالها في طرقها الأساسية، والاستفادة منها في تحسين أحوالهم ولكنها ظروف حياتهم السياسية والاجتماعية، وظروف حكم انتداب المستعمرين لديارهم حال دونهم ودون الاستفادة الكاملة من الثروة الزراعية الوطنية التي ذكرناها منذ قليل.

كان تعامل الآباء مع الثروة الزراعية تعاملاً بدائياً، فالفاكهة للمائدة، والخضرة للمائدة، والزيتون للمائدة، ولم تكن الأفكار لتتجاوز أطراف المعدة!

ولو كانت الظروف مهيئة وطبيعية (لأمكن رسم سياسة عامة للتجارة الخارجية والتصدير، والتصنيع) كاستغلال زراعة الحمضيات في مناطق فلسطين الأخرى.. وصنع أنواع الفواكه المعلبة والمربيات في المناطق الجبلية.. بعد الاهتمام بالزراعة اهتماماً علمياً منظماً وموجهاً من قبل الحكومة التي ترعى شؤون ومصالح الأمة... ولكن لا حكومة ولا دولة ولا سلطة والحمل على الغارب.

ونعود إلى الزراعة والثروة الزراعية والأثمار والخيرات التي منحها الله لهذه المنطقة (منطقة القدس ومنها عين كارم) فالقدس كما ورد في كتب الرحالة والباحثين القدامى إنها أكثر بلدان فلسطين خصباً حيث تحيط بها بساتين وكروم ومزارع وأشجار فاكهة وزيتون وتنتشر حولها قرى كثيرة الزروع والأشجار، وقد ازدهرت فيها زراعة الأترج واللوز والجوز والرطب والتين (والموز في أريحا والأغوار) فضلاً عن السماق وعلى بعد فرسخين منها (من القدس) شهد ناصر خسرو[٢٠] أربع قرى متجاورة سميت الفراديس لكثرة حدائقها وبساتينها وجمال موقعها وبسبب كثرة خيراتها رخصت فيها الأسعار، سيما وإن معظم مزروعاتها تعتمد في سقيها على مياه الأمطار، إلا أن كثرة مزروعات القدس وما حولها وفرة، ولا شك إن الزيتون الذي يستخرج منه الزيت، ولما زار ناصر خسرو القدس قال: إن فيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف (منّه) ـ وكانت المنّه وحدة وزن في تلك الأيام ـ يحفظونها في الآبار والأحواض ويصدرونها إلى العالم.

وإذا توقفنا قليلاً عند العين ونظرنا إلى الغرب بعيداً بعيداً.. فإن الشجرة المسيطرة هي الزيتون، وإذا ما القينا ببعض النظرات المتأنية على بعد خطوات من أقدامنا على المنطقة المسماة (بخلة الجنان) فإنك ترى قطعة من الجنة، حيث يربحك النظر إلى الأشجار العالية

ذات الأثمار الزكية والقطوف الدانية.

فترى الكمثرى، والمشمش، والخوخ والسفرجل، والتين والتفاح والأجاص والرمان والتوت.

وإذا ذهبت إلى المنطقة الشرقية إلى المربعة، وشعب نعمة، ومنطقة رأس التوته فإنك ترى الذي رأيته.

ومما يلفت النظر إن التين مثلاً أكثر من عشرة أنواع فهناك التين (الخضاري والسباعي، والأسود، والموازي، والمليصي، السوادي، الكراوي النعيمي، الشناري، وأسماء أخرى وأنواع أخرى من نفس الصنف.

والتوت ثلاثة أنواع الأسود والأبيض والأحمر!

كذلك فإذا نظرت إلى شجرة الكرمة فتقف عند اسماء كثيرة، الجندلي، الدابوقي، الأسود، والحمداني.

وإذا ما نظرت إلى شجرة الخوخ، فترى الخوخ أبو فروة ـ المخملي ـ البنجر، والأصفر، والأحمر.

والزيتون أنواع أو اسماءً كثيرة... منها الزيتون الروماني ذو الحبة الكبيرة نوعاً ما والغنية بالزيت.. وأما الأرض التي كانت تزينها أشجار الزيتون فتقارب ٤٣٠٠ دونماً.

ويعتبر زيتون عين كارم وبيت جالا من أفضل الأنواع.

وهناك الزيتون الإسلامي وهو لا يعرف بهذه الأسماء ولكن المؤرخين قسّموا الزيتون من حيث عمره إلى روماني وإسلامي.

وفي كتب المؤرخين يذكرون إن عين كارم من القرى التي تشتهر بزراعة الفواكه ومنها شجرة الكرمة (العنب).

ومن القرى التي تزرع وتعتني بشجرة الكرمة ـ حسب أقوال المؤرخين أيضاً ـ لفتا بيت صفافا، شرفات... والبقعة في القدس، وكانت البقعة قديماً قرية من قرى القدس!

كما إنه كان في عين كارم نباتات برية وشجيرات (جبلية) نافعة ومفيدة لم تستثمر لأن الافتقار إلى الوعي الوطني حال دون استثمارها وفقدان القدرة والإرادة على توظيف المعطيات التي منحنا إياها خالق السموات والأرض، من هذه النباتات على سبيل المثال لا الحصر.

الميرمية، الزعتر، رجل الحمامة، القريعة، الشومر، الشيح، شجرة الفلفل، والجعدة، والبطم، وإن بعض هذه النباتات يمكن الاستفادة منها غذائياً من حيث إنها الأطعمة المقبلة مثل الخردل Mustard وورق الغار Bay leaves والهيليون Asparsgus والكُبارا Capers والحصليان Rusmery.

وإن الأرض التي تنتج هذه النباتات هي أرض فلسطينية... وعين كارم قطعة من هذه الأرض.

فالظروف كلها ملائمة والأسباب متوافرة، وإن المناطق التي تقع غربي القرية هي موطن معظم تلك النباتات في مراح الهو والدوامة، ووادي الغزلاني، وعين الحنية، وبير الشقاق، التي أقام بالقرب منها الكيان الاسرائيلي مستشفى هداسا كما ذكرنا سابقاً.

ويمكننا أن نستنتج من ذلك إن قرية عين كارم قرية زراعية غنية ذات محاصيل وفيرة متعددة، وإنها مع القرى المجاورة كانت تحقق مبدأ التكامل الاقتصادي دون أن تُدري ولا تُدري، ودونما دراسات استراتيجية أو دراسات اقتصادية عصرية.

ومما يذكر إن العدو الاسرائيلي قد انشأ عام ١٩٥٣ مدرسة زراعية فيها على خلفية تلك المعطيات.

٣ـ الصناعة :ـ

فلسطين، والبلاد العربية ـ عموماً ـ لم تكن بلاداً صناعية، في ذلك الوقت، وفي وقتنا هذا، بدأت بعض هذه البلدان بالفعل في التوجه إلى الميادين الصناعية، كي يكون هناك تكامل ما مع التوجهات الزراعية، والاجتماعية وفتح الطريق أمام توجهات حضارية وتكنولوجية وعلمية، من أجل رفع مستوى الأمة، إلى مراقي العزة والسؤدد وللتخلص من براثن عقدة ما يسمى (بالعالم الثالث).

لم تكن حينذاك في فلسطين نهضة صناعية، أو زراعية، أو نهضة علمية وتكنولوجية حيث إن الانتداب البريطاني، والمطامع الصهيونية، وخروج البلاد بأكملها من الخلافة العثمانية الإسلامية ودخولها في حومة حرب عالمية أولى، ومرورها ومعاناتها من حرب عالمية ثانية، ووقوعها تحت كاهل حرب شرسة، حرب استيطانية صهيونية، وما سبق ذلك من ضراوة المقاومة مع الجنود البريطانيين ومع العصابات الصهيونية التي تلقت الدعم ـ وتتلقى ـ من التاج البريطاني، والبيت الأبيض والكرملين.

وعلى الرغم من تلك الأوضاع السائدة، فقد كانت هناك صناعات خفيفة، منتشرة هنا وهناك في القدس ويافا وحيفا والخليل، وغيرها من المدن الفلسطينية.

الصابون في نابلس والزجاج ـ المزهريات والصحون والمنافض التقليدية التراثية ـ في الخليل. ومصنع النسيج في بيت لحم، والصناعات السياحية التقليدية في القدس كالأصداف والمسابح في بيت لحم، وفي بيت جالا واللطرون، كذلك صناعات المياه الغازية في القدس ويافا وغيرها.

وإذا ما تجاوزنا المدن الكبيرة في فلسطين، فإننا نجد إن في قرية مثل عين كارم كان قد أقيم فيها قبل الأربعينات مصنع للمياه الغازية، ينتج أفخر الأنواع من (الكازوز) منها يحمل نكهة الفراولة أو التوت أو هو أقرب إلى نكهة شراب (الفمتو)، ومنها انتاج شراب البرتقال كالميرندا اليوم والسيدر مثل (السفن آب)، كذلك فقد كان المصنع ينتج (الصودا) وقد كانت تحمل الاسم التجاري (مياه الصحة/ عين كارم).

وقد كان الانتاج ينقل إلى المدن الفلسطينية الكبيرة عن طريق القدس، وقد أقام هذا المصنع رجل (أعمال) من عين كارم وهو محمد عبد الرحمن البكري، وقد أقامه بالقرب من المسجد والعين، وكانت هناك صناعة (الخشب) من خشب الزيتون كصنع الجمال واللواحات السياحية وغيرها، كذلك كان هناك مصنع للحياكة والنسيج والأقمشة الخفيفة، كذلك صناعة الحجارة ـ المقالع ـ المحاجر، وصناعة الصابون للاستهلاك المنزلي.

٤ـ اليد العاملة والحرف التقليدية :ـ

نظراً لقرب عين كارم من القدس، ونظراً لأن وسيلة الاتصال اليومية كانت سهلة ويسيرة فإن كثيراً من الأمور قد ترتبت على ذلك، وجاءت بالفضل والخير على القرية وأهلها في مناحي عديدة.

من هذه المناحي، اليد العاملة، والتوجه (الحرفي) حيث كان كثير من رجال القرية، رجالاً عاملين، ذوي حرف معينة يقتاتون بها، ويعيشون على معطيات ممارساتهم لها، فكان هناك العمال العاديون، وعمال البناء (البناؤون، والدّقيقة الذين يدقون الحجارة ويهذبونها ويهيئونها لأعمال البناء حسب طبيعة الحجر، وطبيعة الطلب)، كذلك كان هناك (القصيرة، والبليطة، والحجّارة الذين يعملون في مقالع القرية الغربية)، كذلك كان هناك النجارون والخياطون والسائقون والحدادون. وكان معظم هؤلاء يعملون في القدس أو في يافا أو في حيفا، ويعملون

أيضاً في يافا وصرفند والكستينة وفي المعسكرات البريطانية.

إلا إن معظم هؤلاء العمال كانوا لا يرغبون في العمل بعيداً عن القرية في مواسم القطاف «وجداد الزيتون»، لأن موسم القطاف هو موسم عيد سنوي يفرح له الجميع.

وهناك عمال كثيرون كانوا يعملون لدى الأديرة والكنائس في القرية في أعمال البناء والترميم والتنقيب عن الآثار.

كما كان هناك من يعملون في حقل التدريس في مدارس القرية وفي مدارس القرى المجاورة.

وقد كانت تلك التوجهات في مجال (اليد العاملة) الماهرة، واحتراف الكثير لمهن «حديثة» قد جلبت النفع والفائدة لهم في ديار الغربة، بعد الهجرة عن أرض الوطن في أعقاب احتلال العدو للوطن العزيز.

أما عن الحِرف التقليدية، فقد كانت محدودة جداً ولعل (المرأة) كان لها قصب السبق في ذلك حيث كانت يدها الماهرة الرقيقة تقوم بصنع أطباق (القش) كذلك مختلف أعمال الخياطة والتطريز. وخشب الزيتون كما ذكرنا.

وهي أقرب إلى الحرف التقليدية التراثية منها إلى الصناعات الخفيفة.

وهي أشد في النفس هوى، من حيث زخم العطاء، وطريقة الاداء، ومن حيث العلاقة النفسية الوطيدة ما بين (الصانع والمصنوع)، والعلاقة الوطيدة بين جوارح الإنسان، منها العينان، والشفتان، واللسان، واليدان والقدمان جميعها التي تشترك في تقديم عمل متميز مع المشاعر والأحاسيس ومع كل نبضة للقلب ومع كل رفة روح.

فبالإضافة إلى الثياب التقليدية، والأزياء الشعبية والمحلية، والخياطة، والنول، والتطريز، ونسج الأطباق، ونسج الملابس الصوفية من كنزات «وفانيلات» وغير ذلك بالإضافة لكل هذا فقد كانت هناك صناعة الصابون للاستهلاك المحلي حيث إن المادة الرئيسة متوافرة وهي زيت الزيتون غير الصافي، والذي يستخرج بعد اتمام عمليات العصر لاستخراج الزيت الصافي وهو ثروة قومية ووطنية.

وبالنسبة لشجرة الزيتون فإنه يستفاد منها ـ أيضاً ـ في صناعات التحف الشرقية (السيفونير) كالجمال والمسابح واللوحات التعبيرية، ومجسمات خشبية لبعض ما يتصل بالمعتقدات لدى الإسلام والنصرانية.. وبصورة أوضح.. بما يتعلق بالسيد المسيح ووالدته السيدة مريم عليهما

السلام، ولتلاميذ السيد المسيح . . ولوحات تمثل المائدة التي نزلت ـ بإذن الله ـ على بني اسرائيل من السماء بطلب من السيد المسيح وبإلحاح من اليهود.

لم تتطور (الحرف التقليدية) وكذلك الصناعات الخفيفة لم تصبح ثقيلة، للظروف المحيطة بالمنطقة، ولغياب الوعي والمسؤولية، ولسيطرة «الجهل» على معظم العقول التي أبطل مفعول «حركتها» منذ زمن طويل.

٥ـ التجارة:

التجارة ضمن المفاهيم التي كانت سائدة انذاك كانت تجارة محدودة إذا جاز أن نستعمل كلمة (التجارة). لكن شيئاً من هذا القبيل كان يحدث في أسواق عين كارم المحلية من بيع وشراء للفواكه والخضروات والمواد التموينية التي تتوافر محلياً بين أهل القرية أنفسهم، وقد كانت تتجاوز هذه الحدود إلى يافا وحيفا أو إلى اللد والرملة والقدس فتحمل البضائع كالزيتون والفواكه وأطباق القش والعودة إلى القرية معه بالأدوات المنزلية، والأثاث والأقمشة والحلويات والفواكه (غير المتوافرة) كالبرتقال والحمضيات الأخرى والموز، وأصناف أخرى.

وكان في القرية تجار (مال قبان) تجار جملة يمولون القرى المجاورة والقرية بالمواد التموينية كالأرز والطحين والسكر والقهوة والشاي وغيرها، وبعض البضائع الاستهلاكية، فقد كانت مركزاً تجارياً نشطاً، من هؤلاء التجار صالح قنيص ومحمد إبراهيم زايدة.

وكما هو معروف إن وسائل الاتصال والنقل ووسائط النقل بين القدس وعين كارم كانت متوافرة، والطريق إزاء ذلك قصير، والشوارع الرئيسة معبدة ومنظمة، وتربط شمال القرية بجنوبها . . . من باب الخليل وحتى العين وباب الواد.

بالإضافة إلى إن معظم أهالي القرية يستخدمون الدواب من الحمير والبغال في (عمليات البيع والشراء)، حيث كانت هذه الدواب تؤمن في (الخان) القريب من المكان الذي يتوجه إليه زائر القدس العزيز.

وكان زائر القدس «للتجارة» أو للنزهة أو للصلاة في يوم الجمعة في المسجد الأقصى يضفي على زيارته سمة جميلة، وخاصية رائعة، وهو إنه يزور القدس لأنها تمثل له الشيء الكثير. . الحياة والآمال والراحة النفسية والطموحات. . فزيارة القدس كانت أمراً واجباً ووازعاً دينياً ووطنياً وقومياً، ومحبة القدس تزداد في القلب يوماً بعد يوم.

٧ـ التركيبة السكانية / الديموغرافيا:ـ

على ذمة الراوي يقولون: تقول التقاليد الموروثة ـ المحلية ـ على ألسنة آبائنا وأجدادنا أن سكان عين كارم الحاليين هم أحفاد لأربعة أخوة، سكنوا القرية إبّان الحروب الصليبية منذ أكثر من ثمانمئة عام، كما تشير تلك التقاليد إن هؤلاء الأربعة اخوة كانوا قد قدموا في صحبة شعيب ابي محمد ابي شعيب الأندلسي ابي مدين الغوث الذي جاء من الأندلس إلى البلاد المقدسة من أجل الجهاد في سبيل الله ومواصلة الذود عن الأرض المقدسة وتخليصها من هجمة الصليبيين الشرسة وهذه حقيقة تاريخية توضحها لنا وثائق (وقفيات المغاربة) التي سنقف على تفصيلاتها لاحقاً.

بيد إن هناك تأكيداً على هذه الحقيقة يأتي من احتمال أن يكون هؤلاء الأخوة هم أحفاد الهلاليين[٤١] (أي بني هلال) الذين قد اتخذوا في بادىء الأصل من الحجاز وكانوا كثيري الجل والترحال بحثاً عن الكلأ والعشب والماء حتى اجتازت المغرب العربي إلى تخوم الأندلس.

فقرروا تبعاً لطبيعتهم أن يتوجهوا من المغرب العربي إلى تونس الخضراء ليتخذوا منها مكان إقامتهم الجديد وكان ذلك في القرن الثالث الهجري أو الرابع الهجري.

وقصتهم طويلة كانت تتحرك على كثير من ألسنة قومنا في الماضي، ولكني أود أن أشير هنا إلى إن أحفادهم قد توجهوا من الحجاز إلى المغرب ومن ثم عادوا إلى المشرق في بلاد الشام، في شرقي الأردن، وشمال وأواسط فلسطين، في عكا والناصرة ومرج ابن عامر. . . وفي منطقة القدس ومنها (عين كارم وما حولها).

ولعل اللقب الذي اكتسبه عين كارم والمنطقة «قرى بني حسن» يعود إلى الأجداد من أحفاد السلطان حسن سيد بني هلال.

وهذه حقيقة تاريخية أيضاً.

أما العلاقة بين الحقيقتين، فذاك أمر يدعو إلى الاجتهاد الخاص في أن نقف إلى جانب الاحتمال القائل إن بني حسن (وعين كارم منها) هم من أحفاد بني حسن الذين سكنوا المنطقة بحثاً عن الكلأ والماء والعشب.

أما مسألة «توقيت القدوم إلى بلاد الشام» ومسألة القدوم في غمرة الحروب الصليبية فهذا أمر محقق استناداً إلى الوثائق الوقفية التي سجلت عام ٧٢٠هـ.

على أية حال فإن موجات سكانية متعددة قد دخلت عين كارم، بدءً من اولئك (الموالي)

المذكورين في القرآن الكريم (والحواريين) الذين ناصروا المسيح، عليه السلام، والاسرائيليين الذين ناصبوه العداء.

ويلي ذلك فتوح المسلمين لبيت المقدس، واحتمال أن يكون قد تخلف بعض من القادة ابناء وأحفاد القادة المسلمين في القدس وبلاد الشام وعين كارم واختاروا الإقامة فيها.

كذلك فإن وقفيات المغاربة تشير إلى إن عين كارم كانت معمورة ومسكونة وقد أوصى صاحب الوقف أن توفر للساكنين الطرق إلى مسجدهم ومقبرتهم.

وعودة إلى الأربعة إخوة الذين ذكرنا من أمر قدومهم إلى البلاد ما يدفعنا إلى التصديق بتلك الوقائع التاريخية التي تتناول المؤثرات التاريخية على الموجات السكانية المتعاقبة على عين كارم.

فالأربعة إخوة هم: الضاوي، الحاري، زغب، وعلي.

وقد ذُكر إنهم قدموا إلى عين كارم وتعايشوا مع أهلها وتصاهروا مع أهلها وتنقل لنا التقاليد الموروثة إنه كان يعيش في بيت مدميل (بيت مزميل) اجداد عائلة (أبو هدهود) وعائلة حامد وهم أصحاب هذه الخربة وهم من عائلة دار علي وقد كانت بيت مزميل خربة منفصلة ولكنها اتصلت بعين كارم وأصبحت قطعة منها... وهناك خرب كثيرة كونت في مجموعها عين كارم القرية المعروفة الآن.

وقد رجح البعض استناداً لتلك الوقائع إن (بعض المغاربة) قد سكنوا عين كارم وأصبحوا يكونون مع مجموعة السكان ـ في البداية ـ التركيبة السكانية الجديدة والتي نتحدث عنها الآن.

وثمة مسألة أخرى هو إن سكان عين كارم من القيسيين ولأن بني هلال كانوا من القيسيين؟، وقيس ويمن كانت فتنة ذلك الزمان، وقصة الخلافات على الانتماء لهذه أو تلك من قبائل العرب كانت مثاراً لكثير من الفتن في المشرق العربي والمغرب العربي وفي الأندلس أيضاً.

وقد أصبح هؤلاء الأخوة الأربعة اجداداً ومؤسسين لحمائل القرية الرئيسة التي سميت باسمائهم وقد تفرعت من هذه الحمائل عائلات (أفخاذ) رئيسة، وعائلات فرعية أخرى:ـ

وهذه الحارات الأربع ـ أو الحمائل ـ هي:ـ

١ـ حامولة الظوار (نسبة إلى الضاوي) أحد الأخوة الأربعة:

وتقسم إلى الأفخاذ التالية:ـ

أ ـ عرباش، ب ـ المشني، جـ ـ قيص، د ـ صلاح.

٢ـ حارة أو حامولة دار علي: وتقسم إلى الأفخاذ التالية:ـ

أ ـ عواد، ب ـ الهيبة سمرين، جـ ـ أبو سراح، د ـ أبو هدهود، هـ ـ سليم و ـ أبو الكلبات، ز ـ حزين، ع ـ الزغبي، غ ـ هادي.

٣ـ حامولة الحارة وتقسم إلى الأفخاذ التالية:ـ

أ ـ السباح، ب ـ دار اعمرّ، جـ سليم، د ـ أبو بكر.

٤ـ حامولة دار زغب وتقسم إلى الأفخاذ التالية:ـ

أ ـ اسماعيل، ب ـ عبد الله (بكسر الدال)، جـ حامد، د ـ يونس، هـ ـ بشق.

٥ـ حامولة دار الشيخ وهي أصغر الحمائل، وحسب تعبير الشيخ عبد القادر انها ربع حامولة!.

ومؤسسها في عين كارم الحاج عبيد بن مصطفى بن جودة بن محمد المنشاوي الذي قدم من المدينة المنورة منذ أكثر من ٣٨٠ سنة.

ويعود نسبها ـ كما يقول الشيخ ـ إلى زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه.

وكل فخذ من هذه الأفخاذ ينقسم إلى عائلات كبيرة والعائلات هذه إلى عائلات أصغر، لتكون هذه كلها شجرة العائلة لأهالي عين كارم وقد اكتفيت بأن أورد الأفخاذ الرئيسة تجنباً لأي لبس، ونزولاً عند رغبة بعض الوجهاء من هذه الحمائل.

فالتركيبة السكانية تشير إلى ان المسلمين هم الغالبية العظمى، وإن هذه النسبة آخذة بالازدياد، فقبل أكثر من مائة عام في عام ١٨٨٥ كانت نسبة النصارى إلى المسلمين ٢٥٪ حيث كان عدد السكان ٦٠٠[١٢] نسمة منهم ٤٥٠ نسمة مسلمون والنصارى ١٥٠ من الكاثوليك (لم يكن ارثوذكس / أو بروتست) وقد كانوا جميعاً اصدقاء. وفي عام ١٩٢٢ بلغ عددهم ١٧٣٥، وفي عام ٣١ بلغ العدد قرابة ٢٦٣٧ موزعون على الوجه التالي[١٣ ـ ١١]:

مسلمون	١١٠٠ ذكوراً	و١٠٧١ إناثاً
نصارى	١٣٩ ذكوراً	و٢٩٣ إناثاً
يهود	١٤ ذكوراً	و٢٠ إناثاً
-	١٢٥٣	١٣٨٤

ولهم ٥٥٥ بيتاً المجموع الكلي /٢٦٣٧ ويلاحظ إن عدد اليهود لم يزد كثيراً فيبدو إن السكن في عين كارم (لم يرق لهم) ولكنهم اتخذوا من مشارف القرية (الشرفة) بالقرب من مستعمرة بيت فاغان سكناً لهم، وقد نشير إلى أن نسبة النصارى في البلدة لم يتجاوز ١٣٪

تقريباً، وكان في عين كارم خلال تلك الفترة (٥٥٥) بيتاً موزعة أيضاً في وسط القرية وفي عين رواس وعين الخندق، ولعل التجمع في هذه الأماكن هو لتوافر المياه والخضرة والأرض المعطاء.

وفي عام ١٩٤٥ قُدّر عدد السكان للقرية بـ ٣١٨٠ بينهم ٢٥١٠ من المسلمين، ٦٧٠ من النصارى، ويعتقد إن نسبة كبيرة من هذا العدد هو من البولونيين والأجانب الذين هاجروا إلى عين كارم بسبب الحرب العالمية الثانية، حيث لا يعقل أن ترتفع النسبة من ١٣٪ إلى قرابة الـ ٢٠٪.

وفي عام ١٩٤٨ يرجح إنه بلغ تعدادهم ٣٧٥٠ ـ ٤٠٠٠[١٥] حيث لم تتوافر لدينا المصادر التي تحدد لنا عدد السكان بسبب حالة الحرب التي كانت مفروضة علينا في ذلك الوقت.

ولم تطلع علينا أية مصادر بأعداد محددة، ولكنها كانت كلها من قبيل التخمين رغم المحاولات الفردية من قبل بعض المهتمين في جمعية عين كارم وخارج الجمعية بمعرفة عدد السكان، وعلى سبيل التخمين وحسب الاجتهادات لرجالات البلد المهتمين نستطيع أن نقول إنه يبلغ عدد سكان القرية قرابة (١٦,٠٠٠) نسمة وهم موزعون في العاصمة، في جبل الهاشمي الشمالي وجبل التاج والجوقة والأشرفية، والبعض في مناطق أخرى من عمان، ويوجد عدد أيضاً في الضفة الغربية قضاء بيت لحم بصفة خاصة وهناك عائلات ما زالت تقطن في أريحا ورام الله. ويبلغ عدد المغتربين في السعودية ودول الخليج قرابة الألفين.

وفي مأدبا عائلة من النصارى (عائلة جعنيني) وإن عدداً كبيراً من النصارى قد هاجروا إلى أمريكا وكندا واستراليا وغيرها، ومن المسلمين أيضاً من استحبوا الغربة بعيداً في بلاد المهجر في الأمريكيتين واستراليا، وقد لا تتجاوز ٥٠٠ نسمة (نصارى ومسلمين).

٨ـ الظروف المعيشية :ـ

كان المستوى المعيشي في القرية مستوى مقبولاً ومقبولاً جداً والظروف المعيشية كانت محدودة نوعاً ما، فطبيعة القرية المعطاءة، كما تناولنا ذلك سابقاً، فإن الحياة وأسلوبها ومستواها وأنماطها صنعتها تلك الطبيعة.

فالفواكه بمختلف أصنافها، وأزكى نكهاتها، والزيتون المبارك الوفير بشكل تجاري، ساعد في الإضفاء على الحياة اليومية لكل عائلة في القرية طعماً خاصاً، واطمئناناً على قوتها اليومي وقوت الغد! ولكن لا بد من العمل الجاد المخلص، كزراعة الأرض وحراثتها، وبيع محصولها

من الفواكه والزيتون في سوق القدس وأسواق المدن الكبيرة وفي أسواق القرى المجاورة.. وهذا ليس بالأمر الهين ويحتاج إلى تعب ولكنه في نهاية الأمر مصدر راحة البال والاطمئنان عن العيال.

وثمة أمر آخر إنه من ليس عنده أرض لتوفر له متطلبات حياته، فلديه من خدمة عند أصحاب الأراضي يزرع لهم ويحرث أرضهم ويرعى غنمهم وفي النهاية يتمكن من الحصول على راحة البال ورزق العيال من هذه الخدمة الشريفة.

وقد يختلف مستوى المعيشة بين اولئك وهؤلاء ولكن ليس إلى درجة الفاقة والفقر والحاجة الملحة والفروق في المستويات.

وعلى الجانب الآخر.. هناك من يعملون خارج القرية أو داخلها في أعمال معمارية بالدرجة الأولى كالبناء أو في المقالع أو في (الدفاقة) أو في التبليط أو القصارة.. أو التكحيل.. هؤلاء أيضاً يتعبون ويحصلون على رزقهم بعرق جبينهم والأمور لديهم سهلة وميسرة في الحصول على أعمال مناسبة، وكفيلة بحياة كريمة هنيئة.

ومن هنا نستطيع القول إنه لم تكن هناك عائلات فقيرة بمعنى الفقر المدقع، قد تكون هناك عائلات ذات مستوى معين بمواصفات محددة، ولكن ليس إلى حد التدني.

وفي القرية كان هناك بعض العائلات التي كانت تملك أراضي واسعة، وأطيان، وهي على قدر كبير من الجاه والسلطان فهذا أمر طبيعي، أن تعيش رغداً، وتحيا حياة هنيئة كريمة.

وكان لهذه العائلات اتصالات بعائلات أخرى في القدس والقرى المجاورة، على مستوى الصداقة، وعلى مستوى التعامل في الحقل التجاري، والإداري ضمن علاقات رسمية بين المسؤولين العرب والأجانب (الانجليز) في إدارة الانتداب البريطاني في القدس.

وكانت تقوم علاقات وثيقة بين رجالات من عين كارم، ورجالات في العهد الإداري للانتداب البريطاني.

وقد يدخل هذا في إطار العلاقات الخاصة والعامة بين العائلات والحمائل والأفراد في القرية، من ناحية وبينهم جميعاً والعالم الخارجي من ناحية أخرى.

٩ـ العلاقات الاجتماعية :ـ

كان يسود القرية جو من الود والتفاهم بين الأسر والحمائل والأفراد، ولم تحمل لنا الأخبار

والأحاديث يوماً حالة (متردية) لهذا العلاقة، فالأمور كلها يسيرة بانتظام والعقل والحكمة يدلان على توطيدها بفضل توجيه مخاتير وأعيان هذه الحمائل، وتعاونهم في حل المشاكل والخلافات التي قد تنشب بين رجل وآخر أو عائلة وأخرى أو حامولة وأخرى، أو بين الرجل وزوجته! وبهذه المناسبة فقد كانت حالات الطلاق محدودة! وضيقة! فإذا كان هناك طرفان أو أطراف في حالة عداء طارىء أو دائم، فقد تجد الكثيرين ممن يقفون مواقف كريمة لإصلاح ذات البين، والتوسط بين الفرقاء المتنازعين، وقلما تصل الأمور إلى طريق مسدود، وقد تصل وهو أمر ليس غريباً على مجتمع قروي لم تصل عليه نور الحضارة (العشرينية) إلا قليلاً.

وكانت مساعيهم (الموسمية) تسهم في إضفاء الأجواء ونشر المحبة والود والتراحم بين الجميع كمواسم الأعياد الدينية، والمناسبات الوطنية كالأحداث التي كانت تملأ الساحة الفلسطينية وما كان ينتج عنها من ترابط بين الأسر والأفراد عندما يقفون معاً في درء الأخطار، ويقفون معاً في مواجهة العدو المتربص، وتعاطف الجميع مع (الثوار) حيث كانت تسهم (التنظيمات الجديدة) في تحسين الأجواء في الصفاء والوئام. كذلك كان اسم الكشافة والنجادة والفتوة... كان ذا أثر إيجابي أيضاً.

كذلك كانت هناك حالات خاصة كالزواج والمصاهرة وحالة (الموت) التي كانت غالباً ما تجمع حتى بين المتخاصمين.

كذلك كانت مواسم القطاف (جداد الزيتون) حتى الجلوس على المقاهي على طريق العين واللقاءات التي تتم خارج القرية بين الأفراد كالعمل في مناطق بعيدة نائية.

وإن أهم ما يجمع هؤلاء ما كان يعرف (بالساحة) حيث كان لكل حارة ساحة رئيسة يلتقي فيها (السُمّار) يستعرضون ما قاموا به في أيامهم الخالية ويستذكرون مواقف الخير والشهامة لبعضهم البعض... والساحة هي مظهر تراثي سنتحدث عنه في مكان لاحق.

كذلك (المصايف) التي كانت تضفي على الحياة لوناً جذاباً من الصفاء والرخاء وهدوء البال.

كل هذه الأمور وغيرها كانت تسهم في تكوين علاقات شخصية متينة بين أفراد وأسر القرية.

لا أريد أن اسقط السلبيات من حسابي، فكل شيء ممكن، إننا ندرك إن الإنسان الكامل هو (مطلب) نادر، وإن النفس الإنسانية أمّارة بالسوء، غير إن الخير هو الغالب في النهاية.

١٠ـ الساحات في عين كارم:ـ

كما ألمحت منذ قليل إلى (وظيفة الساحة) وهو التجمع الفطري الطبيعي لأهل العائلة أو الحارة أو القرية بأكملها.

ولكن المعروف إن الرجال المعروفين كالمخاتير والوجهاء من رؤساء الحارات كانت لهم الأهلية لإقامة الساحات.

فبالإضافة إلى (التجمع) لمراجعة الحسابات الاجتماعية اليومية، وإلى استقبال ضيف غريب، أو يأتي أهل القرية أو قسم كبير منهم للسلام على هذا الضيف وبالتسبة لحفلة السمر فكانت معظمها لشاعر (يحز) على الربابة، فينشد قصائد من تغريبة بني هلال، ويروي قصص كُليب والزير أبي ليلى المهلهل والقصص البدوية (الجديدة) التي تحكي عن شرف ونخوة وشجاعة نمر العدوان وغيره.

والساحات كانت تعيش أوج عظمتها والاعتزاز بها وإحيائها، هي في أيام الشتاء القاسية، رغم الزمهرير والبرد الشديد، فإنها تلتئم لأن «كوانين النار» التي تشتعل فتدفء النفوس والقلوب والأجسام قبل كل شيء... فالحطب من خشب الزيتون متوافر، والأشجار التي تُخلع أو تُقلّم كثيرة.. وكانون النار الكبير الذي يتصدر وسط القاعة، ولكن ما هي القاعة، التي تتخذ في معظم الأحيان شكل المستطيل ولا تقل مساحتها عن ٣٥م٢، والبناء مقام على الطراز القديم بالعقد العربي والأقواس العربية «الجملون»، والجدار من الطين والقش أو التبن والشيد (الجير الأبيض) وكانت عقوداً وبيوتاً قوية ومتينة (بيوت فلوكلورية) بتعبير حديث فالنار التي تشتعل وتخلف (دخاناً) يطرش الغرفة بلون (رمادي) قاتم! ولكنه جميل في غاية الجمال.

وكأن النار لها خصوصية في تلك الأيام!

هذا في أيام الشتاء، أما في الصيف فالفرندات الواسعة الفسيحة التي تزيد عن أربعين متراً مربعاً.. مفتوحة مكشوفة في الهواء الطلق.. يصفون عند محيط القاعة وهو يستمعون إلى حديث صاحب البيت الذي يرحب بهم.. ويقدم لهم ضيافته بنفسه، أو بواسطة أحد ابنائه، ويخص بالذكر ابنه الأكبر أي (ولي العهد)، وليس عيباً أن يكون ابنه في الخمسين، ويقدم خدماته لضيوفه، والذين ربما لا يكونون في مثل سنه، وربما أقل!

كما إنه كان من العيب والمنقصة إذا لم يكرّم الحاضرون المتسامرون الضيف الغريب. فيحلفون على غذائه.. أو عشائه.

أفضل ما كان يبدو واضحاً في الساحات وهو احترام الكبير، وليس هناك مجال ليعرف الحاضرون من هو الأكبر. . تلقائياً هذه المسألة منتهية، والناس مقامات!

أما واجب الضيافة فهو قائم صيفاً وشتاءً، ففي الصيف العنب والفواكه. . بأشهى أنواعها. . إذا كانت من الفواكه المحلية وقد تكون من الفواكه غير المحلية. . كالبطيخ. . أو البرتقال الذي يحضر لهذه الغاية من القدس. . أو يافا أو حيفا، وقد يحضر البعض بعض الحلويات العربية من «زلاطيمو» من باب العامود في القدس الذي كان مشهوراً بأصناف الحلويات.

وشتاءً تقدم أكلات حلويات محلية كالهيطلية أو الرز بالحليب، أو المطبق (القطائر مع السكر وزيت الزيتون الخالص). . أو المفروكة. . (خبز ساخن مفروك بالسكر وبزيت الزيتون).

ومما يذكر إن عدد الساحات المعروفة في عين كارم كانت تزيد عن العشر أهمها:ـ

١ـ ساحة دار قنيص من حارة الظوار في وسط القرية.

٢ـ ساحة محمد عطية نعواش من حارة الظوار أيضاً في وسط القرية، وساحة دار يعقوب.

٣ـ ساحة دار عواد وهو محمد إسماعيل عواد وهو مختار عواد وهو من دار علي.

٤ـ حارة دار دوددو ـ من دار يونس وساحة دار إسماعيل من حارة زغب.

٥ـ حارة ساحة دار ناصر وهم من دار علي.

٦ـ ساحة دار سالم من الحارة، وساحات أخرى.

١١ـ التعليم في عين كارم:

كان وضع التعليم في قريتنا وضعاً سليماً قياساً لما كانت عليه أوضاع القرى الفلسطينية، والقرى المجاورة.

وكانت القرية المتميزة عن غيرها بالموقع والاتصال والمساحة والحدود والقرب من القدس وبعض المستعمرات اليهودية، ولوجود الأديرة والكنائس فيها جعل من التعليم أمراً أقل صعوبة وأيسر (مثلاً).

فالتعليم دخل القرية بصفة رسمية في أواخر العشرينات عام ١٩٢٧، فدخل بصفة غير رسمية أي التعليم الخاص قبل ذلك بسنوات عديدة، وقبل سقوط الدولة العثمانية، ففي عام ١٩٠٣ كانت بداية البدايات لدخول عين كارم «عصر» التعليم عن طريق المدارس الأجنبية[١٦]، حتى وقبل هذه السنة بسنوات وفي أواخر القرن التاسع عشر دخلت عين كارم ـ عهد الكتاتيب ـ

حيث أشار الكتاب السنوي لوزارة المعارف العمومية لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية والحساب، ومما يثبت لنا ذلك إنه ظهر في عين كارم مع اوائل هذا القرن وقبل ذلك بكثير أيضاً شيوخ أزهريون، درس بعضهم في القرية كالشيخ أحمد عودة زيدان، والشيخ يوسف الحبية، والشيخ محمد جابر، وأما الشيخ عيسى متون فقد واصل دراسته وإقامته وخدمته في الأزهر الشريف حتى منتصف القرن العشرين إلى أن تغمده الله برحمته.

وإن الفضل يعود لهؤلاء الشيوخ وللكتاتيب التي خرّجت لنا اساتذة الأجيال. . من الرعيل الأول.

ويجب أن نشير إلى الخدمات التي قدمتها المدارس التبشيرية التابعة للأديرة والكنائس للقرية، وإن كان الهدف منها لم يكن (التعليم) المجرد الخالص لعل هناك أهدافاً (استعمارية حضارية تولتها الأديرة والكنائس والمستشرقون).

وقد استفاد ـ على أية حال ـ أهل القرية من هذه الخدمات وأخص بالذكر النصارى الذين كان لهم بعض الفضل في نشر التعليم بين ابناء بلدتهم، وجعلتهم في مقدمة أهالي القرى المتعلمين المتصلين اتصالاً مباشراً بالمرافق الحضارية التي كانت متوافرة في القدس والمدن الفلسطينية الأخرى.

كان في عين كارم حتى عام ١٩٤٨[١٧] أربع مدارس حكومية تابعة لدائرة المعارف في فلسطين والاثنتان الأخريان تابعتان للأديرة والكنائس.

١ـ مدرسة عين كارم للبنين / سابع ابتدائي كان فيها أكثر من ٣٣٠ طالباً.

٢ـ مدرسة عين كارم للبنات / رابع ابتدائي وكان فيها أكثر من مئة طالبة.

٣ـ مدرسة الاباء الفرنسيسكان ـ في الدير ـ / وكان فيها حوالي مئة طالب ثالث ابتدائي.

٤ـ مدرسة الراهبات وكان فيها أكثر من خمسين طالباً وطالبة صفوف ابتدائية أولى.

وكانت المدارس الأهلية تعلم الفرنسية والإيطالية والانجليزية بالإضافة إلى العربية، وأعداد الطلاب المذكورة جاءت حسب تقديرات الرواة.

وكنت قد درست في ثلاث من هذه المدارس، الحكومية للبنين، وقبل ذلك في مدرسة الدير، وفي مدرسة الراهبات.

ومما أذكر إن مديري المدارس الذين اسعفت متا الذاكرة فسجلهم للتأمل. . وللذكرى. .

عبد الرحمن سقرط، وكمال الريماوي، وحلمي العارف وهو آخر مدير مدرسة لمدرسة عين

كارم للبنين، وخليل قطينة كان من آخر معلميها.

وكان الطالب إذا أنهى الصفوف الابتدائية المتوافرة في مدارس القرية يتوجه إلى مدارس القدس وكلياتها، كالكلية العربية والرشيدية.

وكانت الظروف السياسية التي مرت بالوطن وأهله، ولضيق أفق بعض الأهل والطلاب أيضاً، ولعدم قناعة البعض بجدوى التعليم، بسبب عدم الحاجة إليه، نظراً لتوافر الأراضي والحقول والثمار والأنشغال الدائم بها، كذلك تفكير بعض الأهل في تزويج ابنائهم مبكرين من أجل (الأولاد)، تعاونت كل هذه المعوقات فجعلت من التعليم أمراً صعباً.. غير إن الأمور بدأت تتبلور لدى الأهل في أواخر الأربعينات، ولكن بدأت تسوء وتسوء، فذهبت كل الفرص وانتهى كل شيء، فقد أجهزت النكبة على كل فكر نير.

أما نوعية التعليم فقد كانت جيدة ـ قياساً بتلك الأوضاع ـ ومما يذكر إن تعليم الكتاتيب كانت له بعض البهجة بخاصة حينما ينهي الطالب تعليمه وذلك بحفظه القرآن الكريم، عن ظهر قلب، يحمل الطالب من الحرجة حيث الكتاب، يحث يتلقون القراءة والحساب والقرآن الكريم، ودون رسوم تدفع... أو مصاريف إدارية أو ثمن كتب، أكثر ما يمكن أن يكلف الطالب نسخة القرآن الكريم، ودفتر (نحالة) وقلم رصاص... وبعض الدفاتر الأخرى.

وأما الأجرة التي كانت تدفع، فكان البيض والقمح أو الزيت والزيتون، أو الخبز أو الطعام..

وكثيراً ما يكون حسب الطلب، حسب حاجة شيخ الكُتّاب.

ومن الجميل إن عرساً يقام في بيت الطالب الناجح، يحضره أهل القرية، يغنون وينشدون المدائح.. ويكبّرون ويهللون.. ويوزعون الحلوى من المطبق أو البرتقال أو أي نوع من الفاكهة أو الحلوى التي يشتريها أهل الطالب من القدس، وحلويات زلاطيمو.

وكما أشرنا فإنه حالما يتخرج.. يطرق باب المأذون ويعلن إنه لم يبق شيء عليه إلا الزواج.. أو الشد على الحمير والبغال للذهاب إلى كروم الفاكهة والزيتون وبخاصة أيام قطاف الزيتون.

مع ذلك فقد ظهر متعلمون من القرية ثابروا وقاوموا كل رغبات (الاستقرار) واحجموا عن متابعة العمل في الأرض بشكل يمنعهم من مواصلة تعليمهم في مدارس القدس الشريف.

من هؤلاء نذكر وحسبما استطاعت ذاكرتنا وذاكرة آخرين بذلك معتذرين لمن لم نذكر (بفعل النسيان)، إننا نذكرهم دائماً وإن لم نفعل ذلك الآن!.

إبراهيم يوسف نواره مومنة، حسن العبد إسماعيل، عمر إسماعيل الخطيب (الذي كان كثيراً ما يستدعى لالقاء نشرة الأخبار اليومية المستقاة من صحف ذلك الزمان الدفاع وفلسطين).

ومنهم أيضاً يوسف حسين رابعة، وعبد الله حسن جبر، وياسين نعواش، محمد مصطفى العسال، بدر سمرين، طه بطاح، أحمد خلاد، ومحمود إسماعيل الخطيب، الذي كان أحد قادة النجادة في ذلك الوقت.

وعبد الله فضة، عبد الله الخطيب، جودت إبراهيم مصطفى، إبراهيم مصطفى، ومن النصارى نجيب العابور، بسكال بولص، انطون روك، نبيه راحيل، وغيرهم، ومما يذكر إن النصارى كانوا مهتمين بالتعليم وكان معظمهم يدرس في مدارس القرية التابعة للأديرة والكنائس.

ولا بد وأن نذكر بالإجلال شيوخنا عيسى منون، محمد بن يوسف الحيّة، اسماعيل سمرين، إسماعيل الخطيب.

والأسماء التي أوردتها قد واصلت أعمالها في مجالات كثيرة معظمها في التدريس غير إن البعض منهم تولى وظائف عليا في الدوائر الرسمية في فلسطين قبل ٤٨، وفي الأردن بعد قيام وحدة الضفتين التي تشكلت منها المملكة الأردنية الهاشمية.

وقد نمت تشكيلة المتعلمين تعليماً عالياً بين شباب عين كارم، فظهر منهم الأطباء والصيادلة والمهندسون والمحامون، والفنيون، وذوو المهن المختلفة المتخصصة، التعليمية، والتجار المتعهدون والإنشائيون، وقد بلغ بعض هؤلاء المناصب العليا في الدولة وفي المرافق الخاصة، والعامة وتقلد بعض منهم المناصب الدبلوماسية والوزارية في الاردن وفي البلاد العربية سيما الخليجية.

وليس غريباً على ابناء الأمة في السبعينات والثمانينات، ولكنها إشارة إلى أن ابناء عين كارم كانوا من الأصل طموحين ومهتمين بالعلم والتعليم، والبحث عن سبل الحياة الأفضل في كل زمان وكل مكان.

١٢ـ النوادي والنشاطات الشبابية:

بحكم الاحتكاك والتواصل، كان شباب عين كارم يشعرون بأنهم جزء من الشباب العربي الفلسطيني، فالتنظيمات السياسية والوطنية والكشفية والرياضية التي كانت قائمة في ذلك العهد في العشرين سنة التي سبقت النكبة كان مركزها القدس، وكانت ذات تأثير مباشر على الشباب

في القرية لقربها من القدس، مركز كل تحرك على جميع الاتجاهات والجبهات، ولعل هذه التنظيمات المسلحة بالعتاد الفاسدة كالبنادق المنفوخة والسكاكين والبلطات! حيث لم يكن ليسمح لها أن تحمل شيئاً حتى الأفكار (الحادة) كانت تحاسب عليها، من قبل الدوائر البريطانية في حكومة انتداب فلسطين، في حين إنه لم يكن يحظر على المنظمات الصهيونية واليهودية وعلى البوليس سيما (اليهودي والبريطاني) أما البوليس (العربي) فقد كان محظوراً عليه حمل أي سلاح ومراقباً أشد المراقبة من زميليه الآخرين (اليهودي والبريطاني).

وكانت هذه الترتيبات يشكلها الانتداب البريطاني من أجل تدعيم وظيفتها في ترسيخ وترجمة وعد بلفور ترجمة حرفية وتطبيقية وواقعية وفعلية على أرض فلسطين.

على الرغم من ذلك كله، فقد ظهرت بعض التنظيمات الفلسطينية المحلية أو المتصلة بتنظيمات خارج حدود البلاد ـ في سورية ـ كأبسط تعبير عن السخط الغربي، وكأضعف موقف يمكن أن يُتخذ ضد هذه التنظيمات المعادية، وأحياناً أخرى قد تكون (تنفيساً) عن المشاعر والأحاسيس من والمعاناة والظلم والقهر التي تثقل بكاهلها على الفكر الفلسطيني والعمل الفلسطيني في تلك الأيام.

وفي المقابل، عصابات شتيرين، والأرغون، والهاغانا، كانت هناك فرق الكشافة العربية والنجادة والفتوة، وفيما بعد الجهاد المقدس ابّان الحرب الفلسطينية الظالمة وغير المتكافئة، حتى إن النوادي الرياضية كان من أهدافها غير المعلنة مقاومة الصهيونية واليهودية وحكام الانتداب.

فقد كانت المشاعر الوطنية تبدو واضحة حينما يذهب فريق رياضي من مكان إلى مكان والمشاركون يخفون مرارة قهرهم وظلمهم من هتافات التأييد لفرقهم ولناديهم وللوطن عند لقاءاتهم الرياضية على ملاعب المدن الكبيرة سيما في القدس، وكانت تقدَّم لهذه الفرق الحوافز والجوائز من أجل الفوز في المباريات، وبالنسبة لعين كارم فقد كان المختار رئيس المجلس المحلي هو الذي يقدّم تلك الجوائز لبعثة اللاعبين.

١٣ـ النوادي الرياضية:

كان أول نادٍ رياضي في عين كارم هو النادي الإسلامي، الذي كان من رواده عيسى عبيد، وقد بدأت نشاطات محلية في أواخر العشرينات على ملاعب المدرسة وفي الأماكن الفسيحة في القرية.

وقد تغير اسم النادي ليصبح اسم النادي العربي، وما لبث أن حمل اسماً جديداً هو (النادي العربي الإسلامي). وفي عام ١٩٣٧ أسس النادي الكارمي، وقد كان استمراراً للنوادي السابقة. وقد قام شباب النصارى بمساعدة الأديرة بتأسيس النادي اللاتيني ولكنه لم يستمر حيث انضم اعضاؤه إلى «النادي الكارمي» نسبة إلى شباب عين كارم.

ولعلني اسجل هنا بعضاً من أسماء اولئك الشباب الذين كان لهم الدور الكبير في بعث حركة رياضية متواضعة، والحقيقة إنها كانت حركة ريادية في ذلك الزمان. من هذه الأسماء ـ مع الاعتذار لعدم مراعاة الترتيب الزمني، والاعتذار لمن سقط اسمه سهواً ـ: محمود الخطيب، محمود عيوش، يوسف نواره، عبد الله الخطيب، محمد حزين، خليل نعواش، يوسف حسين، ياسين نعواش، سعيد ناصر، صالح دحدول، ومنويل روك ويسكال روك.

وقد ظلت هذه الشعلة ذات لهب متوهج حتى بداية الخمسينات حين بدأت الرياضة في عين كارم ـ بدار الغربة ـ تزداد توهجاً إلى أن شُكلت جمعية عين كارم عام ١٩٦٤ عقب تشكيل أول فريق رياضي كارمي في الأردن.

والحديث عن الرياضة في عهدها الجديد، له مجال آخر، غير مجالنا الآن.

١٤ـ التعبئة الوطنية:

١ـ الكشافة: ـ وقد ظهرت الكشافة في اوائل عام ١٩٣١ وهي تابعة لجمعية الشبان المسلمين في القدس تحت اسم «كشافة المأمون» وكان من أبرز مؤسسيها ورؤسائها (الكارميين) صالح قنيص، وحسن جبر ومن منظميها كان أديب سليمان، خليل منون وقد تجاوز عدد المنتسبين إليها من القرية قرابة الثلاثين، وكان فرع عين كارم من أنشط وأقوى فروع الكشافة التابعة لجمعية الشبان المسلمين.

وقد شهد نوح إبراهيم[*] بعض نشاطاتهم وشاركهم فيها، نوح إبراهيم مطرب فلسطين ومؤجج نيرانهم ضد العدو بما كان يغني ويُنشد من أغاني وأناشيد وطنية.

ففي عام ١٩٤٥ اقامت كشافة المأمون حفلة سمر في ساحة واسعة في القرية حضرها أكثر من ١٤٠٠ شخصاً من أنحاء فلسطين وشاركت فيها فرق كشفية من فلسطين ومن سوريا.

هاتان الوثيقتان الصغيرتان تثبتان ما كان عليه شباب عين كارم من الوعي والإدراك.

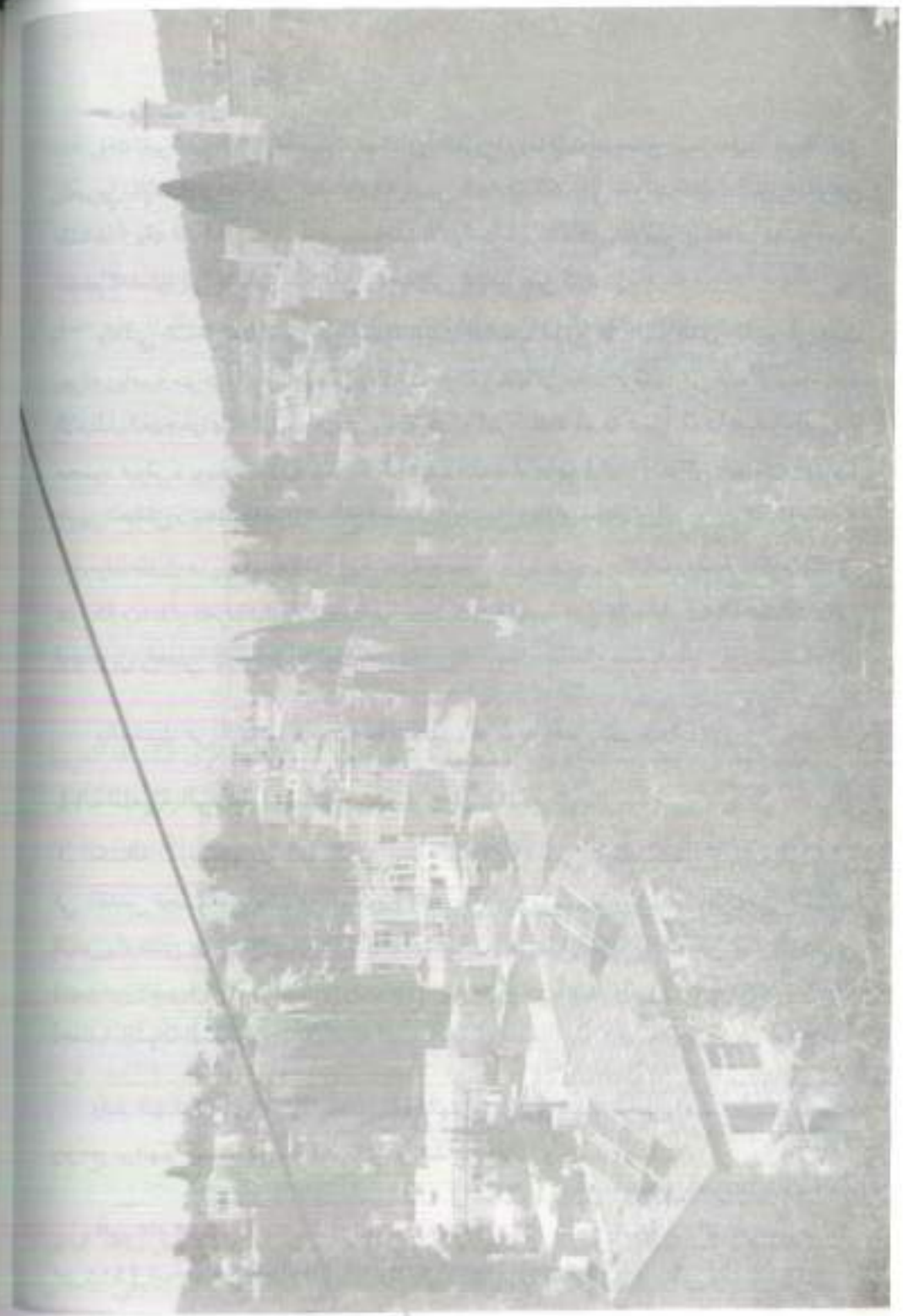

١ـ مقدمة الصورة: بعض الأشجار الكثيفة في مكان كان يدعى «الخاص».

٢ـ وسط الصورة: منازل مختلفة لأبناء البلد وإلى اليسار منطقة كانت تسمى «المروج».

٢ـ النجادة: ـ

وهي من إحدى التنظيمات الاستعراضية، التي ظهرت على الساحة الفلسطينية والعربية في ذلك الوقت، فالنجادة التي ظهرت على هذا النمط كان لها من الأهداف غير الظاهرة إنها ظهرت في مواجهة للكشافة (سلبياً) ودون إظهار واضح لهذه السلبية، وقد أسس النجادة محمد نمر الهواري في اوائل الأربيعينات وكانت لها مواقف سلبية من الحاج أمين الحسيني.

وكانت فرقة عين كارم التابعة لهذه الفرق (الأم) التي انطلقت من يافا كما ذكرت ولكنها في الأصل انطلقت من سوريا أول الأمر ووجدت لها مرتعاً خصباً في الواقع الفلسطيني.

وقد كانت هذه الفرق تقوم باستعراضات محلية في شوارع القرية في طريق العين والحرجة، ومن أبرز قادتها المحليين محمود الخطيب، يوسف إبراهيم، وكانت هذه الفرق ترى في عين كارم مكاناً مناسباً لإظهار قدراتهم ومهاراتهم.

٣ـ الفتوة: ـ

تحولت الكشافة فيما بعد إلى (الفتوة) بعد اشتداد الأزمة، وتغير الأوضاع إلى الاسوأ وأصبحت تتخذ طابعاً شبه (عسكري) إذا صح هذا التعبير مع التحفظ على (حمل السلاح) والمواجهة الحقيقة مع العدو، ولكن على مستوى المشاعر فقد تأججت، وكانت تتخذ موقفاً سلبياً إذ لم يكن (مواجهة) للنجادة، وكانت مركزها القدس ومن قادتها عبد الرحمن عريقات، ومن أبرز شخصياتها محلياً ذيب سليمان محمود شقبوعة، وخليل منون.

وقد أسست الفتوة عام ١٩٤٥، وقامت الهيئة العربية العليا بتأسيسها تعزيزاً لها في مواجهة الأحداث والتطورات (داخلياً وخارجياً).

وقد كانت هذه السلبيات قد ظهرت نتائجها فيما بعد، عند مواجهاتنا للعدو في حرب النكبة عام ١٩٤٨.

٤ـ الجهاد المقدس: ـ

وقد ظهر هذا التنظيم (المقدس) إبّان الحرب الفلسطينية بعد أن وقعت المواجهة بيننا وبين العدو، وقد كان منتسبوا الجهاد المقدس من جميع البلاد العربية التي شاركت في الحرب كمتطوعين من ذوي النخوة والشهامة والاندفاع للجهاد في سبيل الله.

وقد التحق القائد عبد القادر الحسيني بالجهاد المقدس وأصبح قائداً من قادته وخاض حروباً ضارية في فلسطين في القدس وباب الواد وفي مناطق أخرى، كما إن عبد القادر

الحسيني كان قد شارك في الثورة الفلسطينية في عام ٣٦، ٣٨ وبعد ذلك نفي إلى العراق وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني.

وكان قد التحق معظم منتسبي النجادة والكشافة والفتوة في الجهاد المقدس من أهل القرية، فقد التحق بالجهاد المقدس، خليل منون، علي محمد عيسى، عيسى الحمزة، عايد جبر، محمد عبيد، إسماعيل الشخامي، محمود الخطيب، محمد يوسف عواد، مصطفى سعيد شقرة، عبد القادر، محمد عبد الله إسماعيل، محمود وردة.

٥ـ جيش الانقاذ:ـ

وقد جاء من سوريا بقيادة فوزي القاوقجي، وقد حارب في فلسطين، وأما عن صلة شباب عين كارم به فليس لديَّ أية معلومات تضيف بعض الحقائق لتلك العلاقة.

وحيث إنه ليس لها علاقة مباشرة بنشاطات شباب البلد إلاّ أن بعض رجاله كانوا يتواجدون في عين كارم بين وقت وآخر، وذكرت بعض المصادر[٣] أنهم كانوا متواجدين ليلة معركة القسطل وليلة مذبحة دير ياسين، لكنهم تأخروا في إرسال النجدة، ولم يفعلوا شيئاً.

١٥ـ المسرح في عين كارم:ـ

كما أشرنا منذ قليل عن مشاركة نوح إبراهيم لحفلات السمر التي أقامتها كشافة المأمون، فإن نوح إبراهيم كان يرى في عين كارم لموقعها الجميل مناسباً لأعماله الفنية، ونظراً لتوافر نوعية من الشباب الذي يساعد في إذكاء الروح الوطنية في القرية، فقد كانت (الفنون المسرحية) المتواضعة انذاك تشكل رقماً قياسياً بالنظر إلى مناطق قروية أخرى في فلسطين فقد كانت فرق الكشافة والنجادة تسهم في إحياء الحركة المسرحية، وقد أسهمت أيضاً النوادي الرياضية ودخول السينما (المتنقلة) إلى عين كارم عزز الرغبة لدى أهل القرية في استمرار الحياة (الفنية والمسرحية) في القرية، سيما وإن المسارح المكشوفة متوافرة والكوادر (غير المدربة) موجودة، وأما مشكلة التدريب فذاك أمر آخر وهو متعلق بالرغبة بالمستجدات من الأمور.

كانت ساحات مدارس البنين والبنات، وباحة الدير وبعض السهول الداخلية أمكنة هادئة ومناسبة لنصب خشبة المسرح عليها.. وبدء العمل بجد ونشاط وحيوية.

وقد مثلت في السنوات الأولى مسرحيات مأخوذة من التراث العربي الإسلامي، من هذه المسرحيات الشعرية مسرحية (عليا وعصام) القصيدة المشهورة التي تتحدث عن حياة القبائل العربية، ووصف حالة العشاق في هذه القبائل، والذين يسهمون في توثيق عرى المحبة والود بين هذه القبائل..

لقد اسعفتني الذاكرة من أيام الدراسة المبكرة في مدرسة خاصة ببيت ساحور بهذه الأبيات من تلك القصيدة:

عليا وعصام...

رولى عرب قصورهم الخيام	ومنزلهم حماة الشآم
غزاة ينشدون الرزق دوماً	على صهوات خيل لا تضام
إذا ضاقت بهم أرجاء أرض	يطيب بغيرها لهم المقام
وكانت من عجايا الربع علياً	ومن عجيانها النجبا عصام

١ـ مسرحية صلاح الدين:

من المسرحيات الخالدة التي مثلت في عين كارم، وهي مسرحية[٤٨] دينية وطنية تاريخية كتبه[٤٩]ا ـ حسب ما وصلتنا بعض التفاصيل عنها ـ الشيخ نجيب الحداد وكانت المسرحية مثبتة في إحدى الكتب الصادرة عن الجامع الأزهر، وقد أشرف على تقديمها مدرس اللغة العربية محمد الفاهوم، وكان للشيخ إسماعيل الخطيب قد ساعد في الإشراف وفي الإخراج وفي تنفيذ تمثيل هذه المسرحية في عين كارم،.

ومن المعلوم إن هذه المسرحية كانت تمثل في بعض المدن الفلسطينية سيما في القدس وبالنسبة لتمثيلها في عين كارم فقد كانت جميع الكوادر الفنية كانت من شباب عين كارم ومن الشباب الذين مثلوا في هذه المسرحية كما نقلها إليّ أحد هؤلاء الممثلين وهو (إسماعيل دودو).

الشباب الممثلون هم[٥٠]:

خليل عبد الله شبيب في دور صلاح الدين، محمد عبد الرحمن البكري في دور ريكاردس (قلب الأسد) عبد الله عطية مثل دور فيليب اغسطس، محمد إسماعيل الشخامي في دور وليم، خليل عبد إسماعيل في دور ماركيز، محمد إسماعيل دودو في دور جوليا، وحسن جبر في دور عماد الدين، وخليل منون في دور ملك النمسا، وموسى أحمد نعواش في دور بيفو.

وقد كانت الملابس التاريخية التي تصور الشخصيات وتقرّب شخصياتهم إلى أذهان الحضور، قد ا ستحضرت من القدس، وكل الأدوات المطلوبة كالسيوف والخوذ الحربية، وأعمال الأكسسوار وتركيب اللحى والشوارب وكافة أعمال (المكياج) من اجتهادات بعض النشطاء في الفرقة المسرحية (غير المنظمة) تنظيماً فنياً وإدارياً إلى درجة يرقى معها العمل المسرحي إلى درجة الكمال.

كان العمل المسرحي يعتمد على الهواية والانتماء والرغبة، وحب الوطن قبل كل شيء. . لأن الأصل في تنفيذ مثل هذه المسرحية هو (مواجهة العدو بهذا الأسلوب) وإسماعه كلمة الحق بهذه الطريقة.

نعود إلى المسرحية لنصف كيف رفعت الستارة وكيف «انتصب» الممثلون على خشبة المسرح. .

[ترفع الستارة عن (شخص) صلاح الدين وهو يجلس على أريكة (عريقة) وهو يفكر في شؤون الأمة. . والحرب مع الصليبيين الذين كانوا وراء فرض تلك الحرب عليه وعلى المسلمين. صلاح الدين ينشد. . .

إن لم أصن مهندي بيميني ... ملكي فلست أنا صلاح الدين
تحمي الممالك ربها أما أنا ... فأريد أن أحمي الملك لا يحميني
زعم الفرنج بأنني أعقوا لهم ... كرهاً وأرضي صفقة المغبون
وأعود عنهم تاركاً ملكي الذي ... أهداه لي ربي الذي يهديني

والقصيدة التي سمعتها أطول مما ترون وأكثر أبياتاً من هذه الأبيات، ولكن لسوء الحالة الأدبية التي وصلتني عليها ـ لخلل في النقل ـ لم أنقلها جميعها، فالشعر غير موزون والمضامين ليست مركزة، فاكتفيت بهذه الأبيات الأربعة. . فإنها كافية لأن توصل ما أُريد أن أقوله.

وما أُريد أن أقوله إن حركة مسرحية رائدة بدأت في عين كارم حبّذا لو قُدّر لها أن تواكب النشاطات الأخرى، ولو قُدّر لها أن تعيش لعاشت. . ولكن تلقي اللوم دائماً على الظروف والأحوال والمصاعب التي كانت وراء كل فشل. . وهذا ليس عذراً، ولكنه الواقع.

٢ـ أُقيمت عام ١٩٣٨ حفلة غنائية استعراضية شارك فيها نوح إبراهيم ولم تردنا تفاصيل أوفى.

٣ـ مسرحية (في سبيل التاج) مثلت عام ١٩٤٧ في باحة الدير وسط القرية، وقد أعدها إميل الجوزي ومثل فيها يوسف حسين رابعة وخليل العرب من أهل القرية ويرجح أن تكون مقتبسة من قصة في سبيل التاج لمصطفى لطفي المنفلوطي كما يقال.

٤ـ مسرحية جابر «عثرات الكرام» وهي قصة من التراث العربي الإسلامي، القديم التي تدل على النخوة والشهامة والوفاء، وحماية الملهوف ونصرة المظلوم.

إن الحركة المسرحية في فلسطين، سبقت هذا التاريخ بزمن فكانت قد مثلت مسرحية

صلاح الدين بوجوه غير التي ذكرت عام ١٩١٤، وبعدها انطلقت المسرحية وانتشرت إلى مدن وقرى فلسطين.

ومن رواد الحركة المسرحية[٥١] في فلسطين جميل الجوزي الذي قدم فرقة (أبيض وحجازي) التي قدمت مسرحية (لويس الحادي عشر) وكانت هذه الفرقة قد شجعت الشباب على الاتجاه إلى المسرح فقد أسسوا فرقة (نادي الأخاء الأرثوذكسي) التي قدمت (لصوص الغابة) ومسرحية صلاح الدين (الأصل).

وقد ذكر لي بعض من شاهدوا أو من عرفوا شيئاً عن مسرحية صلاح الدين (الكارمية) إنهم عملوا على اتقانها فنياً فجهزوا لها الملابس التاريخية القديمة المرصعة بالجواهر واللآلىء (والاكسوارات اللازمة) وكافة أعمال الديكور المطلوبة. . . ليجعلوا من خشبة المسرح في ساحة المدرسة قصراً للسلطان.

وكان من الجنود المجهولين الذين عملوا من وراء الكواليس لهذه الغاية، يوسف بحوث ومدام ماري، كما يقول جميل الجوزي، إنه لا ينسى فضلهما في إنجاح المسرحية. الذي كان جمهورها والعاملون فيها من الشباب الكارمي، وقد ذكر إنها عرضت ليلة بالمجان.

وبعد ذلك قدّم نادي الرياضي في عين كارم، مسرحية (شبح الأحرار)[٥٢] التي كانت تتناول موضوع بيع الأراضي وتناولت ما يفعله السماسرة بالفلاحين البسطاء في إغرائهم وتزيين لهم هذه الأعمال الشريرة على إنها تدر الربح الوفير لأصحاب الأراضي.

وقد شاهد المسرحية بعض أهالي القرية والقرى المجاورة، ومثلها رجال (هواة من القرية) وكان ذلك عقب إنها الإضراب الكبير عام ١٩٣٦.

وكان ينظر للعمل المسرحي على إنه من قبيل الواجب، لأنه ضرب من ضرب الكفاح والنضال ضد الغزاة البريطانيين والصهاينة، كما إنه تنفيس عمّا يجيش في الصدور من الآلام وامال. . . وأحلام كبار.

وهو واجب نضالي يطلب من كل فلسطيني. . أن يعبّر عن سخطه بالطريقة التي يستطيع القيام بها. . . إن لم يكن يستطيع مواجهة العدو المشترك، الصهيونية والانجليز بالحديد والنار.

كان الجمهور متفاعلاً مع أحداث المسرحية (شبح الأحرار) وقد ذُكر إن رجل بوليس فلسطيني عندما أثارته المسرحية راح يطلق العيارات النارية في الهواء تعبيراً عن تفاعله مع

أحداث المسرحية . . أطلق الرصاص ونسي أنه من بوليس فلسطين تابع لحكومة الانتداب ولكنه تذكّر حينها إنه (فلسطيني) فقط!!

ومما يذكر إن العمل المسرحي الفلسطيني كان مسرحاً سياسياً اجتماعياً ووطنياً تحريضياً لشحن العواطف . . وباعثاً على النخوة والحماس.

١٦ صندوق العجب :-

كان من وسائل الترفيه للأطفال ما يسمى «صندوق العجب»، وهو عبارة عن صندوق ذي فتحتين متقابلتين في أحدها تركب (سلايدات) صور ومناظر لإحدى الأماكن المهمة أو صور للحيوانات أو رسومات لأبطال من الأساطير.

والفتحة الثانية مركب فيها عدسة مكبرة (محدبة) تكبر الصورة التي تعرض فتظهر وكأنها قريبة إلى عين المشاهد وفي ذهنه، كان يحمل على طاولة خشبية عالية وصغيرة على مستوى النظر يتجمع الأطفال حول الصندوق بشغف.

وكان مما يشجع الأطفال على المشاهدة، الدعاية الإعلامية لصندوق العجب. والتي كانت على شكل اغنيات جميلة . . يطرب لها الأطفال لقاء ملاليم قليلة!.

منها: أما اتفرج يا سلام على العجايب من زمان
واتفرج على مصر أم الدنيا وعلى بغداد دار السلام
اما اتفرج يا سلام على العجايب من زمان على العجايب بالتمام، ع أبو زيد الهلالي
قوم اتفرج ع أبو زيد صاحب الحيل والكيد والدنيا كلها أحلام أما اتفرج يا سلام.

١٧- السينما المتنقلة :-

كانت السينما معروفة لدى شباب عين كارم، حيث كان الكثيرون يذهبون إلى القدس أو إلى يافا أو إلى حيفا وغيرها لحضور الحفلات السينمائية ولمشاهدة الأفلام الغربية الأجنبية والأفلام العربية انذاك والتي كان معظمها لمحمد عبد الوهاب وأم كلثوم وأسمهان، وفرنسيس لاما (الممثل الفلسطيني البيتلحمي).

ولم يقتصر حضورهم ومشاهدتهم الأفلام في القدس، فقد كانوا يشاهدون بعض الأفلام في عين كارم نفسها، وفي العراء، ويجلسون على كراسي خشبية تؤتى لهذه الغاية من المقاهي الكبيرة المجاورة.

ولكن بعض نوعية الأفلام كانت تختلف بعض الشيء، فقد كانت أفلام دعائية للحكومة البريطانية توضح كيف انتصر البريطانيون الحلفاء على المانيا وحلفائها، وأفلام دعائية لحكم الانتداب.

ولعل السبب في أن تنقل السينما - وهي عبارة عن سيارة متوسطة تحمل الشاشة وآلات العرض وكافة اللوازم الفنية - إلى عين كارم، هو ما ذكر عن رغبة لدى شباب عين كارم لمشاهدة الأفلام السينمائية، فكان «الجو» المسرحي جميل والوضع «الفني» في القرية مشجعاً لأصحاب دور السينما في القدس ولمسؤولي الإعلام في دار المندوب السامي لتقديم مثل هذه الخدمات.

وكان نظام التذاكر متبعاً ونظام عرض الأفلام كان مبرمجاً، وكان التقديم مهيأ حيث تثبت الشاشة على جدار عال، والمسرح كان واسعاً، وكما ذكرنا في العراء وفي الهواء الطلق وفي ليالي الصيف الجميلة.

وكان الحضور لا يقتصر على الشباب المتحمسين، فقد تجاوز ذلك إلى الرجال (الكبار) كوجوه القرية - والقرى المجاورة - ومخاتيرها . . . والأطفال الذين يأتون في صحبتهم، وتستمر العروض حتى الفجر!

كان الفراغ الفكري والاجتماعي والسياسي وراء هذه اللهو والفوضى، والقرية تتعامل مع نمط حياتي غير مبرمج.

١٨- الراديو والميكروفون أو الحاكي :-

دخل الراديو والميكروفون عين كارم حوالي سنة ١٩٣٤، وفي ذلك الوقت كانا غير معروفين لدى الكثيرين، حيث إن وسائل التقدم (التكنولوجي) لم تكن لها طريق إلى القرى الصغيرة والبعيدة عن المدن.

وقد كانت الأحوال تستدعي لدى البعض اقتناء الراديو أولاً للوقوف على تحركات العدو المشبوهة والمعززة من قبل حكومة الانتداب منذ أوائل هذا القرن.

وكانت الإذاعة المسموعة إذاعة الشرق الأدنى، وإذاعة لندن، وإذاعة فلسطين. هذا من ناحية الاهتمام بالأخبار التي لها علاقة ما مباشرة وغير مباشرة بالوطن.

وإما اقتناؤه لسماع أغاني عبد الوهاب وأم كلثوم وأسمهان وفريد الأطرش ومنيرة المهدية، فذاك أمر نادر الاحتمال، حيث أن قلة من الشباب كانوا يهتمون بمثل هذه النواحي (الفنية) وإن

سماعها والاستمتاع بها ليس من الصعوبة الحصول عليها إذا طرقوا أبواب المدن الكبيرة كالقدس أو حيفا أو يافا.

فكان الكثير من هؤلاء الشباب يتوجهون إلى هذه المدن لأمور كثيرة من خلال حياتهم اليومية الممارسة فيستمتعون ليس بسماع الأغاني فحسب، بل بحضور الحفلات الغنائية التي كانت تقام في يافا وحيفا، على أية حال لم تكن الصلة مقطوعة بين الشباب وهذا النوع من المتعة.

ولذا فقد كان دخول الراديو الذي كان يشبه (صحّارة الخضرة) والذي يتصدر قاعة المقهى الطويلة والعريضة والشباب من حولها يجلسون متلهفين لسماع الجديد الجديد من الأغاني والأخبار الذي يحملها هذا (المخلوق العجيب) الذي يعمل على البطاريات الجافة.

بالإضافة إلى أهمية الراديو الذي كان بالنسبة للمخاتير شيئاً فيه الأهمية حتى يكون المختار هو أول من يسمع وأول من يخبر بما يسمع.

والمختار الذي كان الراديو قد دخل منزله هو عبد الله خليل سعيد.

وبالنسبة للميكروفون، فقد كان أشبه بخزانة مطبخ، صندوق كبير مركب عليه بوق مثير وملحق بخزانة صغيرة من الاسطوانات لأشهر مطربي ذاك الزمان ممن ذكرنا وبعض من لم نذكر.

وكانت أشهر الأغنيات في ذلك الزمان والتي كان الأهالي يستمعون إليها وهم في منازلهم عندما يجلسون على شبابيك المنازل العريضة.

«عندما يأتي المساء» لمحمد عبد الوهاب، وياريتني طير لاطير حواليك لفريد الأطرش، وأسمر ملك روحي لمنيرة المهدية وغيرها.

وكان الميكرفون يعمل على بطارية جافة، من أجل أن تدب الحياة (الكهربية) في هذا الصندوق العجيب، فيحرك من فوقه الاسطوانات الصماء التي يبلغ قطرها خمسة عشر سنتمتراً تقريباً.

ولكنها كانت كفيلة لأن توقظ عواطف الكثيرين وشجونهم، وتفتح طريقاً لأحلامهم الصغيرة وهم ينفخون على التراجيل (ويكيفون) على ثرثرتها الجميلة.

وكانت عين كارم مشتهرة بمقاهيها الكبيرة والمرتبة والجميلة، والتي كانت تتخذ من مقاهي باب العمود وباب الخليل (قدوة لها) من حيث الخدمات للزبائن من شباب القرية وشيبها، من عامتها وخاصتها الذين يستمتعون بالجلوس فيها في أوقات الفراغ، وطويلة نسبياً وهي مرتبطة

ارتباطاً كلياً بالمواسم الزراعية وحراثة الأراضي وقطف الأثمار، ومواسم اندلاع الحروب والثورات في عالمهم المعروف أنذاك. عالم فلسطين.

من أشهر المقاهي ـ أو القهوات ـ في القرية (كما كان يطلق عليها): قهوة زعتر، قهوة خليل متون، قهوة يوسف حسن، (بكسر الحاء).

١٩ـ المختار:

المختار كلمة تبعث على التقدير والاحترام وتشير إلى شخصية نافذة قوية فما دامت الكلمة تتسم بهذه السمات الجميلة، فكيف إذا كنا أمام مختار «حقيقي» كان يحكم ويرسم ويخطط وينفذ، وينهي ويأمر وهو في الوقت نفسه إنسان محبوب من أهله وأقاربه وأهل قريته، ومحترم ومقدر من المسؤولين في سدة الحكم..

وكان اسم المختار أيضاً مخيفاً، «يخوف الناس» إذا ما ذكر اسم المختار على أسماعهم وهم على الأغلب من (المذنبين)، وكانت النساء تخاف المختار أيضاً والخوف منه ليس لأنه مرعب... بل لأنه (رجل ذو مكانة).

ذلكم هو المختار الذي كان يعتبر من أشهر وأعظم رجال زمانه، وهو مختار العشرينات والثلاثينات. حتى والأربعينات من هذا القرن، وقبل ذلك كان له مثل هذا من العز والصولة والسلطان.

كان يعتبر المختار في القرية الفلسطينية، وفي قرية عين كارم رجلاً رائداً مثالياً مطاعاً نافذ الفعل والكلمة، وسيد قومه بلا منازع.

وكان المختار أيضاً في ذلك الوقت يمثل قلم الارتباط بينه وبين «الدولة» حكومة الانتداب، ويمثل الحاكم الإداري للقرية، ويطبق القوانين التي يخول أو يؤمر بتطبيقها في قريته باسم الدولة وباسمه الشخصي أحياناً، وكان يحاكم ويعاقب ويعطي حقاً، ويأخذ حقاً، أيضاً باسم الدولة وباسمه الشخصي، فللشخصية تأثير كبير أيضاً.

وكان المختار في بعض الحالات رجلاً تُؤخذ عليه أشياء كثيرة، منها (اتصالاته) بالدولة، وهي إحدى وظائفه، وكان بعض من سوء التفاهم يصل إلى درجة المواجهة بينه وبين بعض الناس، لأسباب قد تكون شخصية.. فيتهم بما ليس فيه أحياناً بخاصة في فترات الثورات والمواجهات مع حكومة الانتداب، إلا إنه من ناحية عامة تصفى الحسابات بهدوء ويتدخل العقلاء ويذهب اللبس وسوء التفاهم.

وكان هم المختار وحدسه هو خدمة القرية والحفاظ على مصلحتها إلا ما ندر. . وتلك حالات شاذة لا تدوم.

كان في القرية في أواخر عهدنا بها أربعة مخاتير يمثلون الحمائل الأربعة. . وكان هناك مختاران للنصارى.

أما المخاتير الستة هم:

١ـ محمد عطية نعواش مختار حارة الظوار أو حامولة الظوار، وكان له مكانة خاصة عند أهل القرية وعند المخاتير الثلاثة الآخرين، ولذا فقد انتخب لرئاسة المجلس البلدي، وقد أُعد ليكون رئيس المجلس القروي، والمجلس البلدي فيما بعد. . ولكن لم يتم تأسيس المجلس القروي أو البلدي لأسباب كثيرة سنعرض لها بعد قليل، وقد سبقه إلى المختارة موسى يعقوب في أواسط الثلاثينات.

وكانت له اتصالات شخصية مع مسؤولين في حكومة الانتداب، وشخصيات عربية (مقدسية) في القدس. وقد خلفه ـ بعد الهجرة ـ ولده الأكبر عبد الله مدة عشرين سنة في منطقة بيت لحم وعمّان حتى عام ١٩٦٨.

٢ـ عبد الله خليل سعيد، وهو مختار حامولة زغب، وكان ذا شخصية متميزة في حامولته وفي القرية.

٣ـ خليل سالم: وهو مختار القريتات عن حامولة الحارة، وكان رجلاً وقوراً هادئاً ولطيف المعشر.

٤ـ محمد إسماعيل عواد، فقد كان سيد قومه وشيخهم ويحتكم إليه أصحاب القضايا العشائرية والعائلية والخاصة، وكان له رأي نافذ فيما يقول.

أما المختاران النصارانيان فكانا:

١ـ يعقوب عبيس مختار طائفة اللاتين.

٢ـ إبراهيم طنوس مختار الروم الأرثوذكس، وكان المختاران على اتصال بأهل القرية وعلى محبة مع الآخرين، ولهم اتصال ـ خاص ـ بالكنائس والأديرة من أجل مصالح ومستقبل طوائفهم.

وكان المخاتير الأربعة يمثلون الأخوة الأربعة الأصدقاء. . حتى إن أحفادهم ما زالوا أخوة وأصدقاء، وكانوا قد اكتسبوا المحبة من الجميع بفضل حكمتهم ودرايتهم في إدارة شؤون قريتهم.

وقد كانوا قد خلفوا لنا أعمالاً تراثية كثيرة يذكرها من يكبروننا سناً ومن عاصروهم ومن سمعوا

حكاياتهم التي تتناقلها على أطراف ألسنتنا اليوم والتي جاءت بفعل تكاتفهم وتعاونهم في بناء القرية وتقدمها.

حضرة مدير مال القدس المحترم ح

١ ـ محمد اسماعيل وخالد وحسان اولاد اسماعيل خليل سعيد قرية عين كارم ازعم خالصة لذمه للحكومة مديونية انزعا الذمه الحاليه والسنه السابقه لغاية آخر شهر آذار سنة ١٩٢٢

١٠ ايار سنة ١٩٢٢

محمد اسماعيل

للذكرى

خاتم المختار عبد الله سعيد

مختار زغب.

وكان المختار يُعيَّن بالانتخاب، وكانت الحملات الانتخابية حاسمة، وقد تحدث هناك مراعاة بين المرشحين والناخبين والإطارات جميعاً، ومعظم الأحيان ينتصر العقل والعدل وينتخب الصالح. وكان أيضاً يُعيَّن بالتزكية وبالاتفاق مع الجميع.

ووظائف المختار كانت كثيرة وباعثة على التعب والإرهاق، (والمختارة) كانت تضفي على الجو الكثير من الهدوء وراحة البال، والإحساس بالمسؤولية، وخدمة الناس وتسهيل مهماتهم لدى الدوائر الرسمية في حكومة الانتداب، وهو (قلم الارتباط) بين الناس على المستوى الرسمي والمستوى الشعبي، كذلك لتقديم أعمال الخير، وإصلاح ذات البين، وهو أيضاً (بوليس) حينما يُكلّف بإلقاء القبض على المطلوبين، ولكنه يستعمل حكمته (في تهريب) المطلوبين سيما إذا كانوا من الوطنيين والثوار، وكثيراً ما ينقذهم من بطش البوليس، وحينما يبلغ قائم مقام القضاء بأن الأمور تسير على ما يرام لأنها تعتبر شهادة عدل.

وبعبارة أوضح، المختار اسم مشرف وهو حاكم البلدة بالتعاون مع المخاتير الآخرين بالعدل والإنصاف.

٢٠ـ مجلس محلي عين كارم:ـ

نظراً لتوسع البلد ولتقدمها نسبياً في اوائل الأربعينات فقد أُنشيء المجلس المحلي وكان يرأسه المختار محمد عطية نعواش، ويتولى المجلس الأمور المالية كالضرائب والجباية وتنظيم العلاقات بين القرية والقيادة المحلية، للبدء في تقديم الخدمات، لفتح الشوارع وإنارتها، وإحضار المؤن للقرية، وقد كاد أن يتحول هذا المجلس المحلي إلى مجلس قروي، وكاد أن يتحول إلى بلدي وليصبح بعدها بلدية، لولا ظروف الحرب وتدخل البعض من المنتفعين

هذه عين كارم وسط القرية

معتبرين إن (البلدية) هي من صنع الانتداب، وإنهم لا يريدون شيئاً من حكومة الانتداب... المهيمنة على الوضع في فلسطين، غير إن اليهود كانوا ينشؤون المجالس القروية والبلديات والمستعمرات والكيبوتسات دون حساب، فليس لحكومة الانتداب أي اعتبار، وإن المستندات والدلائل التي بين يدينا يثبت على إن قريتنا كان لديها بعض التقدم في هذا المضمار.

A. No. 03059

نومرو

GOVERNMENT OF PALESTINE.

حكومة فلسطين

TITHE RECEIPT وصل اعشار

Received from استلمت من السيد

m/ms for payment of

L.E. ليرة مليم قيمة اعشار

Tithes.

Mukhtar مختار

Village قرية

Date التاريخ

للتوضيح

مجلس محلي عين كارم

تذكرة ضريبة المنازل والمعارف

رقم

LOCAL COUNCIL

٢٦٠		منازل
٢٦٠		معارف

وصلني من السيد

مبلغ

وذلك لحساب

التاريخ

الجابي

كاتب مجلس محلي عين كارم

٢١ـ الطفولة في عين كارم:

الطفولة والطبيعة شيئان جميلان، وقد اجتمعا في عين كارم، القرية التي تزداد جمالاً على جمال.

فالأطفال يحبون الريف والحياة على الطبيعة فلا تعقيد في الحياة، ولا تعكير للأجواء فلا دخان كثيف، ولا مصانع تقلق وتزعج.. ولا سيارات تملأ الشوارع بزعيقها ونعيقها ووقودها المحترق، فالحرية مهيأة بجميع أسبابها، والفطرة هي أساس كل تعامل والبراءة هي الوعاء الذي يحتوي كل الممارسات.

ولكن ثمة ما يستوقفنا هنا، هو مدى اهتمام الأسرة بهؤلاء الأطفال سيما أيام المواسم الزراعية عند قطاف الزيتون حيث يأخذ وقتاً، ولكون المرأة هي مشاركة فعّالة في الأعمال الزراعية، فلا تستطيع أن تجمع في كثير من الأحيان بين العناية بطفلها وبين مساعدة زوجها في الحقل أو في الجبل أو في الوادي.

وكان ذلك ما يسبب بعض المضايقات للأطفال، إذا لم يكن من يكبر الطفل كالأخت التي تتولى الاهتمام به، أو الجدة، حتى إن الجدة أو الأخت كانتا تقومان بالمشاركة التي تقوم بها الأم.

كذلك لا بد من الإشارة إلى فقدان الألعاب (الفنية) العصرية التي تحرك (مكنكة) العقل لدى الطفل وتساعده على التفكير، إن الألعاب الشعبية المعروفة كانت في معظمها مسلية، ولم تكن مفيدة فكرياً.. وكانت ألعاباً ذات مستويات متواضعة، ولم تكن (نظيفة).

وهذا كله ما كان يؤثر على سلامة وصحة الطفل، من حيث النظافة والعناية الصحية والأكل وتناول وجبات الطعام بشكل منتظم.. ولقلة الاهتمام الرسمي من جهة أخرى بالصحة العامة للكبار وللصغار أيضاً، تسببت هذه الأمور في غزو الأمراض الفتاكة في بعض الأحيان، وقد كانت تسبب في حالات الموت، ولظروف الحرب التي نشبت عام ١٩١٤ انتشر مرض الكوليرا فكان من ضحاياه أطفال كثيرون.

٢٢ـ المرأة في عين كارم:ـ

لعل الدين والقيم والأخلاق والقوانين الوضعية، والعُرف والعادة... كلها تحكم وتتحكم في سلوك المرأة العربية المسلمة اليوم فتكسبها مواصفات معينة، ومميزات تجعل أفقاً شاسعاً بينها وبين المرأة الأوروبية وغير المسلمة المتحررة من كل نوازع دينية، من كل الأعراف والقيم

والتقاليد الموروثة.. عن الآباء والأجداد.

والمرأة العربية الفلسطينية القروية كانت على مستوى متدني من التعليم والثقافة، فالظروف المحيطة بها آنذاك كانت لا تساعد على تغيير الأوضاع بالنسبة للمرأة، فالجهل والظلم كانا واقعين على كاهلها سواء أكانت تلك الظروف عامة أم خاصة.

فالظروف العامة التي تتعلق بالوطن وبحكم الانتداب له، وبالغزو الصهيوني له، وبالحروب والثورات المتعاقبة سنة بعد سنة.

أما الظروف الخاصة فهي بالنسبة لوضعها في المجتمع، من إنها (مخلوق) ضعيف لا يستطيع إعالة نفسه، والاعتبارات المتعلقة من أن المرأة تابعة من توابع الرجل، وشيء من اشيائه الخاصة، (واعتبارها منشفة يمسح بها وجهه وقتما يشاء ويلقيه بعيداً عنه وقتما يشاء). حسب الرؤية الضيقة للبعض.

وكان ينظر إلى المرأة عموماً بأنها أقل من الرجل مالاً وعقلاً ودياناً، ومركزاً وشخصية.

وليس لها في البيت وظيفة غير إنجاب الأطفال، وزراعة الأرض، وإطعام الماشية وإحضار الماء من العين.

هذا بعض من كل.

بعض ما كان ينظر إلى المرأة العربية، فلسطينية، أردنية سورية مصرية.. فالوطن العربي في سنوات التخلف والانحطاط والجهل كانت تفرض على الرجل والمرأة أن يواجها بمثل هذه المواقف الشاذة.

هذه الصورة، ذات المعالم الواضحة للمرأة في ذلك الوقت، لم تكن صورة مطلقة، فلا بد من بعض الاستثناءات هنا وهناك، في المدن وفي القرى، على حد سواء، ولم يكن التعليم والثقافة وحدهما المقياس،هناك مقاييس أخرى، كالتربية الخاصة والتدبير المنزلي، والعناية بالأولاد، ونظافة البيت، واحترام الغريب، والترحيب بالضيف... وكما سبق العمل في الحقل من زراعة وسقاية وحراثة وقطاف زيتون... وغير ذلك من أعمال (منزلية وحقلية) تقوم بها المرأة على سبيل التعاون والمشاركة مع الرجل من أجل حياة أفضل.

ولم تكن مشاركتها للرجل في ميدان الزراعة، من زرع وقلع وقطاف للزيتون، وكذلك إعداد الطعام للعاملين في الحقول، وهو أمر ليس من السهل على امرأة واحدة أن تقوم به، في زحمة العاملين والمتطوعين، حيث كان المتطوعون (العونة) لم يكونوا نادرين بل كان أمراً طبيعياً أن تلتئم مجموعة من (العونة) لبيت فلان اليوم، ولفلان في اليوم الثاني وهكذا.

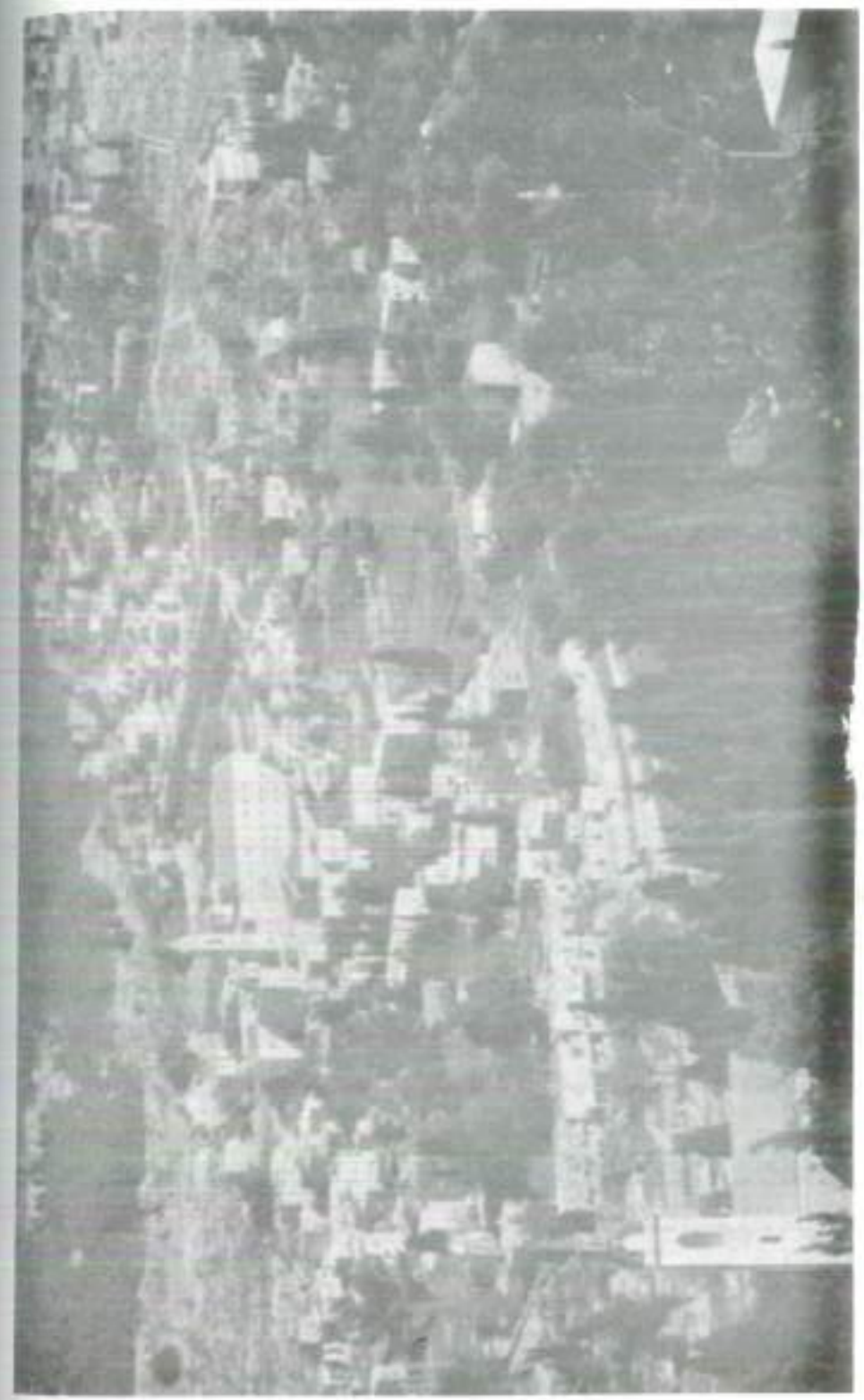

منازل بلدة عين كارم وبعض الأشجار المثمرة

بالإضافة إلى كل هذا فقد كانت المرأة في عين كارم امرأة عاملة ونشطة، ولكن في ميدان الخياطة والتطريز والنسيج وصنع الأدوات التراثية والتقليدية كأطباق القش «والبراويز» والرسومات المصنوعة المطرزة، وهناك رسومات (الملائكة ذات الأجنحة العجيبة) كذلك تطريز الطيور (كالطاووس والبطة والحبش).

أما من ناحية علاقاتها بالمجتمع فقد كانت مطيعة إلى ما يشبه الطاعة العمياء لزوجها، مخلصة إلى أبعد حد، وهي ظل الرجل تماماً، وإن من العيب أن تمشي المرأة مع الرجل إلى جانبه! كان هناك بعض الحرج لدى الطرفين، اللياقة أن تمشي وراءه!.

على الرغم من ذلك، فإن العلاقة حميمة، ونادراً ما تحدث خلافات حادة تؤدي إلى الطلاق، فهي حالات نادرة.

إلّا إن المرأة في البيت هي سيدته، وهي تمثل الرجل تمثيلاً حقيقياً وواقعياً تستقبل ضيوفه (الند بالند) دون حرج، وتقري الضيف، وتكرم الزائر، خصوصاً عندما تكون تلك المرأة زوجة المختار أو زوجة وجيه من الوجهاء. . . وكان بعضهن تسمع كلمتهن وتطاع.

أما الصفات الأخلاقية فالمرأة تتمتع بمعظمهن، فهي وفية لزوجها (حياً أو ميتاً) تحافظ على شرفه، في حال وجوده وفي حال غيابه عن البيت، فالشرف كان حدسها الأول وليست هناك حالات مخلة بالشرف حملتها ذكريات أحد ممن عاشوا في تلك الأيام.

وفي أعوام الثورة والحرب كانت المرأة تحمل السلاح للمجاهدين والثوار في (سلال) الخضرة، وفي جرار الزيت وذلك ما بين أعوام ١٩٣٦-١٩٤٨.

٢٣- المنازل في عين كارم:-

كان التجمع السكاني في عين كارم في وسطها في منطقة الدير حيث يقطن (حارة الظوار)، وفي منطقة الحرجة في الغرب التي يقطنها معظم (أهل الحارة)، وفي المنطقة الجنوبية من الوسط خلف الحرجة - في الظّهرة - حيث يقطن معظم دار «زغب» وفي الشمال دار علي، ولكن لم يكن هناك تقسيم (إداري معين).

وكان عدد من السكان يعيشون في الجبال القريبة في وعر سارة على طريق الشرفة وقسم منهم من دار علي. . .

وأما عن المنازل - البيوت - فلم توجد عين كارم قديمة وعين كارم حديثة فلم يكن هناك

متسع من الوقت (لتحليل) ولتنظم مسيرة التاريخ المعماري العام للوطن أما التاريخ السياسي فهو حافل بالمفاجآت وبالويلات وبالنكبات.

والمنازل التي كانت تبنى حديثاً ـ في الأربعينات ـ كانت تبنى على الطراز القديم المعروف في ذلك الوقت وفي الجبال القريبة من وسط القرية.

وسرعان ما انتشرت البيوت الحديثة هنا وهناك.. إلاّ إن الحداثة لم تكن (لتذكر) إلاّ بقليل من الأفضلية وبخاصة بالتوجه إلى الحجر (المدقوق) والبناء الأقرب إلى التنظيم في بعض المرافق.

أما الميزة العامة فكانت بيوت القرية تتكون في معظمها من غرف مصفوفة صفاً يميناً أو شمالاً، وأما المرافق لم تكن في مخططاتهم الأولى، فالمطبخ هو غرفة من الغرف، وليست هناك غرفة أطفال «مخصصة»، أو غرفة نوم (الأبوين) أو غرفة نوم الأولاد أو البنات... كانت على البركة، ولكن الفرد يعرف أين يكون فراشه لهذه الليلة.

والبيت العادي لا تقل عدد غرفه عن ثلاث.. (للعائلات) الكبيرة نسبياً، وإجمالاً فإن العائلة الواحدة تجمع أولادها الذين يتزوجون جميعاً في بيت واحد أعني في مبنى واحد تضاف غرفة إلى جانب البيت الأصلي أو غرفة فوقه.

أما نظام الطوابق فلم يكن ليزيد عن طابقين إلاّ ما ندر.. والسبب إن الأرض واسعة! حول البيت الواحد.. وليس هناك ضرورة لنظام الطوابق.

والبيت كان عادة يحتوي على حمام (مرحاض) خارجي حيث تحفر (الجورة) في مكان مناسب.

كذلك هناك مرافق أخرى... للدجاج والأرانب «والغنمات». وتقام اسطبلات للدواب من بغال وحمير وخور للبقر.

لم تكن هناك تمديدات صحية أو مرافق للصرف الصحي فالأرض تستوعب كل شيء، البشر والشجر، والمياه الصحية للشرب أيضاً وهي موجودة في العيون والينابيع وفي الآبار التي تحفر في حدائق البيت وبالقرب من أبوابها.

أما عن البيوت ذات الأنماط القديمة، فكانت معظمها مسقوفة (بالسقف العربي المضلع) الجملون والمكوّن في معظمه من الشيد والطين والتبن والقش وهي قوية متينة، وشبابيك عربية سميكة سمك ـ الجدران ـ وقصيرة نوعاً ما.

وبدأت بعد ذلك بوادر نهضة عمرانية في أواسط الأربعينات ولكنها لم تعمّر طويلاً فبدأت الحرب فأكلت كل شيء وهدمت كل شيء.

أما البناء القديم والعمائر التاريخية فهي تلك الأديرة والكنائس التي ابتني معظمها أو جُدِّد ورمم في القرن السادس عشر.

وهناك بعض البيوت والمنازل التي كانت كبيرة نسبياً معظمها يمتلكها الموسرون والمخاتير... وأعيان العائلات والحمائل.

وهناك أبنية قديمة جداً تعتبر من بعض الآثار التاريخية ومعظمها في منطقة الوسط (البدّ) الذي كان يطالب به الدير لضمه إليه ولكن الأهل رفضوا طلبه. وبعد الهجرة بسنين توسع الدير على حساب البدّ وضمه إلى أملاكه.

وفي منطقة الحرجة توجد بيوت قديمة بالقرب من المسجد العمري، والمسجد الجديد على طريق العين.

٢٤ـ ظواهر عامة:

تناولنا أوجه وظواهر نشاط كثيرة للقرية، وأوجه عمرانية، واقتصادية وزراعية وغيرها وأفردنا لها مساحات واسعة في دراستنا المتواضعة هذه.

من هذه الظواهر والمشاهدات أوردها هنا ببعض الإيجاز:

١ـ وسائط النقل: أي الباصات أو الحافلات أو السيارة الصغيرة (التاكسي).. نظراً لمسافة عين كارم القصيرة بينها وبين القدس، ونظراً لسهولة الطريق، وللشارع الرئيسي المسفلت من باب الخليل وحتى باب العين.. فكان يعني هذا إن حركة التنقل بينهما كانت سريعة ونشطة، إضافة إلى وسائل النقل الأخرى من الحمير والبغال.

كان في عين كارم ثلاثة أو أربعة باصات، ويحمل خط عين كارم القدس رقم (١٠)، والحركة متواصلة منذ الصباح الباكر وحتى المساء.

من أول السائقين الذين كانوا يعملون على هذه الباصات طه منون، محمد علي سمرين، عيسى وردة، حسين عاطف وغيرهم.

وكان نفر قليل ممن يملكون سيارة تاكسي ولا تتجاوز عددها الثلاثة.

٢ـ أنشئت في عين كارم في عام ١٩٤٦ مكتبة وكان يملكها محمد عطية نعواش، سمّاها مكتبة عطية/ عين كارم، وكانت تبيع كافة أنواع القرطاسية من دفاتر وأقلام وكتب مقررة في مناهج

دائرة المعارف الفلسطينية للصفوف الابتدائية «المفتوحة» في مدارس القرية.

٣ـ كان في عين كارم صيدلية تقوم على خدمة الناس وفيها جميع أنواع الأدوية والعلاجات المطلوبة (لأمراض ذلك الزمان)، وكان محمود الشعيبي هو الصيدلي المسؤول ويقيم في القدس.

٤ـ بالإضافة إلى وجود عيادات لإطباء يهود ونصارى، دكتور شور، ودكتور عيسى يواكيم ـ وهو من عين كارم ـ والذين كانت لهما عيادات في القدس وعين كارم، كذلك كان هناك مستوصف للراهبات في الظهرة، بالإضافة إلى عيادة البولونية الأصل ـ وهي ممرضة ـ أسمت نفسها ـ أو كما سميت ـ (حليمكا أو هليمكا) والتي كانت تسكن فوق الصيدلية مقابل قهوة خليل منون على طريق العين. والبناء القائم يخص محمد عطية المختار المعروف.

٥ـ في اوائل الأربعينات بدأت أول عملية إنارة للشوارع وللأزقة وللطرق بالفوانيس التي تعمل على الكاز، كما كان يستعمل (السراج) الذي يعمل على زيت الزيتون في البيوت والمصايف، وفي ليالي السمر، وعين كارم هي أول قرية (تبتكر) مثل هذه الطريقة في إنارة الشوارع والأزقة والطرقات الضيقة.

٦ـ وقد أقيت في عين كارم محكمة رسمية مؤقتة ـ محمولة ـ تبت في الأمور الخاصة من قضايا حقوقية وجزائية ـ صغيرة ـ، ولكنها لم تدم طويلاً حيث لم تطل الحاجة إليها، نظراً لتفاهم أهل القرية وللتحكيم لمخاتيرهم وكبار قومهم الذين يحسنون الفصل عشائرياً في القضايا المستجدة. وقد رأى البعض إنها ليست محكمة بقدر ما هي (طلعات تفتيشية).

٧ـ كان هناك مخفر شرطة مؤقت ـ محمول أيضاً ـ يقوم على خدمة (الدولة) أكثر منه على خدمة الشعب، فقد كان في عين كارم شرطيان لتمرير بعض الشؤون الرسمية، وللاتصال بالمخاتير وأرباب العائلات، كما إن الشرطي العربي كان يعرف كيف يهرّب (المطلوبين) من ظلم الانجليز في كثير من الأحيان بمساعدة أهل القرية وأهل المطلوبين أنفسهم.

٨ـ وقد أستحدث في عين كارم في السنوات الأخيرة (مكتباً) للبريد يقتصر على استقبال الرسائل في صندوق البريد المخصص لذلك كما إنه كان فرصة للخدمة الهاتفية (الضيقة) قليلة. حيث إن الاتصال المباشر والأعمال البريدية الموسعة كان في القدس. كما كان يوجد أجهزة هاتف خاصة، كما إنه كان في عين كارم مركز (للخدمات التموينية الرسمية) وما يشبه مركز توزيع اللحوم والدجاج وغيرها إلاّ إنه كان مركزاً لتموين المواد (الناشفة) كالطحين والأرز والسكر.. وكان إبراهيم زايدة وصالح علي قنيص من العاملين في هذا المجال.

الفصل الثالث

عين كارم ومكانتها التاريخية والدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص* ذِكر رحمت ربك عبده زكريا* إذ نادى ربه نداءً خفيًا* قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا* وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليًا* يرثني ويرث من ءال يعقوب واجعله رب رضيًا* يزكريا إنا نبشرم بغلام اسمه يحيىٰ لم نجعل له من قبل سميًا* قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيًا* قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً* قال رب أجعل لي ءاية قال ءايتك ألاّ تُكلّم الناس ثلاثَ ليالٍ سويًا* فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرةً وعشيًا* يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوة وءاتيناه الحُكم صبيًا* وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقيًا* وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصيًا* وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا* واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيًا* فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها رُوحنا فتمثّل لها بشراً سويًا* قالت إنّي أعوذُ بالرحمٰن منك إن كنت تقيًا* قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيًا* قالت أنّى يكونُ لي غُلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغيًا* قال كذلك قال ربك هو عليَّ هينٌ ولنجعله ءايةً للناس ورحمة منّا وكان أمراً مقضيًا* فحملته فانتبذت به مكاناً قصيًا﴾ (مريم: ١-٢٢).

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذ قالت امرأتُ عمران رب إني نذرت لك ما في بطني مُحرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم* فلمّا وضعتها قالت رب إن وضعتها أُنثىٰ والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثىٰ وإني سميتها مريم وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم* فتقبلها ربُّها بقبولٍ حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزُقُ من يشاءُ بغير حساب﴾ (آل عمران: ٣٤-٣٧).

صدق الله العظيم

حقيقة، لم أجد في كتب التفسير أي دليل على إن عين كارم هي مكان ميلاد سيدنا يحيى أو مكان إقامة سيدنا زكريا، أو إن عين كارم كانت المكان الذي تزوره السيدة مريم عليها السلام، ويزور ويتردد عليه السيد المسيح عليه السلام.

والذي نعرفه حق المعرفة استناداً إلى التقاليد الموروثة ومن خلال ما ورد في العهد القديم[٥٢] أن موقع بيت كارم أُقيمت على موقع عين كارم، وبيت كارم تعني بيت الخرفان وهي نفسها القرية التي وُلد فيها سيدنا يحيى وأقام فيها وله فيه مقامات، كما إن ولده سيدنا زكريا عاش فيها حياته، كذلك عرفنا إن سيدنا عيسى ووالدته عليهما السلام كان يترددان على عين كارم ويقضيان فيهما بعضاً من وقتهما..

وإن هناك رؤية خاصة للبعض واجتهادات محدودة تؤيد إن سيدتنا مريم كانت تقيم في عين كارم لبعض من أوقاتها ولا أستطيع أن أحدد إنها كانت إقامة دائمة أم إقامة جزئية، وقصة ترددها على العين وتسمية العين باسمها تبعث بعض الراحة في النفس على أن سيدتنا مريم كانت في عين كارم عندما جاء أمر الله لها بأنها سترزق بغلام اسمه المسيح!، والله أعلم.

على الأرجح إنها كانت في عين كارم فعندما انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً وهو بيت لحم، والآية (فانتبذت به مكاناً قصيا)، أي بيت لحم، وبيت لحم تبعد عن عين كارم حوالي عشرين كيلو متر إلى الجنوب الشرقي منها.

وكان هيرودتس الأمبراطور الروماني يلاحق الأطفال المواليد الجدد من الاسرائيليين.

وإننا لنفتخر بأن سيدنا عيسى ووالدته السيدة مريم وسيدنا يحيى وزكريا عليهم السلام كانوا يعيشون في عين كارم ولو لفترات متفاوتة.. فالأمر بالنسبة لنا واحد فأنبياء الله ورسله سيعطون المزيد من البركة والذكرى والجمال والقُدسية والطُهر لقريتنا الجميلة، وإن وجود اليهود فيها، والنصرانية وكنائسهم وأديرتهم ومقاماتهم، والرومان، واليونان لا يغير من الواقع شيئاً ولا يغير من نظرتنا إليها على إنها جزء من الأرض الإسلامية التي استخلفناها من أجدادنا، وسنخلّفها لأحفادنا، وإن الجهاد من أجلها ماضٍ إلى يوم القيامة.

ومما نعرفه إن السيدة مريم والدة السيد المسيح هي ناصرية أي من الناصرة في شمال فلسطين، ولكن كفالة سيدنا زكريا لها تؤيد ما ذهبت إليه من موضوع تردد إقامة سيدتنا مريم في عين كارم..

﴿وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾ والله أعلم بما أذهب إليه.

ومن جهة أخرى نعزز روايتنا الخاصة بشأن ما نذكره من أن عين كارم كانت معمورة ومسكونة من قبل اليهود أو من قبل الحواريين فيما بعد، وكما ذُكر في القرآن عن الموالي.. وتعني (التابعين، الموالي) ففي الآية ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ والتفسير في الجلالين، الموالي: الذين يلوني في النسب كبني العم. والآية ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ (على لسان سيدنا زكريا).

كان في عين كارم في ذلك التاريخ أُناس يعمّرون الأرض ويعيشون على الأرض التي عاش فيها أجدادنا بعد ذلك.. قروناً طويلة.. إلى أن كتب لنا الحرمان ولأجيالنا الحاضرة. أما أجيالنا القادمة فإن ذلك من أمر الله.

بعد كل هذا فإن محبتنا لقريتنا تزيد كلما قرأنا في كتاب الله العزيز ما جاء في سورة مريم وآل عمران.

وكلما قرأنا عن عين كارم في أي مرجع تاريخي، أو مصدر جغرافي، أو أي كتاب يتناول فيه قضيتنا وقريتنا، تثبت يوماً بعد يوم وسنةً بعد سنة.. الصلة التي بيننا ستصبح أقوى، وتصبح أشد متانة، وأكثر استيعاباً.

وإن كشف أي أثر فيها أياً كان تاريخ ذلك الأثر، وأياً كانت هويته لن تغير - كما ذكرت - من الأمر شيئاً، «وإن الأرض يرثها عبادي الصالحون».

الكنائس والأديرة في عين كارم

عطفاً على ما سبق من حديث حول مكانة عين كارم الدينية عند النصارى والتي سلّمنا بها من منطلق إيماننا برسل الله وأنبيائه، كذلك حسب ما وصلنا من تقاليد موروثة معروفة من أن عين كارم ولد في هذه القرية الجميلة الصغيرة من قرى القدس، مدينة السلام الأمر الذي دعاها لأن تكون مقراً للحجاج القادمين من أوروبا لزيارة الأراضي المقدسة كذلك بالنسبة للسكان المحليين وبخاصة النصارى الذين لا ينقطعون عن زيارة البلدة وبخاصة في الأعياد الخاصة.

في العهد الإفرنجي في العصر الوسيط كانت تُعرف قريتنا عندها بهذا الاسم[٥٣] St. Johon in the woods, Domus Zacharia V.St. Jehon ففيها كنائس وأديرة تقوم على الأمكنة التي - تقول التقاليد - بان سيدنا يحيى كان يتردد عليها أو كان يعيش فيها، وأشهر هذه الأديرة دير الفرنسيسكان وكنيسة القديس يوحنا، وعين مريم وكنيسة الزيارة وهي مقر سيدنا زكريا وسيدة صهيون وغيرها.

وبين عين كارم والقدس أنشأ الفرنجة ديراً وكنيسة في القرن الحادي عشر حملت اسم

كنيسة القديس يوحنا[٢٤]: أُقيمت في القرن الرابع أو الخامس في مكان يُقال إن سيدنا زكريا كان يُقيم فيه اعتيادياً في بيت من الجهة الشرقية إلى الجبل حيث المغارة التي وُلد فيها يحيى (يوحنا المعمدان) حددها الفرنجة في العصور الوسطى، وأعاد الفرنسيسكان بناءها عام ١٦٧٩م.

كنيسة الزيارة: أُقيمت على رصيف صخري في الجهة الجنوبية من القرية ويُقال إن الفرنجة أقاموها في الموقع التي أقامت فيه القديسة اليصابات ـ أم يحيى ـ خمسة أشهر بعد أن حملت ولدها يحيى منقطعة إلى الصلاة وعبادة الله وشكراً على نعماه، وبعد خروج الفرنجة من البلاد خربت هذه الكنيسة إلى أن اشترى الفرنسيسكان بقعتها عام ١٦٧٩ وأعادوا بناءها.

وقد أقام الروس في عين كارم كنيسة وعمائر ضخمة.

وبعد سقوط الدولة العثمانية ودخول الانجليز البلاد، استأنف الفرنسيسكان الحفر والتنقيب بحثاً عن الآثار القديمة، وبدأوا بترميم الكنائس لتحسين وتجديد مرافق الأديرة.

وكما ذُكر كذلك فإن هناك أماكن «مقدسة» أخرى في عين كارم فيها قبور أثرية منحوتة في الصخر، وفيها (كرسي المسيح) المنحوت في الصخر في منطقة شرقي القرية بالقرب من (الحبيس) حيث كان السيد المسيح يَنْشُدُ الراحة والهدوء على ذلك الكرسي في ذلك الموقع، ويُقال إن «الحبيس» هو المكان الذي كان اليهود يحبسون فيه السيد المسيح ـ ويُقال إن المسيح كان يحبس نفسه فيه خشية من بطشهم وبطش الرومان ـ قُبيل محاولتهم وقتله وصلبه» ﴿وقولهم إنَّا قتلنا المسيحَ عيسى ابن مريم رسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ولكن شُبِّهَ لَهُم﴾ (النساء: ١٥٧).

ومن ناحية أخرى، فإن اسم عين كارم وموقعها وأهميتها التاريخية وُجدت واضحة على خريط الفسيفساء في كنيسة مأدبا بشرقي الأردن.

النصارى في عين كارم:

إضافة لما سبق من حديث حول «قُدْسيّة عين كارم» من خلال اطلاعنا على تاريخ عين كارم ومكانتها الدينية، من رؤية واقعية لتأثير النصرانية على أثرها الواضح في تاريخها ومكانتها..

أودُّ أن أُشير إلى أن عدد السكان النصارى من القرية، لم يكن مكثفاً بسبب الأماكن النصرانية الكثيرة والكبيرة، فقد يكون عددهم في الماضي كبيراً ولكنه قبيل الهجرة لم يكن ليبلغ أكثر من (٣٠٠) نسمة عام ١٩٤٨ بسبب هجرتهم من القرية إلى أماكن أخرى في هذا العالم

وربما بسبب عودة (البولونيين) الذين كادوا أن يؤثروا في نسبة عدد السكان النصارى في القرية.

عاش النصارى في عين كارم عيشة المشاركة الكاملة مع المسلمين في شؤون قريتهم ومصلحتها في حدود إمكاناتهم..

وكانوا غير منعزلين إلاّ إنهم كانوا متكاتفين، من حيث المصالح والمشاعر وكانوا متجمعين في منطقة (وسط القرية) قرب الدير لا يؤذي أحدٌ أحدا، ولا يؤذيهم أحد.. وكانوا من خلال صداقات شخصية يتمتعون بتقدير واحترام ومعاملة حسنة.

كان الكثير منهم (متعلمون) بحكم مهارتهم وارتباطهم بالأديرة والكنائس الافرنجية ومنهم المعلم روك، ونبيه راحيل والأب لويس الدبسي، والطبيب الدكتور عيسى بواكيم طبيب القرية وقد قاموا بنشر العلم من خلال ممارستهم لمهنة التدريس في المدارس الأهلية التابعة للأديرة وكانوا أيضاً يتلقون الدعم المادي والتأييد من هذه الكنائس والأديرة والمؤسسات التبشيرية.

اليهود في عين كارم

من خلال دراستنا هذه عرضنا لأحد الأطباء اليهود وهو دكتور شور الذي كان طبيباً يعمل في القرية، كانت له عيادة في مكان قريب من الدير وعلى طريق العين، وقيل إنه كان طبيباً وصديقاً، يحبه أهل القرية، ولقد أُجريتْ لي في عيادته عملية صغيرة حيث (قطب شفتي العليا) ولا زلتُ أذكر جيداً ساعة حملني جدي إليه، وكان هناك طبيب آخر واسمه شور وهو على علاقة بالأهل!

ومن أصدقاء القرية أيضاً، رجل يهودي في مستعمرة بيت هكارم ـ بيت كارم ـ وهو صوفر، الذي قيل إنه كان يعمل (في بوليس فلسطين)، كانت علاقته بالأهل جيدة، ولقد بعث هذا الرجل قُبيلْ بدء الحرب بيننا وبين اسرائيل برسائل إلى بعض أهل القرية ومخاتيرها ومنهم جدي «يتوسل» إليهم ألاّ يحاربوا، وألاّ يرحلوا، وألاّ يستمعوا إلى دُعاة الحرب، حتى تبقى أصدقاء، في الوقت نفسه كان يقول بكلمات غير واضحة إن اسرائيل ستكون دولة، وستكون هي الرابحة، وسيكون العرب الذين لا يريدون اسرائيل هم الخاسرون ولكن كان حديثه يُظهر مشاعر الصحبة لجيرانه وأصدقائه وربما كان يخفي ما هو أعظم! وربما ان العشرة لم تهن عليه!

وقد قامت الدنيا ولم تقعد على رؤوس هؤلاء الذين تلقوا تلك الرسائل، وقد ووجهوا من قبل الشباب المتحمسين، وكادت تحدث فتنة بين أهل القرية، فمزقت الرسائل وانتهى الموضوع من حيث بدأ.

فلم يكن هناك متسع من الوقت للفتنة كي تستشري، فالنكبة كانت أسبق والهزيمة كانت أسرع والرحيل عنها بعيداً كان أقرب!

وكان صوفر قد خاطب هؤلاء الناس، ـ كما سمعت ـ إنه كان يحمل مبادرة شخصية والله أعلم بالنوايا، ولكن «لا تأمنوا إلا لمن تبع دينكم».

كذلك كان الكثيرون يقيمون علاقات خاصة مع بعض اليهود ـ الجيران ـ في الشرقة وفي مستعمرة ليبتي هكارم وبيتي فاغان سيما قبل ظهور التنظيمات الصهيونية ووعد بلفور المشؤوم.

الفتح الإسلامي للقدس
. . . وعين كارم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

المنطلق الأول للحديث عن عين كارم هو من إيماننا وتسليمنا وفهمنا لما تحمله هذه الآية الكريمة، من حيث أهمية هذه الأرض المقدسة عند الله، وأهميتها جاءت تكريماً من الله لرسوله، وإتماماً منه لدينة، ونشراً لحكمه في الأرض.

وعندما نذكر القدس نذكر المسجد الأقصى، ونذكر ما حوله كما جاء في نص الآية الكريمة..

فإننا نستطيع أن نقول إن (عين كارم) هي من الأرض التي بارك الله وحوله» حيث إن عين كارم هي ضاحية من ضواحي القدس، وهي قديماً لم يكن ليفصلها فاصل ما، فالأرض جبالاً ووديانا وسهولاً كلها ممتدة.

والإنسان الذي سخرت له الأرض كي يعبد الله ولا يُشرك به شيئاً، على هذا الإنسان أن يدرك معاني تكريم الله له ولهذه الديار لمباركته لها، ولتسخيرها له جبالاً ووديانا وسهولاً وأنهاراً...

وإنه ليكفينا نعمة من الله أن تكون عين كارم ـ أولاً ـ وهي قرية صغيرة من قرى فلسطين المباركة.

وعلى الرغم من أنني لم أجد دليلاً واحداً محدداً على إن هناك حدثاً إسلامياً ما، أو موقعة

إسلامية، أو قائداً إسلامياً ـ معيناً ـ دخل عين كارم، أو أن أحداً من قادة الفتح الإسلامي الأول قد استقر فيها.

فإن مجرد وقوع أي حدث إسلامي، أو فتح قائد إسلامي للقدس، فهو بالضرورة أن يكون لعين كارم بعض الشرف مما حدث في القدس كالفتح الإسلامي وعين كارم من القدس ولا تفصلهما عن بعض غير سبعة كيلو متر وهي مسافة قصيرة وقصيرة جداً.

بيد إن هناك دليلاً من التقاليد الموروثة أن الفاروق عمر بن الخطاب زار أو مر أو أقام (وقتاً قصيراً) خلال دخوله القدس فاتحاً، فكان من الأماكن التي مر بها وصلى فيها كما تذكر لنا التقاليد بيت ساحور جنوب شرقي القدس، وصور باهر بالقرب من جبل المكبر، وسلوان، وعين كارم حيث أقيم فيها المسجد العمري في منطقة تسمى بالحرجة.

وقد ذُكر هذا المسجد (مسجد عين كارم) ونسب إقامته ـ دون تسميته ـ في وصية الغوث أبي مدين، صاحب وقفيات المغاربة وهو من الرجال الذين جاءوا إلى هذه الديار محاربين مجاهدين في سبيل الله.

وقد يمكننا القول إن بعضاً من الأجداد الفاتحين مكثوا في الديار المقدسة بعد الفتح وخلفوا لنا في هذه الأرض المباركة أمجاداً وأحفاداً.

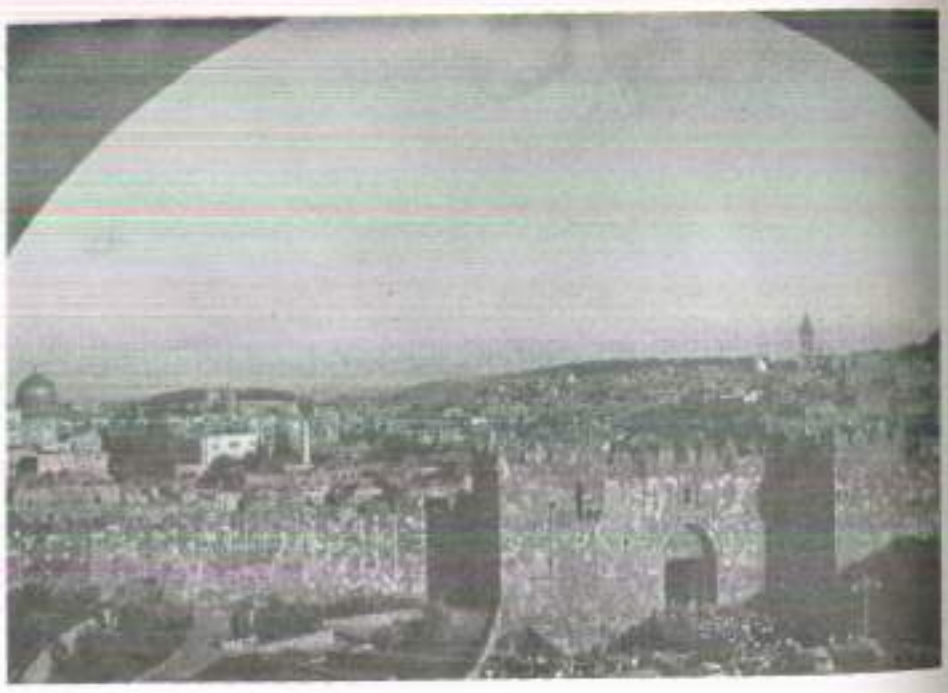

الفصل الرابع

منظر لمجموعة من البيوت القديمة العربية الطراز في منطقة تقع جنوبي العين.

عين كارم ووقفيات المغاربة

بدأت قصة ما تسمى (بوقفيات المغاربة) منذ أكثر من سبعمئة عام، وذلك في عام ٧٢٠هـ حين أوقف الشيخ الإمام الفاضل أبو مدين شعيب بن عبد الله محمد الشيخ الإمام مدين شعيب المغربي المعاني قرية تعرف باسم (عين كارم) من قرى مدينة القدس الشريف.

وقد كان الإمام الفاضل أبو مدين مجاهداً في صفوف المسلمين الذين حاربوا مع صلاح الدين لصد الهجمة الصليبية الشرسة وقد تمكنوا من دحرها والقضاء عليها وإجبارهم على الرحيل بعد ذلك إلى بلادهم.

وقد استمرت الحرب بعد وفاة صلاح الدين إلى أن كتب الله في النهاية النصر على الغزاة الآخرين وهم التتار في معركة عين جالوت التي دارت بين المسلمين بقيادة قطز وبيبرس فاندحروا خاسرين وبقيت الأرض الإسلامية صامدة في وجه كل الغزاة الظالمين.

واستبشاراً بانتصار المسلمين على الصليبيين، منح أحد خلفاء صلاح الدين للمجاهد أبي مدين الذي يعود أصله إلى عائلة مجاهدة مؤمنة أخلصت لدينها فقدمت من الأندلس لمحاربة الصليبيين في القدس.

وقد كُوفيء هذا المجاهد ـ ومن معه ـ بأن وُهب مكاناً جميلاً، كثير الخضرة، زكي الثمر، متدفق العيون والينابيع وهو ما يسمى بـ (عين كارم). وتسلم المكافأة حفيده.

ولما انتقل المجاهد إلى جوار ربه خلّف للمغاربة ميراثاً عظيماً وجعله حِكراً على «السادات المغاربة» من بعده.

وأصبح كل (مُغْربي) هو الوارث لعين كارم، وظلت كذلك حتى بدأت عقده هذه الوقفيات «أكثر شدة» حين بدأ أصحاب المصالح ولا أقول أصحاب الأراضي بالإلحاح لاسترداد أراضيهم وفك الحكر عنها. وبدأت ولكن كيف بدأت.

بدأت عن طريق «السفارات الفرنسية والانجليزية والروسية» بمحاولات «احتواء» الأراضي والعقارات في عين كارم وذلك بدفع النصارى «لاستعادة» أراضيهم لمصلحة تلك السفارات

لإلحاقها ضمن الملكيات الفرنسية والانجليزية والروسية، لإقامة قلاع لهم وبناء أديرة وكنائس. . وكان ذلك في عام ١٣٩٠هـ.

فقد تدخل هؤلاء في قضية الخواجة متيا بن فرنسيس فضل الله وفي قضية الخواجة حنا ولد الخواجة فرنسيس بحضور المعتمد مسيو بادير فونسلوس جنرال بالقدس المعتمد من طرف جناب نابليون الثالث امبراطور دولة فرنسا الفخيمة بموجب الفرمان من الباب العالي بالحجة والكلام.

ومروراً بالحقائق التي وردت من المبلّغ قد دفع من (مال فرنسا) يقدر بثلثمئة وليرة وعشر ليرة ذهب فرنساوي، وتسليم الترخيص (وفك الحكر) إلى الفونسلوس معتمد المذكور والسماح له بما على الأرض من بناء وزرع وأشجار.

فالمؤجر أو الموقف في الأرض هي فلسطينية، والذي فك الحكر هو فرنسي لصالح فرنسا بعد «تدخل» الباب العالي بعد أن زين له الأمر، وزور له الموقف.

وكذلك يتبيّن لنا ما قام به (الارمندر الروسي الروحي للكنيسة الروسية بشراء الأرض بصفة شخصية، وتسجيلها للدولة الروسية حيث لم تكن لتسجل الأرض صراحة باسم الدولة الروسية.

والأملاك المذكورة ـ ربما ـ لم تكن لأناس أصليين من عين كارم، بل هم من بقايا أحفاد الصليبيين، الذين استقروا وتخلّفوا في البلاد ولكن دون أن يعطوا شيئاً حتى الانتماء والولاء.

وبدأت المطالبة الشرعية للأهل بفك حكر الإرث لأحفاد الإمام مدين بن شعيب، وبدأت الصعوبة واضحة، أُخفقت المحاولات الأولى، مع الوكلاء الشرعيين في دوائر الأوقاف، إلى أن تكاتف أهل القرية واسترجعوا أملاكهم (شرعاً وقانوناً بتخليصها من التسجيلات الوقفية)، وفي اوائل الثلاثينات حدثت مواجهات بالأيدي وبالعصي وبالحجارة بين أهل القرية من جهة وبعض المغاربة من جهة أخرى، وتمكّن أهل القرية من هزيمة المغاربة على مشارف لفتا بالقرب من الكيلو ٣٠، ومزقوا جميع الوثائق التي كانت تشير إلى تسجيلات الوقف تلك وكان الحاج أمين الحسيني قد ناصر المغاربة بادىء الأمر ولكنه عاد فعدل عن موقفه وناصر أهل القرية للمصلحة الوطنية المشتركة، وبذلك فإن ريع وخير عين كارم انقطع عن الزوايا المغربية المنتشرة في مدينة القدس حسب الوصايا، التي أُعلنت بشأن الهدف من اختيار عين كارم لتكون وقفاً مغربياً ذا قيمة. وذا فائدة تُدرُّ على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل في الأرض المقدسة وعودة الخير إلى إهله الأصليين.

ومن خلال مطالعتنا لوقفيات المغاربة المنقول من (أرشيف) وزارة دائرة الأوقاف الإسلامية، تعزز ما استخلصناه من أفكار حول المطامع الأوروبية في فلسطين والقدس وعين كارم.

وتعززت «فكرة» عين كارم الأرض الخضراء المسكونة ستظل كذلك، وإن الواقع السيء لا يُغيّر بضرورة عن طموحات المستقبل.

والصفحات القليلة القادمة هي من كتاب وقفيات المغاربة! وقد ارتأيت أن أنقلها بأمانة لكل قارىء مهتم «عكرماوي» وفلسطيني وعربي للذكرى «والتأمل» والتاريخ.

وقبل ذلك استدرك فأقول إن أرض عين كارم (في المناطق الوقفية المعلنة) هي أرض وقف، لا يجوز عليها رهن أو بيع أو شراء، وإن كل إجراء قد تم من مثل هذا النوع بالقسر والباطل لهو باطل أصلاً وإن الأرض التي انتقلت إلى أيدي اليهود بطرق ملتوية منها البيع القسري أو الاستيلاء القهري، أو استملاكها بحجة إنها أرض الدولة، فإن ذلك لا يعطي الحق للبائع والمشتري في مثل هذا التصرف. وخلاصة القول إنه لا يجوز بيع الأرض الإسلامية إلى اليهود والتصرف بها لحسابهم.

وقد أُقيمت القضايا في موضوع وقف عين كارم بين الهيئات الإسلامية، والحكومة البريطانية المُنتدبة وبعد مفاوضات طويلة وعقيمة من أجل إبطال عمليات البيع التي وقعت على مر الزمن من قبل المتصرفين بالأرض ومن سوء الحظ ان صكوك التسجيل (كواشين الطابو) في العهد العثماني لم تكن فيها إشارة تدل على إنها من مُلك الأوقاف الإسلامية فتمسكت بها المحاكم، بهذا النقض الذي كان قد أُكمل في أواخر الحكم العثماني، إذ أصدرت أخيراً المحكمة الشرعية حُكماً بثبوت الوقف بالاستناد إلى كتاب الوقف وإلى تصرف المتولين بالاعيان الموقوفة وصدّقت المشيخة الإسلامية ذلك الحُكم بطريق النقض والإبرام فاضطرت الحكومة لتسليم القرية إلى متولي وقف أبي مدين، وهو شيخ المغاربة، ورفع يدها عن رقبة الأرض.

وكانت الحكومة «حكومة الانتداب غير الوطنية» تسعى لتحويل الأرض بشتى الطرق وبجميع الأساليب التي تملكها إلى الصهاينة المحتلين والضغط على أصحابها ومتوليها بالضرائب والاتاوات والجزئية . . . لإثقال كاهلهم وتوريطهم ليضطروا تحت طائلة هذه الأسباب إلى بيع الأراضي أو التخلي عنها لأتفه الأسباب، وبأرخص الأسعار.

وقد ظنت حكومة الانتداب إنها ورثت الأرض من الحكومة العثمانية إذ إن الأرض بكاملها أصبحت ضمن ملاك الدولة، ولكنها فوجئت ـ حسب زعمها ـ أنها أرض الأوقاف. . لا تباع ولا تشترى.

وقد كانت المشادة قد حصلت بين المشيخة الإسلامية في القدس وبين هربرت صموئيل والحديث هنا لعبد الله مخلص ١٨٧٨-١٩٤٧ من العلماء المسلمين الذين عاشوا في فلسطين، والذي يعود مولده إلى مدينة حلب.

يقول عبد الله مخلص...

إن هربرت صموئيل قال: إن هذه الأرض بعد أن أصبحت من أملاك الدولة «الحكومة البريطانية» فإنها أصبحت أرض أميرية، وليس لكونها أرض تابعة للأوقاف لرد أي اعتبار فاتجه أن سلطان الدولة العثمانية هو خليفة المسلمين وهو أحق بالأوقاف فالتصرف بالأوقاف هو من الأمور الدينية، وليست للملك جورج المنتدب على فلسطين فإذا ورثتم السلطان المدني عن الحكومة السابقة، فلم تورثوا سلطانها الديني.

وكان الحديث عن وقفيات عين كارم، الذي لم ينته في ذلك الوقت، فقال المنتدب صموئيل حينها إن الفصل في هذا الأمر من متعلقات القضاء، ولا دخل للإدارة فيه.

واتابع قول عبد الله مخلص «رحمه الله».

وما أظن إلّا ان المسألة وقفت عند ذلك الحد، فإن القضية ما تزال في المحاكم لم يُفصل فيها، وإن القسم الشرقي من أراضي عين كارم، الموقوفة بحجرها ومدرها، ما تزال تُستَعْمر من قبل الصهيونيين، وهم يُقيمون عليها المباني، ويسكنون فيها. (وفي هذه إشارة إلى أن المستعمرات الاسرائيلية القريبة قد أقيمت على أراضي تعود ملكيتها لعين كارم).

وقد استطاع أهل القرية أن يُنهوا المحافظة على أراضيهم التي كانت وقفاً من أي بيع وشراء وتعامل مع اليهود للأسباب التي ذكرناها.

ولكنهم استطاعوا أن يعيدوا الأرض التي هي أصلاً من ملكياتهم الخاصة، يتصرفون بها يزرعونها ويقلعونها ويعمّرونها، حتى آخر عهدهم في عين كارم.

وإن المصادمات التي كانت تحدث بينهم وبين المغاربة دفاعاً عن القرية كان سببا في نشوب بعض الخلافات بينهم وبين المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يمثله الحاج أمين الحسيني والذي وقف مع المغاربة ثم عاد فغير موقفه كما أشرنا.

وفي النهاية، اعترف المجلس الإسلامي بأحقية أهل القرية بقريتهم، وبعد التأكد على أن الأرض لن تضيع من بين أيديهم أو تتسرب إلى اليهود بالبيع والشراء أو إلى الحكومة البريطانية، وظلت كذلك حتى سقطت الأرض كلها وقفاً وغير وقف بيد الأعداء..

وما زالت حتى هذه اللحظة - في رأي المغاربة أينما كانوا! - تعتبر عين كارم وقفاً مغربياً، في سجلات دوائر الأوقاف الإسلامية منذ العهود الإسلامية الوسيطة.

بقي علينا أن نتعرف إلى شخصية أبي مدين صاحب الوقف الأول..

هو شُعيب بن محمد بن شُعيب، المغربي العثماني المالكي المشهور بابي مدين وهو حفيد شُعيب الشهير، أنشأ وقفه هذا بتاريخ ٢٩ رمضان ٧٢٠هـ - ١٣٢٠م وحبس بموجبه على المغاربة المقيمين ببيت المقدس، قرية عين كارم، الواقعة على مقربة منها، والدار الواقعة بقنطرة البنات، ومن محلاتها، وهي التي جعلها الوقف زاوية للمغاربة، كما سيرد في كتاب الوقف، واعتبرتها وثيقة الدزدارات، علاقة بمحل البراق.

وقد وُلد شُعيب بن الحسين الأندلسي (أبي مدين الغوث) في قطنيانه إحدى قرى إشبيلية، من أسرة غير معروفة، وتوفي ٥٩٤هـ (١١٩٧-١١٩٨م) ودُفن بالعباد بالقرب من تلمسان، وقد كان من أعلام الدزدارات العلماء والحفاظ للحديث وكانت ترد إليه الفتاوي في مذهب بن مالك.

وقد كان أبو مدين في فاس حيث انبعثت مذاهب الموحدين في بلاد المغرب، وبعد بضعة أعوام سافر إلى مكة، بعد أن قابل الشيخ عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ - ١١٦٥م)، وأخذ عنه الصوفية وألبسه خرقة الصوفية في الكعبة!، ثم عاد إلى المغرب، وقد وصلت شهرته إلى السلطان الموحدي أبي يوسف، فطلبه للحضور إلى مراكش ولكن المنية عاجلته بعباد ودفن بالقرب من تلمسان، كذلك كان الشيخ محمد بن العربي المتوفى ٦٣٨هـ - ١٢٤٠م من تلاميذه المقربين.

أما مسألة حضوره إلى بيت المقدس فقيل إنه حضر مع صلاح الدين، وشارك في استرداد القدس من الصليبيين، حيث قطعت يده في القتال، وقد دُفنت يده في القدس، في مكان يُعرف بزاوية أبي مدين.

والجدير بالإشارة إن الوقف الذي أُوقف هنا أوقفه حفيده تيمناً بذكرى جده. وقد أصبح أبو مدين الغوث ولياً من الأولياء وصاحب طريقة من الطرق الصوفية الخالدة.

وعين كارم التي كانت في يوم من الأيام عزيزة عنده وعند حفيده أصبحت حديثاً من أحاديث الوقف التي يطول حولها الحوار والنقاش طويلاً طويلاً.

وانقل في الصفحات القليلة التالية الصورة /طبق الأصل/ من وقفيات المغاربة المتعلقة بعين كارم وبيت المقدس التي لها صلة بموضوعنا.

طبق أصله(**):-

نسخة زادة علي عطا الله النائب بمحكمة محمود باشا بدار الحكومة العلية نمقة الفقير إليه عز شأنه.

علي عطا الله
فتوخانه عالية يه ١٠ ربيع الاخر/ ٣٢٠
مهري مطابق ومألي بروحه محور وقف
مذكوري بياندته عبارت أيدوكي.

عين كارم العدد (١)
في ٢٨ رمضان سنة ٧٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد فهذا كتاب وقف صحيح شرعي وحبس صريح مرعي اكتبه الفقير إلى الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه، الشيخ الامام العالم الفاضل الورع الزاهد الخاشع السالف العارف القدوه أبو مدين شعيب ابن سيدنا الشيخ الصالح العالم العامل المجاهد ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الامام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين ابي مدين شعيب المغربي العماني المالكي نفع الله ببركته وفسح بمدته، واشهد على نفسه الزكية وهو في صحته، انه وقف وحبس وسبل وايد وتصدق وحرم وحرر واكد جميع المكانين المذكورين وهو قرية تعرف بقرية عين كارم من قرى مدينة القدس الشريف وتشتمل على اراضي تعمل ومعطل وعامر ودائروا وعار وسهل وصخور صلد الاتراب عليها ولا ينتفع بها بزرع وعلى اثار دور برسم سكنا فلاحها وبنيان باراضيها وبستان صغير واشجار رمان وغير ذلك يستقي من عين ماءها واشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط وقيقب. ولها حدود اربعة تجمعها وتحضرها. وتحيط بها الحد القبلي منها ينتهي إلى المالحة الكبرى، والحد الشمالي ينتهي إلى بعض اراضي عين كاوون وقلونية وحاراس وصاطاف وزاوية البختياري، والحد الغربي ينتهي إلى عين الشقاق والحد الشرقي ينتهي الى بعض اراضي المالحة الكبرى وبيت مدميل بجميع حقوقها ومرافقها ومزارعها ومقلحها وادرها ودمنها والعين الموجودة بها والنزازات والاشجار الثابتة بها والابار الخربه وقرامي العنب العتيقة الرومية وما ينسب للقرية المذكروة وبكل حق هو من حقوقها، داخلة فيها وخارجا عنها منسوب اليها، خلا ما في ذلك من مسجد الله تعالى وطريق المسلمين ومقبرة لهم فان ذلك خارج عن هذا الوقف وغير داخل فيه. واما المكان الثاني الموقوف فيها فانه بالقدس الشريف بخط

يعرف بقنطرة ام البنات باب السلسلة المشتمل على ايوان وبيتين وساحة ومرتفق خاص، وسفلى ذلك مخزن وقبو. ولذلك حدود اربعة معلومة وقفا صحيحا شرعا قاطعا ماضيا صريحا مرعيا وحبسا دائما سرمدا وصدقة جارية ومعروفا مؤكدا وسبيلا خالصا لاهله مؤبدا والمستحقين على الدوام وقفا عليهم ولهم مرصدا محرما بحرمات الله العظيم ابتغاء لوجهه الكريم وطلبا لثوابه العميم يوم يجزي الله المتصدقين لا يباع ذلك ولا يسيء منه ولا من حقوقه ولا من حدوده ولا يملك ولا يناقد ولا يحل عقد من عقوده ولا يرجع هذا الوقف لغير اهله ولا يعوض على غيرهم ولا يتبدل محفوظا على شروطه المبينة ولا يبطله تقادم دهر ولا يوهنه اختلاف عصر كلما مر عليه زمان اكده وكلما اتى عليه أو ان بينه وسدده ابد الابدين ودهر الداهرين إلى ان يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ان الواقف المذكور اعظم الله له الاجور وقفة هذا على السادات المغاربه على اختلاف اوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم واناثهم كبيرهم وصغيرهم فاضلهم ومفضولهم لا ينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك، ينتفعون بذلك بالسكن والايجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة ومزارعه على الضيع المذكوره ويقدم في ذلك الواردون على المقيمين والاخوج فالاخوج والادين فالادين فاذا انقرضت المغاربه ولم يوجد منها احد مقيما في القدس الشريف سواء كان ذكرا او انثى فيرجع وقفا على من يوجد من المغاربه في مكة المشرفة زادها الله شرفا وعلى من يوجد منهم بالمدينة المنورة. فاذا لم يوجد احد بالحرمين الشريفين فيرجع وقفا على الحرمين الشريفين. وشرط الواقف النظر والتولية على هذا الوقف لنفسه مدة حياته ثم من بعد لمن يوجد رشيدا من جنس المغاربة المقيمين بالقدس الشريف ويشهد له بالرشد والتقوى وقد اعد المكان الثاني المندرج في هذا الكتاب زاوية سكنا للواردين الذكور من المغاربة وليس لاناث المغاربة الواردون ولا لذكور المغاربة المقيمون ولا لاناثهم السكن في المكان المذكور.

وعلى كل من يتولى هذا الوقف ان يبدأ بعمارته واصلاحه وصلاحه وترميمه وما فيه بقاء عينه ومزيد فعله وريعه، والا تؤجر القرية مع اماكن استغلالها والمقاسمة عليها اكثر من سنين ولا يستأنف عقد حتى ينقض العقد الاول. وقد شرط الواقف انه بعد الفايض من التعميرات ان يعمل المتولي في الثلاثة اشهر وهم رجب وشعبان ورمضان خبزا ويفرقه في الزاوية على المغاربة لكل قادم من الغرب ومقيم في المغاربة بالقدس الشريف جوازي رغيفان ذكروا واناثا عند تفريق الخبز بعد صلاة العصر يقرأ الحاضرون سبع فواتح والاخلاص والمعوذين ثلاثا ويهدي ثواب ذلك الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه واتباعه ولروح الواقف ولجميع ما يناسب بالخير في هذا الوقف.

وشرط الواقف اطعامية في عيد الفطر وفي عيد الاضحية وفي المولد الشريف لفقراء المغاربة. وشرط الواقف ان يدفع المتولي لكل قادم من الغرب محتاجا ومقيما بالزاوية ثمن كسوة تقيه من البرد. وإذا مات مغربيا ولم يكن عنده شيء فيصرف تجهيزه وتكفينه من غلة الوقف، فقد تم هذا الوقف المبارك بتمام شروطه واركانه وافق قواعده وصحة بنيانه ونفذ حكمه وابرام لوقوعه من اهله في محله على الوجه المرضي لجوازه وحله وخلوه عما يؤدي إلى نقضه وحله لكونه صار وقفا مؤكدا وحبسا دائما محررا مسددا لا يملك ولا يتصدق به ولا يوهب ولا يرهن ولا يناقض به ولا يتعوض عنه ولا يسلب ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر ويعلم انه الى ربه العظيم صابر من امير أو مأمور أو ذي سلطان جائر ان يبطل هذا الوقف لا شيء منه ولا بغيره، ولا ينسى منه ولا يقدح فيه ولا في شيء منه ولا يسعى في ابطاله ولا في ابطال شيء منه جاهر ولا ( ) ولا يفتوى ولا بمشوره ولا بتلفيق حيلة يعلمه بها الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور. ممن فعل ذلك واعان عليه فالله تعالى طلبه وحسيبه ومؤاخذه بعمله ومجازيه بفعله ويلق الله تعالى وهو غضبان عليه غير راض عنه يوم تبدد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا. ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. ومن خالف ذلك فقد عدل عن امر ربه وتمرد عليه واستبان وعيده واستحق لعنته ولعنة الله لعنة اللاعنين والملائكة والناس اجمعين. فالويل ثم الويل لمن خالفه وتعداه لقوله تعالى فمن بدل بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم. وقد وقع اجر هذا الوقف على الله رب العالمين الذي لا يضيع اجر المحسنين واشهد عليه احسن الله واجرى الخيرات على يده بجميع ما نسب اليه في هذا الكتاب بعد أن قوي عليه من اوله الى اخره وتلفظ بوقف ما عين وقفه فيه على الحكم المشروح فيه في الحال والحال ولشرط الشروط والنظر كما عاينه وبين باعياله وذلك في اليوم المبارك التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة احسن الله تنظيمها في خير وعافية والحمد الله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وعترته الطيبين الطاهرين.

اصلنه مطا بقدر

محكمة شرعية

قدس شريف

صورة اخرجت عن السجل المحفوظ(٩٦)

محكمة شرعية القدس الشريف

موسى بن ابراهيم الديري قاضي القدس الشريف نمقة الفقير اليه عز شأنه غفر عنهما موسى الديري

عدد ٩٦

جمادي أول سنة ١٢٨٣

حجة حكر في عين كارم

لما صدرت الرخصة السنية باجر الفراغ إلى دولة فراسته الفخيمه، بحق قطعتي الأرض بقرية عين كارم الجاريتين، بوقف حضرة ابي مدين الغوث الاتي بياتهما بعد الكشف عليهما وتقدير اجرتهما المثلية سنوياً، وافراز ميرتها المعتاد، لاجل انشاء محل لراهبات الدولة المذكورة لتربية البنات الايتام، والذين ليس لهم أحد، وذلك بمقتضى الأمر نامه السامة المؤرخ في الثامن والعشرين من محرم سنة اثنين وثمانين ومائتين والف، وقد حصل الكشف على ذلك من طرف الشرع الشريف ومجلس الادارة وقلم الطابو بحضور متولي الوقف المذكور، وأغلب أهالي القرية المرقومة ممن لهم الخبرة بذلك، فوجدت أجرة القطعتين المثليه تساوي مائة غرش وثمانية غروش بكل سنة الوقف المذكور وتبين ان ويركو ذلك المرتب سنوياً للخزينة العامرة مائة وثمانية غروش لا غير. ثم في يوم تاريخه ادناه حضر لمجلس الشرع الشريف الأنور الخواجة متيا بن فرنسيس اللاتيني الوكيل الشرعي عن ولده فرنسيس فضل الله الثابت وكالته عنه فيما سيذكر فيه بضمن دعوى شرعية بشهادة الخواجه حنا ولد فرنسيس والخواجه الويز بن فضل الله اللاتيني ثبوتاً شرعياً وحضر بحضوره مسيودي بادير فونسلوس جنرال بالقدس المعتمد من طرف جناب حشمتلونا بليون الثالث امبراطور دولة فرنسه الفخيمة بموجب الفرمان العالي السابق التاريخ واقر واعترف متيا الوكيل وأشهد على لسان ولده فرنسيس فضل الله طائعين مختارين وهما باكمل الأوصاف المعتبرة شرعاً إنه فرغ ونزل وقصر يده إلى دولة فرنسا الفخيمة عمّا هو للموكل بموجب حجتين شرعيتين في اواسط محرم الحرام سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف، وذلك جميع مزارعه ومنفعة قطعتي الأرض المختلطتين الواقعتين في ظهر المرج خارج قرية عين كارم المذكورة الجاريتين بالوقف المرقوم التي تحريرهما ثمانية دوانم وثلاثة قراريط ونصف، ويحدها سوية قبلة أرض الوقف بمزارعه علي خلاد سباقاً، وشرقاً أرض الوقف بمزارعه اولاد علي عيسى أبو راس

وشركائهم وتمامة الزقاق ومنه التوصل لذلك، وشمالاً أرض الوقف بمزارعه موسى منصور وشركاء سابقاً، وغرباً أرض الوقف بمزارعه محمد حمدان الأصغر وشركاء أسبق فراغاً صحيحا شرعياً مقبولاً من الفونسلوس المذكور القبول الشرعي. وقد تعوض متبا المذكور لولده المرقوم نظير هذا الفراغ من مال دولة فرنسا مبلغاً قدره ثلثمائه وعشر ذهب ليرا فرنساوي عينا مقبوضا ذلك بيده حسب الاعتراف قبضا شرعيا. وغب ذلك استأجر الفونسلوس الجنرال المعتمد المذكور بمال دوله فرنسه لها من مؤاجرة الشيخ محمد عارف افندي المغربي المتولي الشرعي على وقف حضرة ابي مدين الغوث المومى اليه بمقتضى البراءة الشريفة السابقة على تاريخه الحاضر معه بالمجلس الشرعي، فأجره للدولة المذكورة بموجب الرخصة السنيه ما هو جار في الوقف المذكور، وذلك جميع قطعتي الأرض المحدودتين والموصوفتين أعلاه بجميع حقوقهما الشرعية استئجارا صحيحا شرعيا باجرة قدرها في كل سنة لجهة الوقف المذكور المائة وثمانية غروش المثلية المرقوم مقبوضا ذلك منه بيده عن سنة تاريخه حسب اعترافه قبضاً شرعياً. وصدر عقد عن سنة تاريخه حسب اعترافه قبضا شرعيا. وصدر عقد الاجار والاستئجار بينهما في ذلك بايجاب وقبول وتسلم وتسليم وبمعاقدة صحيحة شرعية. واذن المتولي المذكور بحسب الترخيص إلى الفونسلوس المعتمد المذكور ببناء أرض وزرع أشجار في قطعتي الأرض المذكورتين كيفما يجب من مال دولة فرانسه المذكورة ليكون ذلك ملكاً لها بعد دفع الأجرة والميري المائتين وستة عشر غرش المذكورين سنوياً مناصفة للوقف والخزينة اذنا صحيحاً شرعياً مقبولاً شرعاً وعلى ما هو الواقع حرر وسطر غب الطلب بعد الأمر في أواخر جمادي الاولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف كاتبة الفقير علي راتب الخالدي.

صوره أخرجت بطلب عن السجل المحفوظ طبق الأصل عدد ٩٧ مؤرخة سنة ١٢٨١

لما كان جاريا بتصرف الخواجه ميخائيل افندي راحيل صراف خزينة القدس الشريف حالاً على طريق الاستحكار جميع قطعة الأرض الكائنة داخل قرية عين كارم الواقعة بحارة المعصارة المشتملة على أشجار منوعه وجدار الجاري قرارها بوقف سيدنا ابي مدين الغوث، نفعنا الله تعالى ببركاته ويحدها قبلة ارض جاريه بالوقف المذكور بمزارعه دار عواد وشمالا ارض جاره بالوقف المذكور بمزارعه صالح سلمان، وغرباً ارض جاريه بالوقف المرقوم بمزارعه ابراهيم خليفة وشرقاً الطريق السالك الموصله للعين وجميع قطعة الأرض الكائنة بالقرية المرقومة المسماة بالخاص المشتملة على غراس متنوعة وعلى جدار الجاري قرارها أيضاً بالوقف المرقوم، ويحدها قبله أرض جاره بالوقف المرقوم بمزارعة علي حمدان واخوته وسليم عيسى

واخوته ومحمد حشمه، وغرباً أرض جارية بالوقف المرقوم بمزارعه خريم الجحش وأحمد ابراهيم ومحمد حشمه، وشمالاً أرض جاريه بالوقف المرقوم بمزارعه أحمد خليل المنشي ومحمد أبو صافيه واسماعيل شنك واخيه وأحمد ابراهيم وسليمان داود وأبو الفلايح، وشرقاً ارض جاريه بالوقف المذكور بمزارعه محمد أبو صافيه وعلي حماد واخوته والطريق السالك بجميع حقوقهما وطرقهما وجدرهما ومنافعهما وما عرف بهما ونسب إليهما وبكل حق هو لذلك شرعاً والثابت حكر مثلهما من قديم الزمان بكل سنة ثلاثون غرشاً اسديه بما فيه التبرع من ميخائيل افندي المذكور لجهة الوقف المرقوم ثم في غرة شهر محمر سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف، صدر الاذن الشرعي من زبدة الاتقياء الكرام الحاج محمد افندي ابا القاسم المغربي متولي الوقف المذكور إلى ميخائيل افندي المرقوم بالغراس والبناء داخل الارضين المذكورتين الجاريتين بتصرفه مهما أحب واراد ليكون ما يغرسه ويبنيه ويحدثه مع ما يصرف منه من المبلغ. في التعميرات والانشاء والغراس له بطريق الخلو الشرعي المتعارف بين الفقهاء من حدا رقبته على كل أرض من الأرضين المرقومتين، وملكاً من أملاكه، بعد دفع الحكر المرقوم سنوياً لجهة الوقف المرقوم، وذلك كله بموجب سند شرعي مؤرخ بالتاريخ المعين اعلاه. فباشر ميخائيل افندي تعمير ذلك، وأحدث بالأرض الاولى داراً من الأساس، وأنشأ بداخلها سبعة بيوت واثنوان ومرفقين ومطبخ علويه وسفليه، ضمنهم ثلاثة بيوت انشأهم بالعلوي من الدار المرقومة بالجهة القبلية وعلى بابهم الايوان المرقوم وهناك أحد المرفقين وثلاثة بيوت كذلك انشأهم بالعلوي من الدار المذكورة بجهتهما الغربية ونفذ خمسة بيوت منهم على بعضهم ورسم للركوب عهلى ظهر ذلك بيوتاً، والسفلى أحدث به البيت السابع مع المطبخ بجانب الاخور صهريجا ممره من الأساس، وقصر كامل البيوت اعلاه، وكذلك يتوصل منه إلى سطح البيوت العلوية المرقومة المرسم فوق ظهرهما بيوتاً للركوب. وانشأ وأحدث على باب الدار المرقومة اخور، ورسم فوق ظهره ايوان. وأحدث على أكمل منوال. وباشر التعمير في الأرض الثانية وأنشأ المرقومة بالشيد والكتان، وبلط اسطحتهم مع ساحات الدار المرقومة وساحة الايوان، وبلط المطبخ مع بعض البيوت، وباقيها مدها بالشيد والنحاته وخشبها وحددها وأتمها على أكمل منوال. وباشر التعمير في الأرض الثانية وأنشأ بداخلها من الأساس ايوان وبداخله بيت وعلى ظهر البيت أوضة، وأحدث صهريجاً محاذياً لذلك من الجهتين الغربية والقبلية وبلط وقصر وخشب وبداخله بيت وعلى ظهر البيت أوضه، وأحدث صهريجاً محادياً لذلك من الجهتين الغربية والقبلية وبلط وقصر وخشب ومدد ذلك كله وأتمه على أحسن حال. حضر يوم تاريخه أدناه لمجلس الشرع الشريف ميخائيل افندي المرقوم وحضر بحضوره زبدة الافاضل الكرام الشيخ محمد افندي عارف

المغربي متولي الوقف المرقوم، وطلب المعمر ميخائيل افندي المذكور من ملانا الحاكم الشرعي المشار إليه أن يعين معه من يكشف على ذلك كله لبيان انشائه لذلك واحداثه له من الأساس مع بيان مبلغ مصرف التعميرات فاجابه لذلك وعين من جانبه كاتبه الفقر وحقداره صالح اغا ومحضره علي أبو عكر. فتوجهوا لذلك وصحبتهم المتولي المذكور والمعمار باشي وجماعة من المسلمين ممن لهم المعرفة والخبرة. وكشفوا على الأرض الأولى فوجدوا محدثاً بها الدار المرقومة، والأماكن والبيوت المسطرة اعلاه ومرسماًللركوب على ظهرها بيوتاً منشائين من الاساس. ثم كشفوا على الأرض الثانية فكذلك وجدوا محدثاً بها الأماكن المعينة اعلاه منشائين من الاساس وكل من عقود الدار في الأرض الأولى ومن العقود في الأرض الثانية معقودين بالمونة والقصاري، ومنشآت بالانقاض الجديده ومعقودين ومحدودين ومبلطين ومخشبين ومحددين حسبما ذكر اعلاه وتم ذلك كله على أحسن حال وأكمل منوال فخمنوا أهل الكشف المرقومين ما صرف في تعمير أماكن الأرض الأولى من شيد واحجار وقرط ومقادم واعتاب وثمن قفران وقف ونقران وثمن اخشاب وحديد وأجرة معلمين من بنائين ونجارين مع اجره الفعول والصناع مبلغا قدره ستين ألف غرش اسديا وما صرف في عماره امكان الدار الثانية المعبر عنهم اعلاه مبلغاً قدره عشرون الف غرشاً اسديا. فعادوا أهل الكشف المرقومين لدى مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه وصحبتهم المعمر ميخائيل افندي والمتولي الشيخ محمد عارف المرقومين وشهدوا المعمار باشي وأهل الخبره المرقومين بوجه المتولي المرقوم بان ميخائيل افندي المذكور بنى وأحدث ذلك كله من الأساس بعقود وانقاض جديده حسبما تقرر اعلاه، وان المبلغان المرقومان صرفا في تعمير ذلك كله حسبما فعل اعلاه. فبمقتضى ذلك كله قد صارت جميع الأماكن المحدثه في الأرض المبدأ بذكرها ملكاً من أملاك ميخائيل افندي المذكور والمحلات المحدثه المذكوره في الأرضين المذكورتين خلواً شرعياً رقبته عليها وعلى بقية الأرض المرقومه، ويدفع في كل سنه ما عليها من الحكر المرقوم لجهة الوقف المذكور الصيروره الشرعيه. وكذلك صارت الأماكن المحدثة في الأرض المثنى بذكرها ملكاً من أملاك ميخائيل المذكور وخلوا شرعياً من حدا رقبته عليها وعلى بقية الأرض المرقومة، ويدفع في كل سنه ما عليها من الحكر المرقوم الصيروره الشرعيه. وحكم مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه بصحة هذا الخلو وارصاده حكماً شرعياً مستوفياً شرطه الشرعيه واذن إلى ميخائيل افندي المذكور بالتصرف في ذلك كله على الوجه المرقوم سائر التصرفات الشرعية اذناً شرعياً. ثم بعد ذلك كله ادعى المتولي المرقوم على ميخائيل افندي المذكور في دعواه عليه ان هذه العمائر عليها المبلغين المرقومين ولم يكن انشاؤه وتعميره لذلك من الأساس وان الحكر المرقوم هو دون حكر مثل الارضين المرقومين. مقارضه

ميخائيل افندي المرقوم محتجا بان الحكر المذكور الثلاثون غرش هو زياده عن حكر مثلهما واته احدث ذلك كله من الاساس وعمره على الهيئة المرقومة وصرف عليهم زيادة عن المبلغ المرقومين وحضر للشهادة وادائها كل واحد من المعمار باش وعبد الله اغا قره جولحا الذي هو من جمله اهل الكشف، وشهدا طبق ما قرره ميخائيل افندي شهاده شرعيه متفقه اللفظ والمعنى مقبوله منهما القبول الشرعي. وحكم مولانا الحاكم الشرعي المشار اليه ثانيا بصحه ذلك كله حكما شرعيا اوقفه بطرقه الشرعي ومنع المتولي من دعواه هذه منعاً شرعياً وعرفه ان دعواه بعد الان لا تسمع في ذلك حيث التحق الحكم بها اولاً وثانياً تعريفاً شرعياً وغب ذلك قد صدق له المتولي على ذلك كله التصديق الشرعي. واذن مولانا الحاكم الشرعي المومى اليه والمتولي المذكور إلى ميخائيل افندي بالتصرفي في ذلك كله على الوجه المرقوم اعلاه سائر التصرفات الشرعية ويعقد البيوت المرسومه المعبر عنهما اعلاه وبالبناء والغراس داخل الارضين المرقومين اعلاه ومهما يصرفه من المبلغ يكون له خلواً شرعياً مرصداً رقبته عليها وملحقاً لهذا الخلو يدفع في كل سنه الحكر المرقوم لجهة الوقف المذكور اذناً شرعياً مقبولاً على النهج الشرعي. تحريراً في اوائل شهر صفر سنة احد وثمانين ومائتين وألف.

صورة طبق الأصل

حضر يوم تاريخه ادناه لمجلس الشرع الشريف الأنور، ومحفل الحكم المنيف الازهر، الخواجه يعقوب ترجمان الاشمندر الرئيس الروحي للدولة الروسية بالقدس الشريف حالاً الاتي ذكره فيه ابن الخواجه جريس ابن الخواجه حنا الحلبي الرومي من رعايا الدولة العليه نصرها رب البريه واقر واعترف وأشهد على نفسه طائعاً مختاراً وهو باكمل الاوصاف المعتبره شرعاً، ان جميع الاشجار المختلفة الاثمار من زيتون وغيره القائم اصول ذلك بالكرم القديم الغربي الكائن بأرض قرية عين كارم للدير الخرب القبلي من الجهة الغربية المحاطه بها الجدران من الجهات الأربع المعروف بصف الزيتون، المجدوده قبلة ارض الصوباني وتمامه ارض عبد الرحيم ومحمد بن داود من القريه المذكوره وشرقاً ارض اولاد المشني سابقاً وهي من الكرم الثاني الاتي ذكره ثالثاً وتمامه الدير الخرب المذكور مع الساحة الملاصقة لحائطه وفيه الباب، وشمالاً الطريق السالك، وغرباً أرض اولاد عطية واسماعيل نعواش وعلي الحاج واولاد فيضي من القريه المذكوره وجميع بناء الدار الغربيه الكائنه خارج القريه المذكوره وجميع بناء الدار الغربيه الكائنه خارج القريه المذكوره الواقعة بالكرم المذكور مشتمله على سفل وعلو. فالسفل منها يشتمل على اوضتين متلاصقتين لبعضهما بعضاً وعلى اوضه كبيرة بها ممشخانه وصهريج

معد لجمع ماء الاشتبه وعلى مطبخ . والعلو منها يشتمل على اوضتين ايضاً ملاصقتين لبعضهما بعضاً وعلى اوضه صغيره ومشخانه وساحه سماويه وعلى منافع وحقوق شرعيه، ويحدها قبلة الكرم المذكور، وشرقاً الساحة الملاصقة لحائط الدير الخرب وفيها الباب، وشمالاً الكرم المذكور ايضاً، وغرباً كذلك الجاري قرار ذلك بوقف سيدي ابي مدين الغوث قدس سره العزيز والموظف على ذلك حكراً يدفع سنوياً لجهة الوقف المومى اليه وقدره عشرون غرشاً وجميع الاشجار المختلفة الانواع والأثمار أيضاً من زيتون وغيره القائم اصول ذلك بالكرم الجديد الشرقي الكائن بارض عين كارم والملاصق للكرم المذكور اولاً من الجهة الشرقية المحاطه به الجدران من الجهات الأربع المعروف بكرم محمد سعده سابقاً، المحدوده قبلة ارض عبد الرحيم المذكور، وشرقاً أرض أولاد جابر وأرض أولاد سليم وتمامه مارس بركات من القريه المذكوره وشمالاً الطريق السالك الموصله للدير المذكور والكرم والدار المذكورتين اولاً وثانياً وفيها أي الطريق باب الكرم الجديد المذكور، وغرباً أرض بيد رهبان دير اللاتين وتمامه الكرم المبدأ بذكره وجميع بناء الدار الصغيره الشرقيه الجديده الكائنه بقريه عين كارم الواقعة بالكرم الشرقي المذكور، المشتملة على قبو كبير وبجهته الغربية اربعة بيوت، وبجهته الشرقيه بيتين كبيرين وصهريج معد لجمع ماء الاشتبه وبجهة القبو المذكور القبليه مطبخ ومرتفق وسلم من حجر يصعد منه للسطح . وسفل الدار المذكوره من الجهة الشرقيه اخور معد لوضع الدواب وعلى منافع ومرافق شرعيه . ويحد الدار المذكوره من الجهات الأربع الكرم الشرقي المذكور الجاري قرار ذلك ايضاً بوقف سيدي ابي مدين الغوث المشار إليع خمسة وعشرون غرشاً فذلك الذي كان مقدماً اشتراه على طريق البيع البات بثمن مقبوض وقدره مائة وخمس وعشرون الف قرشاً من الحرمه ملكه بنت يوسف بطرس اللاتيني زوجة الخواجه حنا كارنوا اللاتيني بموجب حجة شرعية صادرة بمدة صاحب الفضيلة مفتي زاده السيد مصطفى زكي افندي المولى خلافة بالقدس الشريف اسبق بامضائه وختمه مؤرخة في السابع من ذي الحجة الشريفة سنة سبع وثمانين ومائتين وألف . فهذه الاشجار مع الدارين المذكورتين هم ملك وحق من حقوق وأملاك مفخر الله هو الاشمندريت انضوني الرئيس الروحي للدولة الروسية ابن يوحنا ابن ليوم وان اسمه بالحجة المذكورة هو بطريق؟ عن الارشمندريت المذكور نظراً لعدم الرخصة السنية بالتملك إذ ذلك لتبعه الدولة الروسية . وان الثمن المذكور المرقوم هو من مال الارشمندريت المذكور وان لا حق له به ولا بالمبيع المذكور حقاً مطلقاً . وان بناء الجدران الذي صار احداث بناية هو من مال الارشمندريت المذكور وحق من حقوقه اقراراً واشهاداً صحيحين شرعيين صادرين ومقبولين من الخواجه حنا بن الخواجة جورجي بن؟ الرومي المسجل عن الارشمندريت المومى

اليه غب تصديقه بجميع كلماته المذكوره قبولاً شرعياً . حرر في اليوم التاسع عشر من شعبان لسنة تسعين ومائة وألف.

محمد خورشيد الشهابي

عين كارم والنزاعات القبلية[٨٧] :

من المعروف إن بني حسن كانت ناحية من نواحي القدس، ولكن هناك نواحٍ كثيرة يتألف منها «جبل القدس» وفي معظمها كانت مترابطة (عشائرياً) تحكم هذه النواحي التقاليد الموروثة جيلاً بعد جيل.

فناحية بني حسن أو عشائر بني حسن التي كانت مشيختها لآل درويش في المالحة، وأما آل درويش فهم من الولجة، ولا يعني هذا إن (المالحة) كانت كبرى هذه القرى التسع التي كانت تتألف منها ناحية بني حسن حسب[٨٨] الجداول التي كانت موجودة حتى عام ١٢٨٨هـ (١٢٧١-١٢٧٢) وفي مصدر آخر عشر قرى، وفي التقاليد المعروفة تتألف من أربع عشرة قرية.

أما هذه النواحي فهي ناحية بني زيد، ناحية بني مرة وبني سليم في منطقة رام الله ودير غسانة، ناحية بني مالك وقاعدتها قرية أبو غوش، ناحية الوادي (منها بيت لحم)، ناحية بني حارث الشمالية والقبلية في الجانية ورأس كركر أو الرأس.

أما ناحية العرقوب وفي من نواحي الخليل، ولكنها كانت ذات صلة بعشائر بني حسن وبني مالك.

ومما يذكر انه كانت مشاحنات بين هذه العشائر أو النواحي تحدث بين الفينة والأخرى، فقد حدث خلاف بين بني مالك وبني حارث في منطقة رام الله، وبين بني مالك وبين العرقوب، وكان النزاع بين القيسين (العرقوب) وبين اليمنين أبو غوش، ودارت الحرب ضروساً بينهم حتى تدخل فيها الباب العالي، وتدخل فيها القنصل الفرنسي الموجود في القدس.

أما سبب النزاع فكان حول قرية اسمها (عين كارم)[٨٩] وكان ذلك في صيف عام ١٨٥٣ وخريفها، أما سبب تدخل القنصل الفرنسي فلأن فيها دير الفرنسيسكان، وكان النصارى من اللاتين الذين حثوا القنصل على التدخل في الصراع لصالح القرية، وكان أبو غوش قد انتظروا أن ينحاز الانجليز إلى جانبهم لأنهم كانوا - أي النصارى - من (البروتستانت)، ولكن هذا لم يتم حتى نشبت الحرب في عام ١٨٥٨ في عهد ثريا باشا حاكم القدس آنذاك فعزل رئيس

القبيلتين العرقوب، وبني مالك وجميع الزعماء المحليين ممن لهم ضلع في الأحداث الدموية التي دامت بين أخذ ورد، قرابة النصف قرن.

فقد نُفي رؤساء أبو غوش واللحام وعطا الله وسمحان والعزة، وعزل عثمان اللحام عن رئاسة العرقوب وعين بدلاً منه اغا تركي، وأبعد عن البلاد بينما نُفي محمد عطا الله وهو ابن عم عثمان اللحام وهما من بيت نتيف إلى قبرص، أما بالنسبة (لأبي غوش) فلم تتخذ ضدهم الإجراءات العنيفة التي أتخذت بحق عثمان اللحام ومحمد عطا الله من العرقوب وغيرهما من الأطراف الأخرى.

والحديث عن سير الأحداث في موضوع هذه الصراعات القبلية المحلية طويل ومرير وليس في مجال دراستنا هذه، ولكن لا بد من أن أشير إلى بني حسن وأعني منطقة بني حسن، كانت الأراضي التي تدور عليها النزاعات بالإضافة إلى قرية عين كارم فقد أصبح النزاع حول عين كارم والولجة كذلك كان النزاع حول تبادل السكان بين تلك القرى!

وكانت مُدنٌ تُحتل، ومدنٌ تهاجم، فقد أحتلت بيت لحم من قبل أبو غوش، وأحتلت بيت نتيف من قبل العرقوب، وأحتلت بيت نتيف من قبل أبي غوش أيضاً، وفي الفترات التي تشتد فيه أزمة العلاقات بين العرقوب وبني مالك فقد كانت معارك تنشب في بيت جالا وفي الولجة بين الطرفين المتحاربين.

أما ما أود أن أشير إليه ـ ثانية ـ ان أبا غوش كما يتبين لنا من سياق الأحداث إن أصلهم من الشركس وإنهم كانوا يتظاهرون بالانتماء حيناً إلى قيس وحيناً إلى يمن، فقد كان زعماؤهم يتعاملون بهذا الأسلوب، طبقاً للظروف والأحوال إلاّ إنهم رسمياً وفي الأصل من اليمنيين.

فقد كان جزء من المنطقة التابعة لبني حسن ينتمي إلى القيسيين ومنها منطقة بيت جالا، وكانوا يتلقون الدعم والتأييد من قبائل القيسية في العرقوب، ومن هنا فقد كان الصراع بين بني مالك أبو غوش برئاسة مصطفى أبي غوش رئيسهم وبين العرقوب برئاسة عثمان اللحام.

وكما ذكرنا إن أصل أبو غوش شراكسة، ونضيف من أنهم جاءوا مع السلطان سليم العثماني وكانوا يسيطرون على الطريق المؤدية إلى القدس ويفرضوت الاتوات عليهم.

وقد عينوا أخيراً حراساً على الطريق المؤدية ما بين القدس والساحل الفلسطيني في مقابل (٤٠٠٠٠) قرشاً[٦٠] وكانت تعفي القرى المساندة لهم.

لا أود الإطالة في الشرح.. ولكني ربما قد أوضحت عن سبب نشوب الخلافات بين أبي

غوش (المتحكمين) والوافدين كما كان يُنظر إليهم لأنهم ليسوا عرباً وأن زعماءهم من القبائل الأقوياء المشاكسين الذين لا يهدأون أبداً عن (الحرب والنزال) ولو ضمن تلك المفاهيم في تلك الأحوال السائدة التي كانت تحكم مراكز الأحداث في ذلك الوقت.

الفصل الخامس

Revenue Form No. 103.
نموذج الايرادات نمرة ١٠٣
טופס הכנסה מספר 103

District or Sub-District
قضاء او ناحية
המחוז או תת־המחוז

VALUATION NOTE.
لائحة تثمين الاملاك
תזכיר הערכה

Town مدينة הכפר

No. 11

Register No. نمرة السجل מספר הרשם	Valuation of Property. تثمين الاملاك הערכת הנכסים					Book. دفتر הספר	No. نمرة מספר
Name of Proprietor. اسم المالك שם בעל הנכסים	Reason of Valuation. سبب التثمين סבה להערכה	Description of Property. نوع المِلك תאור הנכסים	Date of present Valuation. تاريخ التثمين الحالي תאריך ההערכה העכשוית	Old Valuation. التثمين القديم ההערכה הישנה		New Valuation. التثمين الجديد ההערכה החדשה		Rate per Mille. الفئة بالالف שער אחדים לאלף
				P.T. غرش גרוש	M. مليم מיל	P.T. غرش גרוש	M. مليم מיל	
منصور عيسى فضيل	انشاءات جديدة	بيت سكن	٢٥ مايو			١٢٠٠٠		

Should any objection be raised by property owners that they consider the assessment of the Works to be excessive and a request for re-assessment be made, such a petitioner must forward a request, together with the reasons for complaint, to the Municipality or the District Council in the place where the said property is situated within six months of the receipt of the Valuation Note. The Municipal or District Council will then examine the grounds for the complaint within fifteen days of the receipt of the complaint. They will either approve the original assessment, sustain the complainant or order a re-assessment, and on this give their decision.

واذا قدم اصحاب الاملاك اعتراضا انهم يعتبرون تخمين الورك مفرطا والتمسوا اعادة التخمين فيجب على المدعي ان يقدم طلبا يبين فيه الاسباب الموجبة للشكوى الى المجلس البلدي او مجلس القضاء حيث يقع المِلك المذكور وذلك خلال ٦ أشهر من استلام لائحة التثمين . والمجلس البلدي او مجلس القضاء يفحص الاسباب الموجبة للشكوى خلال ١٥ يوماً من استلام الاستدعاء. فاما ان يصادق على التثمين الاصلي او يعقد مادة بالشكوى او يأمر باعادة التثمين و يعطي حكمه بذلك

אם בעלי הנכסים יעוררו טענה והגישו בקשה שיבוצעו הם את הערכת הנכסים מחדש עליהם להגיש בקשה להערכה שניה־יי צריך בעל בקשה שכזאת לכסר את בקשתו בצרוף טעמי הקובלנה אל העיריה או אל מועצה המקומי באותו המקום שבו נמצא הנכסים בתוך ששה חדשים נתם קבלת הודעת ההערכה. מועצת העיריה. או המקומי העיון אחר כך בטענת הקובלנה בתוך חמשתעשר יום מיום קבלת התלונה. והמועצה תאשר את ההערכה המקורית. או תחתך בסכום הנכנים או הטענה שהגישה העיריה שניה. ועל כך תתן את החלטתה.

عين كارم والثورات الفلسطينية المتلاحقة

منذ اليوم الأول الذي ظهر فيها وعد بلفور على المسرح السياسي في فلسطين حتى وقبل ذلك بكثير، بدأت بوادر العصيان والاضطرابات ومقاومة المستعمر البريطاني ولظروف الحرب التي رزحت تحت وطأتها المنطقة بكاملها ومنها فلسطين، مكان للمقاومة الفلسطينية التأثير على حكومة الملك جورج وبلفور المشؤوم للقضاء على ذلك الوعد الذي طلع به علينا في أشد الأوقات ضيقاً في سنوات حرب ضروس قضت على الخلافة الإسلامية في هذه الأرض.

بدأت الثورات والمقاومة وكانت الثورة الأولى على المحتل عام ١٩٢١، وتوالت بعد ذلك الثورات حتى عام ١٩٢٩ واستمرت المواقف العنيفة من الشعب الفلسطيني حتى جاءت ثورة عام ١٩٣٦ والاضراب الكبير الذي أعلنه الشعب مقاومة منه للغاصبين.

والتاريخ يخبىء في أعماقه وجنباته وعلى أطرافه مواقف صعبة عاشها الفلسطينيون في كل مكان، وهبوا جميعاً في القرية وفي المدينة، في البدو وفي الحضر في السهل وفي الوعر، في الجبال وفي الوديان.

هبّوا لمحاربة العدو (البريطاني) القوي الذي أخذ على عاتقه إقامة دولة للظلم والطغيان في فلسطين.

وإذا ما توقفنا قليلاً عند (عين كارم) لوجدنا إنها كانت إحدى القرى التي قاوم شبابها وأهلها وشيبها ونساؤها ظلم الظلام وحقد الغزاة.. قاموا بالمواجهة الفعلية، فمنهم من أعلن العصيان كغيره بما فيه الاشتراك الفعلي بالاضراب العام، ومنهم من التحق بركب الثوار الذي كان من قادته عبد القادر الحسيني، وبعضهم التحق بركب الحاج أمين الحسيني، ومنهم من كان يتولى مقاومة اليهود والبريطانيين بدافع الحماس الوطني.

وسقط من عين كارم الشهداء، وأصبح منهم المجاهدون الذين قاوموا المغتصب الممثل بحكومة الانتداب البريطاني بسلاحهم المتواضع من بنادق قديمة كانت من مخلفات الحرب العالمية الأولى، ويكفينا أن نفتخر بأن أول شهيد في الثورة الفلسطينية في فلسطين عام ١٩٣٦ كان صالح الصوباني من أبناء عين كارم.

الحاج أمين الحسيني في شبابه.

الحاج أمين الحسيني في أواخر أيامه.

وقد قمنا بترتيب وتنظيم جدول خاص بالشهداء والمجاهدين ساهم في تنظيمه وإعداده بعض من عايشوا تلك الأيام، وبعض من اسعفتهم الذاكرة ببعض الأسماء التي لمعت في سماء الثورة والمقاومة في تلك الأيام الحالكة السواد.

وقد تداركت ذاكرة البعض مشاهد الجنازة (المريعة والمثيرة) التي أُقيمت على مقابر عين كارم عام ١٩٣٦ حين شُيع جثمان أول شهيد في الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ـ صالح الصوباني ـ وذكر لي البعض أن الشيخ اسماعيل الخطيب ألقى خطاباً حماسياً ألهب مشاعر الحضور، ثم ألقى الشيخ عبد الحليم عرموش ـ من نابلس ـ قصيدة رائعة ومثيرة أيضاً التقطُ منها هذه الأبيات[٦١]:

لله ما لقي المجاهد صالح ... من كان فخراً للحمى وعمادا
هو نفسه شاء الذهاب كأنه ... عرف المنية قد دنت فارتادا
يا ابن الكرام لقد تركت مآثرا ... تُبقي لذكرك في السيرة زادا
سيدوّن التاريخ خطبك باسماً ... يا آل يعرب صالح قد نادا

وقبل إن الشيخ الخطيب هو الذي ألقى تلك القصيدة الذي كان يشارك في جنازة الشهيد.

وكان الحضور جامعاً شاملاً، ومثّله المجاهدون في جميع أنحاء فلسطين، ومثّل قيادة الثورة بعض مسؤوليها، كذلك شاركت الهيئة العربية العليا في مراسيم الدفن وهذا ما كان يعزز التركيز المتميز لعين كارم وشباب عين كارم في مواكب الثوار والمجاهدين.

وقد كانت عين كارم حسب رواية الأهل مركزاً (سرياً) للعمليات الفعلية لقيادة عبد القادر الحسيني ما بين عام ١٩٣٦ـ١٩٣٩ ومنها كانت تصدر الأوامر للثوار والمجاهدين لمقاومة الانجليز، فدارت المعارك بينهم، فنشبت معارك كثير منها معركة حوسان عام ١٩٣٧ شارك فيها علي حسن رحال من عين كارم، ومعركة بني نعيم عام ١٩٣٨ الذي استشهد فيها يوسف أحمد نعواش كما جُرح فيها علي حسن الزغبي إلى جانب الكثيرين ممن شاركوا من عين كارم والقرى المجاورة، وشاركوا في معارك قاقون بطولكرم، وفي قرية عاقر سقط شهداء من عين كارم منهم سعيد فوطه وموسى فرحان وذيب خلف، وهي دلالات واضحة على إن عين كارم كان لها وضع متميز ومتقدم لدى القيادة الفلسطينية في ذلك الوقت. وكان من الشهداء والمجاهدين علي سعيد حبُة وخليل قنيص الذي كان ينقل سراً على بغلته الأسلحة للثوار من مكان إلى مكان.

ويحضرني في هذه المناسبة ما اسعفت ذاكرة البعض من أهلنا من أن المندوب السامي

البريطاني السير كرنفل وكهوب اجتمع إلى مخاتير ووجهاء عين كارم لإقناعهم بفك الإضراب، مصوراً لهم إنه من الأفضل لهم أن يبيعوا ويشتروا ويستفيدوا، خير لهم من أن يضيعوا ثمارهم وزروعهم هباء.. فقال أحدهم انذاك وهو مصطفى علي: «أنتم تحتاجوننا ونحن لا نحتاجكم، إننا نأكل مما تنتجه أرضنا، ونشرب ماء عيننا، ونستنشق هواء بلدنا وهذه هي النعمة بعينها» لو - بهذا المعنى -.

وقد أعجب المندوب السامي برد الرجل ولكنه لم يفعل شيئاً إلاّ أن يقفل الحديث عن هذه الأمور بابتسامة صفراء فاقعة.

وقد شارك شباب عين كارم في مقاومة الانتداب البريطاني بصفة (فردية) وقاموه بصفة منتظمة، حيث كان الكثير منهم يعمل مباشرة تحت إمرة القيادة الفلسطينية انذاك وكان الكثير منهم يرافقون الحاج أمين الحسيني، وعبد القادر الحسيني يلازمونهما تحركاتهما ويتلقون تعليماتهم منهما.

وكان يعمل بعضهم كحرس خاص لهما، وقد أوردنا هذه الأسماء في مكان آخر.

ومن يقف على أخبار سير المعارك التي كان يخوضها عبد القادر الحسيني في الدهيشة، ونحالين، والخضر، والقسطل، وبني نعيم، فإنك لتجد أكثر من اسم (عكراوي) وأكثر من ثائر، وأكثر من مجاهد مشارك فيها.

والكشف الذي أعددناه لاسماء شباب ورجال عين كارم المجاهدين والشهداء والذين اسعفتنا باسمائهم المبيتة ذاكرة بعض من أهلنا يوضح لنا بالحقائق والأرقام تلك المشاركة الفعّالة في مقاومة الانتداب البريطاني والعصابات الصهيونية، في العشرينات والثلاثينات والأربعينات من هذا القرن.

ويبيّن لنا الكشف مشاركة شباب عين كارم في الحرب التي نشبت بيننا وبين اليهود التي نجمت عن قيام دولة اسرائيل وتشتيتنا في اصقاع الأرض.

لم يرهب أحد من هؤلاء طائرة الانتداب البريطاني التي كانت تطاردهم من مراح الهوا إلى وادي الغزلاني، إلى حارش إلى عين رواس.

ومن الثوار الذين أسعفتنا الذاكرة بتسجيل اسمائهم علي خليل الذي كان صياداً ماهر حتى لُقّبْ بعلي الصياد، وكان (سابقاً) ضابطاً في الجيش التركي، وكان يقوم بعمليات فردية وجماعية ضد القوافل البريطانية التي كانت تمر بين القدس ويافا، وقد نسف البريطانيون داره الواقعة قرب

العين في آب عام ١٩٣٦، عقب تعرضه لقافلة بريطانية عند الكيلو ٦ بالقرب من قلونية.

ولم يرهب أحد منهم العصابات الصهيونية في القطمون والبقعة وفي الشرفة..

لقد قام الثوار في إضراب ال ١٩٣٦ بمنع المنتوجات العكراوية والثمار العكراوية من دخول القدس، وحرّموها على اليهود، وكانوا يعاقبون كل مخالف، ويهددون كل من يبيع لليهود ولو (بيضة واحدة). على الرغم من أن هذه الثمار هي (أساسيات) ومقومات الحياة العامة في القرية حيث أن القرية كما نعلم تعيش على ما تنتجه أرضهم الخصبة من زروع وأثمار.

الفصل السادس

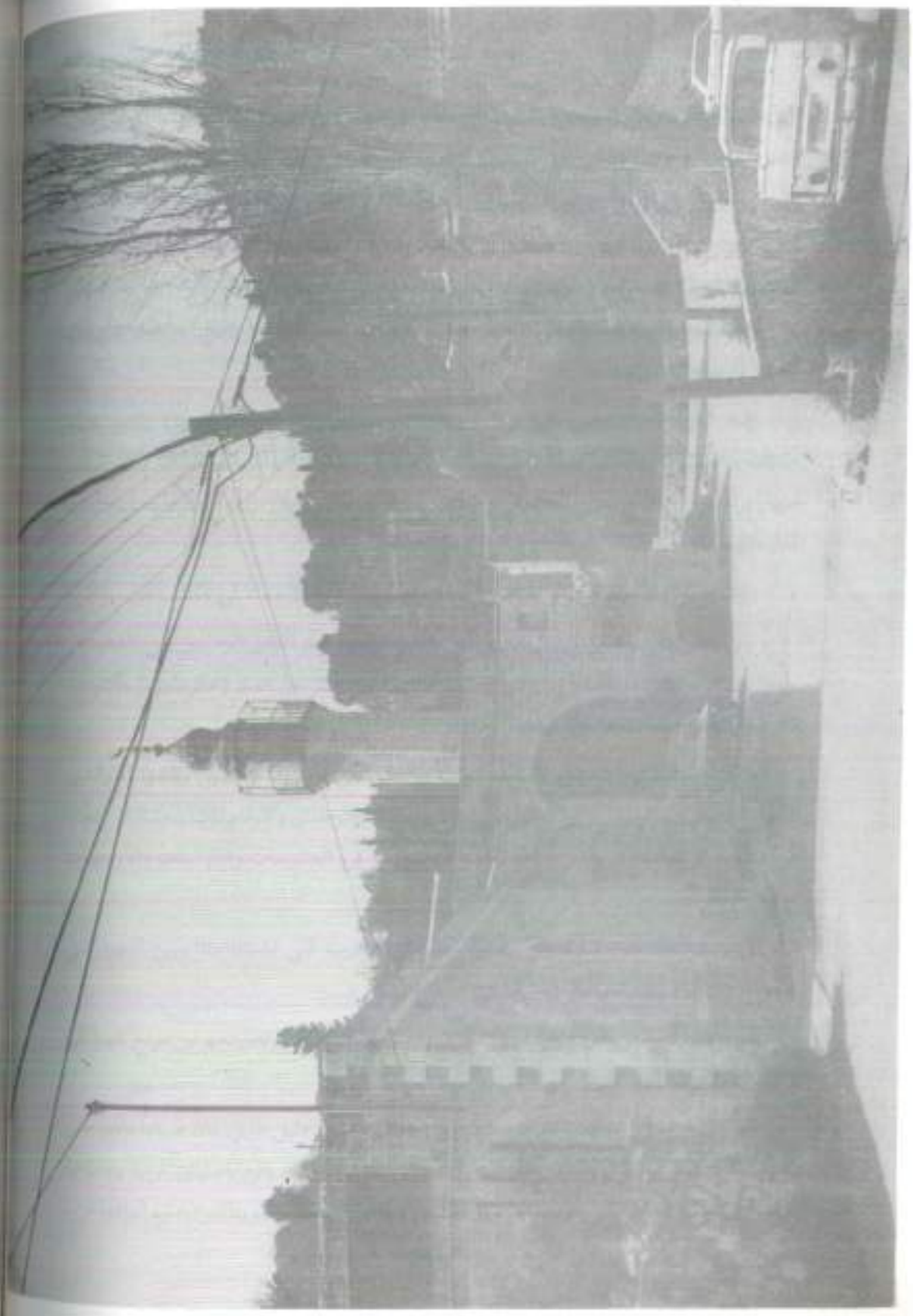

عين كارم وحرب النكبة ١٩٤٨

أشرنا في مناسبات كثيرة وبأساليب مختلفة أن معركتنا مع العدو هي معركة شاملة، معركة الجميع مدنياً، قروياً، بدوياً، متعلماً وغير متعلم، ملتزماً في تنظيم معين، أو غير ملتزم، معركة كل رجل ومعركة كل طفل في كل فلسطين. . .

فإني أذكر يوم إن كنت طفلاً في الثامنة من عمري إني ساهمت ربما بحجر في قتل يهودي ومقتوله! عام ١٩٤٧ حين هرعنا إلى منطقة (الوعر) فقد سمعنا أن يهودياً دخل القرية فأسرع الجميع كبيراً وصغيراً لقتله. . وقُتل ورُجم ثم حُرق ثم دُفن تحت الأنقاض.

ففي عام ١٩٤٧ وبعد هذا الحادث تعرضت القرية إلى اعتداء يهودي على مشارف القرية وبالقرب من سيدي جلجيل.

فهربت النسوة ونُقل الأولاد إلى وسط القرية كلٌ إلى قريبه، وقد عشتُ تلك الحادثة حينما حلّت بعض العائلات التي تربطنا بها صلة قربى في بيت جدي.

بينما خفّ الرجال إلى موقع العدوان يحملون العصي والخناجر والمدي والبنادق المنفوخة.

وقد خفّ أبي (بسنجة) ما زلت أذكرها بينما كان يقوم ببناء بيت (فضل عبد القادر العتمة) وهو أول بيت حديث الطراز والتصميم يبدأ ببنائه في القرية عام ١٩٤٧م.

ومن هنا فقد فكر أهل القرية بحمل السلاح (المطلوب) وكانت البارودة قمة السلاح المطلوب الذي لم يكن متوافراً، فجُمع المال وبيعت الأساور والخواتم والطواقي الذهبية ومصاغ النساء من أجل شراء السلاح وتألفت لجنة برئاسة خليل منون الذي كان معروفاً عنه خبرته في هذا المجال من خلال اشتراكه في (الفتوة) ونشاطات أخرى، وذهب إلى مصر لشراء الأسلحة، وعاد يحمل ـ وهو لا يعلم ـ البنادق المنفوخة والتالفة والتي هي من مخلفات إحدى الحربين الأولى والثانية، وبدأت تنظم في القرية (الحاميات) واتفق بين الحمائل على حماية القرية، وأن تؤلف الحامية من الشباب من جميع الحمائل، علي والحارة وزغب والظوار بالتناوب وبالتنسيق فيما بينها لتكوين حامية للقرية ترد العدوان الغاشم اليومي المتواصل، وهذا ما يدعوا إلى

الشعور بالاعتزاز إلى أن الجميع دونما استثناء قد شاركوا في دفع العدوان ومحاربة العدو وإن جاءت النتائج سيئة كما نعلم . . .

لم يدخل القرية اليهود في (محاولة جسهم لنبضنا) أول مرة، على الرغم من أنه لم تحدث مواجهة حقيقة، فقد ظن بنا اليهود ظناً (حسناً) حين خافوا عن بعد منّا وولوا الأدبار. .

وبدأت المواجهات الحقيقة بعد حصولنا على الأسلحة، ولكن اليهود كانوا يملكون الأسلحة الأكثر فاعلية من المدافع والرشاشات والدبابات، ونحن كأفراد لم نكن نملك غير البنادق الانجليزية والطليانية والألمانية المنفوخة وغير المنفوخة . وكنا لا نملك غير أدعية العجائز التي كانت تملأ الأسماع ليلاً نهاراً، واتذكر هنا أدعية خالتي - رحمها الله - (رصاصتشوا مَيّه وايديتشوا مرخيّه) ويا ناصر الستة على الستين انصرنا على القوم الكافرين.

ولما اشتدت المعركة في الشهر الرابع الذي بدء باستشهاد عبد القادر الحسيني الذي وعد بامدادنا بالأسلحة المناسبة، بعد أن يقضي على اليهود في القسطل «الموقع» الاستراتيجي بعد أن حاصرهم في القدس، ولكن مشيئة الله وخذلان أصحاب الوعود في سوريا ومصر والعراق له بإمداده بالسلاح أحالت كفة الميزان لصالح العدو حين استرد قلعة القسطل الذي استشهد فيها عبد القادر في ٨ نيسان عام ١٩٤٨ والتي اشترك فيها كل ابناء فلسطين، وكان بعض الرجال من عين كارم قد اشتركوا في المعركة والتحقوا بالقوة التي مرت من القرية عصر ٧ نيسان ١٩٤٨ ومن بينهم خليل متون[٢٢].

وتبع ذلك عدوان اليهود على قرية دير ياسين وتشنيعهم واعتدائهم على النساء والشيوخ والأطفال والذي قُصد منه أن يكون (درساً) للقرى الأخرى ومنها عين كارم . .

فزادت شوكة العدو وشاغلت الحامية في عين كارم يومياً إلى انهكت قواها على الرغم من تكثيف لعدد المشاركين في الحاميات وباستمرار ودونما راحة ليلية إلى أن بدأت الأمور تسوء وتسوء حين فتح اليهود جبهتين وأضافوا ثالثة في الليالي الأخيرة.

الأولى في جلجيل والثانية في جبل العقود والثالثة بالقرب من بيت مزميل . .

وكانت أكثر المعارك حدة هي التي حدثت بعد إعلان رحيل بريطانيا واستيلاء اليهود على الأسلحة البريطانية، وتحويل كفة الصراع لصالحهم.

ففي ليلة واحدة سقط أكثر من عشرة شهداء منهم محمد الصوباني، (الحاج نمر)، إبراهيم

الغزلاني، ومحمد الشيخ الخطيب، ومحمد الغزال، وعلي الحمزة وغيرهم، وجُرح عثمان ناصر.

واشتدت المعارك في الليالي التالية . . .

فبدأ الكبار من رجال القرية، الشيوخ يخافون على النساء والأطفال، وراحوا يخططون لترحيلهم إلى أماكن قريبة من القرية في المصايف الغربية في مراح الهوا والدوامة وبير القف ورأس التوتة ومناطق أخرى يظنون إنها آمنة، بينما ظل الشباب يحاربون ويتبادلون حماية القرية حتى دخول الجيش العربي الأردني للقرية . . ولكن الوقت كان متأخراً.

والكثيرون في عين كارم يتذكرون الشيخ أحمد الذي (عسكر في الصلاحية) وجاء دوره في محاربة العدو . ولكن بعد أن انتهى كل شيء.

وانتهى كل شيء، سقطت القسطل واستشهد البطل، وسقطت اللد والرملة . . . والقسم الغربي من القدس، بعد أن أبلى أفراد من الجيش العربي بلاءً حسناً بقيادة عبد الله التل.

وانتهت معركة المواجهة مع العدو إلى معركة أخرى.

معركة المواجهة مع الأوضاع الجديدة التي أصبحنا فيها لاجئين، معركة الرحيل عن الأرض الأم إلى خارج حدود القرية وهذه المرة إلى بيت جالا وبيت لحم . .

وفيما بعد، إلى السلط وعمّان . . .

وإلى ديار الله الواسعة . .

وبعد هذا كله، تبين لنا إنه وبعد مرور أكثر من عشرين يوماً على رحيل أول عائلة من القرية أن عين كارم لم تسقط رسمياً بيد العدو إلاّ في ١٩ تموز عام ١٩٤٨[٢٣]. بعد أن اكتملت خيوط المؤامرة الدولية فسقطت قبل ذلك جميع القرى العربية الواقعة ما بين الخط البري المتجه غرباً والذي يصل القدس بيافا وبين خط سكة الحديد الذي يصل جنوب القدس والمتجهة غرباً إلى يافا . . . وكانت عين كارم هي آخر القرى التي سقطت!!.

اسعفت الذاكرة بعضاً من أهلنا في القرية ممن عاشوا سنوات الكفاح الفلسطيني الطويل منذ اندلاع الثورة الفلسطينية الممتدة حتى أيامنا هذه، والتي بدأت في العشرينات من هذا القرن . .

عبد القادر الحسيني
(ضحى بكل ما يملك، وأخيراً جاد بنفسه على قمة القسطل، في سبيل الله)

اسعفتهم الذاكرة فقاموا بتزويدنا باسماء الشهداء والمجاهدين والثوار منذ السنوات الأولى من وقوع الظلم على شعبنا المجاهد، الظلم الذي وقع من كافة القوى المعادية الاستعمارية البريطانية الممثلة في حكم الانتداب لفلسطين، وللهجمة الاستيطانية الصهيونية على الأرض المباركة.

وإن هذا لا يعني إن هذه الأسماء التي اسعفت الذاكرة بهم هي وحدها التي كانت في مقدمة الركب وفي ساحة الميدان النضالي لهذا الأمة، لا يعني إنه لم يكن هناك آخرون، وجنود مجهولون، هذه الأسماء هي جزء من كل، وهي رمز النضال قاس مستمر، وهي ـ مسجلة ـ هنا على سبيل المثال لا الحصر..

وآمل إلا أكون قد غفلت عن ذكر اسم واحد!

وإني وإن غفلت، فإن الله ليس بغافل عن ذكرهم في ملكوته لقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾ صدق الله العظيم.

ومما يذكر إن هذه الأسماء لم تكن موثقة في كتب وطنية أو تاريخية، أو في سجلات رسمية لأية جهة من الجهات، إلا إنها (وثقت) في ذاكرة بعض من أهلنا كما ذكرتُ آنفاً، وقد لا يعطيها هذا الوضع (الحق كل الحق) والصحة كل الصحة فيما سجلت من قيود بخاصة بالنسبة للفترة الزمنية المذكورة في السجل المقدم (تالياً)، وإن أي خلل فيه يجب ألا يؤخذ على محمل (سيء)، وألا يؤخذ إلاّ على مبدأ حسن النية.

ومهما يكن من أمر، فإن الاسماء الواردة هنا هي صورة معبرة واضحة من صور النضال العربي الفلسطيني منذ أيامه الأولى.

على الرغم مما ذكرت من مركز عين كارم المتميز ـ على صعيد مواجهة العدو ـ بوجهيه الانجليزي والصهيوني، إلاّ إن هناك جنوداً مجهولين قضوا في حومة الميدان دون أن يذكروا في محافل (رسمية) ودون أن تذكر اسماؤهم في كتب تاريخ القضية الفلسطينية ولو للذكرى..

فقد شارك رجال من عين كارم في معركة القسطل مع عبد القادر الحسيني، واستقبلوه قبل ذلك وهو في طريقه إلى القسطل حيث مر بعين كارم قُبيل استشهاده بساعات، واستقبل بالزغاريد والأدعيات والتهاليل وقدمت له ولمرافقيه المجاهدين وجبة (مائية خفيفة) ورافقه من رافقه من عين كارم ومن المالحة القريبة وذهبوا جميعاً إلى القسطل.

وقد لمعت اسماء في الأفق المحلي لرجال من عين كارم شاركوا في الثورة وفي الحرب

ومنهم من رافق عبد القادر الحسيني في ميدان المعركة ومن هؤلاء إبراهيم موسى الذي شارك في معارك حوسان التي دار رحاها بين الثوار والانجليز عام ١٩٣٦ الذي استشهد فيها علي حسن رحال في القبو، وجُرح فيها القدائد عبد القادر الحسيني الذي نُقل بعدها إلى دمشق حيث عولج وشُفي من جراحه ثم عاد لقيادة معركة جديدة هي معركة بني نعيم التي شاركت فيها الطائرات البريطانية مجهزة بكامل معداتها الحربية وجرح ثانية القائد عبد القادر الحسيني، ونُقل للمعالجة، وعاد ليواصل مشواره حتى بدأت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وانتصر الانجليز وراحوا يلاحقون الثوار وقاموا بنفي القائد عبد القادر الحسيني إلى العراق، وتبعه رفقاء سلاحة من أمثال إبراهيم موسى.

شارك إبراهيم موسى ـ بعد ذلك ـ في ثورة رشيد عالي الكيلاني، ولما أُخمدت الثورة، نُفي إبراهيم موسى وعلي محمد عيسى إلى إيران حيث سجنوا هناك، ولكنهم نقلوا من هناك إلى المانيا للحاق بالحاج أمين الحسيني، ولكن إبراهيم موسى فر إلى سورية وشارك في الثورة السورية ضد الجنود الفرنسيين كجنود مجهولين وظل هناك حتى نالت الاستقلال، وقُبيل نشوب الحرب الاسرائيلية عاد إلى عين كارم عام ١٩٤٦، واستشهد في أول معركة نُشبت بين العرب واليهود في القرية بالقرب من عين رواس في ١٩٤٧/١٢/٧ بعد أن كاد يعينه عبد القادر الحسيني في مركز القيادة بعين كارم ولكن الأقدار سبقت تنفيذ كل قرار.

لعلني أذكر أن بعض شباب عين كارم كانوا كرفقاء سلاح وكحراس وكمجاهدين وكثوار في ركب عبد القادر الحسيني، من هؤلاء[٦٤]:

داود سالم، عيسى الحمزة، أحمد الشمالي، حسن جبر، عايد جبر، محمود عيوش وخليل منون وغيرهم.

ومما ذكر لي البعض إن عبد القادر الحسيني حوصر عام ١٩٣٨ في عين كارم بمنطقة المسكوبية، على إثر جراح أصابته في اشتباك بينه وبين الانجليز الذين كانوا يطاردونه ـ في تلك المنطقة ـ وقد حُوصر معه من شباب عين كارم محمد يوسف عواد، ومنصور قنيص وطه منون.

وقد اختبأ في الدير لفترات قصيرة عرض خلالها رئيس الدير أن يلبس لباس الراهب من أجل سلامته، ولكن عبد القادر الحسيني رفض وبشدة، مما وقع رئيس الدير تحت تأثير اصراره (ووطنيته) أعدَّ له مكاناً آمناً ليختبىء فيه وصحبه حتى ينتهي حصار الانجليز له ولصحبه، مكبراً فيه وطنيته وإنه لن يسلمه لأحد... حتى لموسيليني ويبدو إن رئيس الدير هو ايطالي الجنسية. الذي قال «لو إن موسيليني قدّم هذا الطلب فإن طلبه لن يُستجاب».

وعلى الرغم من أن عين كارم كانت مكاناً محبوباً عند عبد القادر الحسيني وعند المجاهدين والثوار، كانت حكومة الانتداب تقيم معسكرات تفتيش بين القينة والأخرى، وتعسكر قوات بريطانية في باحة الدير للملاحقة والمطاردة، ولاجراء الاتصالات مع المعنيين لديها بالأمر من مخاتير ووجهاء ممن يأنسون بحكمتهم وخبرتهم ومعرفتهم بالناس، وفي هذا لون من بذر بذور الفتنة والفساد بين ابناء القرية الواحدة والوطن الواحد.

ووفاءً للذكرى والوطن هذه قائمة باسماء الشهداء والمجاهين والثوار[٦٥]

الاسم	السنة موقع الاستشهاد
خليل صالح مشعل	١٩٢٩ عين كارم ـ الشرفة
يوسف صالح عشا	١٩٢٩ عين كارم ـ الشرفة
درويش موسى درويش	١٩٢٩ عين كارم ـ العقود
صالح حسن الصوباني	١٩٣٦ عين كارم
محمود محمد عامر	١٩٣٦ قاقون/ طولكرم
يوسف أحمد نعواش	١٩٣٩ بني نعيم/ معركة باللاشتراك مع جماعة عبد القادر الحسيني
علي حسن رحال	١٩٣٨ حوسان/ نجدة إلى قرية القبو
سعيد محمد فوطة	١٩٣٨ حوسان/ نجدة إلى قرية القبو
موسى فرحان موسى	١٩٣٨ حوسان/ نجدة إلى قرية القبو
ذيب محمد خلف	١٩٣٨ حوسان/ نجدة إلى قرية القبو
عيسى سليمان سلامة	١٩٣٨ عين كارم ـ عين الخندق
داود سالم جراد	١٩٣٧ علار ـ عين الخندق
أحمد اسماعيل سمرين	١٩٣٧ عين كارم ـ الشرفة
علي حسن شقبوعة	١٩٣٨ قتل داخل السجن من قبل الانجليز
صالح يوسف عشا	١٩٤٨ عين كارم ـ العقود
محمد صالح يونس	١٩٤٨ عين كارم ـ العقود
علي موسى الحمزة	١٩٤٨ عين كارم ـ بيت مزميل
إبراهيم أحمد الغزلاني	١٩٤٨ عين كارم ـ بيت مزميل

الاسم	السنة مكان الاستشهاد
إبراهيم موسى محمد	١٩٤٧ عين كارم ـ عين رواس
محمد اسماعيل الخطيب	١٩٤٨ عين كارم ـ العقود
محمد موسى ناصرية	١٩٤٨ عين كارم ـ العقود
إبراهيم موسى عيسى	١٩٤٧ عين كارم ـ عين رواس
الحاج «نمر» محمد محمود الصوباني	١٩٤٨ عين كارم بيت مزميل
عثمان حسن الزغبي	١٩٤٨ عين كارم ـ رأس التوتة
محمود محمد الصوفانة	١٩٤٨ عين كارم ـ الجرجة
محمد حسن عنوقة	١٩٤٩ بيت جالا
خضر يوسف عيوش	١٩٤٩ عين كارم ـ بعد سقوطها

ولم تتوقف مواكب الشهداء والمجاهدين عن التقدم التضحيات، فالمعركة لم تنته بيننا وبين الاعداء الغاصبين حتى بعد سقوط فلسطين بكاملها في قبضة الاحتلال البغيض.

ونعرض هنا قائمة جديدة من شبابنا الذين قضوا في سبيل الله، وهي أيضاً (كشوفات) غير رسمية، وإنما هي من الذاكرة التي تحدثت عنها في البداية الأولى لهذا الملحق.

الاسم	السنة مكان الاستشهاد
اسماعيل داود اسماعيل الخطيب	١٩٥٥ بيت لحم/ اضطرابات حلف بغداد
إبراهيم داود عودة قنيس	١٩٦٨ الخان الأحمر غارة اسرائيلية
عادل عيسى الأسمر	١٩٦٨ الخان الأحمر غارة اسرائيلية
فؤاد مصطفى روزة	١٩٧٠ بيروت/ تل الزعتر
تحسين طه منون	١٩٧٠ داخل فلسطين المحتلة
محمد أحمد التعمري	١٩٦٥ داخل فلسطين المحتلة
إبراهيم محمد بلول	١٩٧٠ داخل فلسطين المحتلة
شوقي علي زيدان	١٩٦٨ الخان الأحمر/ غارة اسرائيلية

عبود خليل أبو سمرة	١٩٧٠ الخان الأحمر/ غارة اسرائيلية
محمود يوسف خلف	١٩٧٠ الخان الأحمر/ غارة اسرائيلية
عمر حسين محمود	؟ غارة اسرائيلية/ بيروت
رائد محمد صالح جبر	١٩٩٠ جنوب لبنان

وهناك قافلة من الشهداء قضوا في سبيل الله عام ١٩٧٠، والذين كانوا من ضحايا الفتنة آنذاك وهم:

حسام ذيب فرحان، رشاد عبد رشيد عوة، مروان محمود بطاح، سعيد أحمد موسى ناصرية، خليل سليمان خليل، عبد الله خليل محمد عيسى، محمد موسى منصور، اسماعيل سالم جراد والحاج سعيد شقرة. وآخر ما سجل هنا رائد جبر الذي استشهد في جنوب لبنان شهر ١٢ عام ١٩٩٠.

وإن الشعوب العربية هي شعوب مساندة ـ أو هكذا يجب أن تكون ـ للشعب الفلسطيني في جهاده وكفاحه، ولا عجب لأن الانتماء لهذا الدين واحد، والانتماء لهذه الأمة واحد، والشعب في فلسطين ليس وحده في الميدان، وهذا ما يطمئننا ويثير الحماس والحمية بين الفينة والأخرى ومن وقت إلى آخر، ومن موقع إلى آخر.

لا بد وأن أشير إلى إن هذه القائمة ليست عامة شاملة، وليست بالضرورة أن تأتي على ذكر كل من جاهد واستشهد، أو واجه العدو باصرار وعزيمة، فلا بد وأن تسقط اسماء ـ سهواً ـ أو يغفل عن ذكرها ـ عفواً ـ مما يجعل ذلك عذراً لي في أن اعتذر عن نفسي «عواصف» اللوم ورياح العتاب.. والأصل في كل عمل النية.. ولا شك أن النوايا سليمة والأفعال حميدة إن شاء الله.

عين كارم ودير ياسين:

مذبحة دير ياسين وانعكاساتها وآثارها على قريتنا عين كارم كان عظيماً، كما كان على بقية قرى ومدن فلسطين وبخاصة بعدما وصل إلى اسماعنا أن عين كارم كادت أن تكون دير ياسين.

لقد عمد العدو بفعلته تلك إلى إثارة مشاعر أهالي فلسطين سلبياً وبما يتوافق وهواه ومخططاته، فمن شدة دهاء العدو، وقدرته على تحليل المواقف النفسية والاجتماعية والوطنية آنذاك، كانت عملية دير ياسين مدروسة من قبل، ولقد عرف العدو أن أكثر ما يؤثر على العربي هو «الشرف»، ـ ومن هنا ـ فقد أدخل الخوف في قلوب الأهل وزين لهم ـ كذباً ـ إنه لا يهدف

إلى الاعتـداء على الأعـراض والاعتـداء على الصغـار والكهـول ولكنهـا كانت جزءاً من استراتيجيته، في حربه معنا وقد كسب هذه الجزء من الحرب، فأدت بالتالي إلى الانقضاض على الأهل والوطن في آن واحد وضمن مخطط واحد.

إن معركة دير ياسين الذي قيل إن العدو قد ذبح وقتل أكثر من (٢٥٠)[٦٦] شخصاً معظمهم من الكهول والنساء والأطفال، وقد مثّل في ضحاياه.. وكانت هذه هي البداية، وقد نجح فيها، بحيث إن أهل القرى المجاورة خافوا على أعراضهم وكهولهم ونسائهم وأطفالهم... فأخذوا يهجّرون النساء والأطفال والشيوخ، قبل أن يبدأ العدو بشن الهجوم عليهم مما شجع العدو على اتخاذ هذا النهج في معظم القرى التي كثيراً ما كان يدخلها خالية من أهلها، إلّا ما ندر...

ومن هذه القرى عين كارم، لقربها من دير ياسين حيث إن المسافة بينهما لا تزيد عن كيلو متر واحد.

كان عدد سكان دير ياسين لا يتجاوز الألف نسمة، وكانت المذبحة قد بدأت بعد أن عاد شبابها من القسطل من تشييع جنازة عبد القادر الحسيني ليلة الخميس في ٨ نيسان، وفي صباح ٩ نيسان عام ١٩٤٨ كانت قد اكتملت المأساة وبخاصة بعد معركة القسطل واستشهاد عبد القادر الحسيني[٦٧].

وفي يوم الجمعة، ٩ نيسان كانت عصابات الارغون، وشتيرين، يرافقهم بعض ضباط من الانجليز، وكان يرأسهم جميعاً الإرهابي مناحيم بيغن رئيس حكومة اسرائيل (السابق). ويقومون اهجومهم الشرس على القرية الوادعة.

وكان يوم ٨ نيسان ويوم ٩ نيسان، كالأيام التي سبقت والتي تلت ذلك التاريخ.. وهي أيام الحزن والفقر والإرهاق والتعب والضنك... وما أكثرها في تاريخ هذه الأمة وهذا الشعب.

إن مذبحة دير ياسين التي كانت معدّة في الأصل لعين كارم بسبب وقوف رجالها مع عبد القادر الحسيني وبسبب انطلاقته إلى القسطل من عين كارم نفسها وقد اختلف اليهود في هذا الأمر واتفقوا على دير ياسين في النهاية وكما أوردت لها حقائقها ودقائقها ادت الغرض الذي أعدت لأجلة، وبلغت الهدف والمقصد... فانعكاساتها وتأثيراتها على مجريات الحرب بدت واضحة، وعلى الشعب الذي تجرى على ساحته وفوق أرضه رحى تلك الحرب.

فما أن بلغ مسامع الأهل نبأ ما حدث في دير ياسين، حتى بدأوا يبحثون لهم عن مكان آمن يختبئون إليه بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم خوفاً من العدو الذي سيفتك بأعراضهم ويُذلّ

شيوخهم.. ويهين ويعذب صغارهم... ويعلّق رقاب شبابهم على أعواد المشانق.

وكانت هذه أفضل الوسائل بالنسبة للعدو، وأقرب الطرق للوصول إلى مآربهم وهو تشتيت الأهل واحتلال الوطن.

فما كان من الأهل إلّا أن بدأوا يرحلون عن القرية تلو القرية، وأولها كانت دير ياسين فرحلت إلى عين كارم المجاورة وقد حُمل بعض الجرحى وعولجوا في عين كارم والبعض الآخر نقلوا إلى بيت لحم للمعالجة أيضاً. ودب الرعب في قلوب الناس.. لم يرهبهم العدو بدباباته وبقذائف المورتر والمدفعية الثقيلة وبالهجوم العسكري المباغت وغير المباغت! فلم يخف أحد من الحرب ولكن خافوا جميعهم من بقر البطون وانتهاك الأعراض وقطع الرؤوس والأطراف في عملية مثل عملية دير ياسين.

كان الأهل في ذلك الوقت من القوم السُذّج البسطاء، الجاهلين، الذين اخذتهم صفعة الموت على حين غرة، (وضبعتهم اسرائيل بهذه الطريقة) وضبعوا أنفسهم بها.

ولكن ما نقول في الأعلام العربي للدول السبع آنذلك؟ هل كان ساذجاً، مائعاً غير مركز؟ لقد ساهم الإعلام العربي من غير ما شعور في (تعقيد) الأمور أكثر، وفي تضخيم المشكلة بمجرد عرضها على (الرأي) العام.. ولكن دون أن يطرح حلولاً لتلك المشكلة... صياح، استنكار، احتجاج، وبرقيات لمجلس الأمن، والبكاء على (الميت).. ليس إلا.

لقد ضيّع الناس الوطن وهم لا يشعرون، لقد هيّوا للأمر العظيم الذي حدث انذاك وهو سقوط القسطل واستشهاد القائد عبد القادر الحسيني، ولقد انستهم الفاجعة مقاومة العدو، وهرعوا عن بكرة أبيهم للاشتراك في جنازة الشهيد في القدس، وكان العدو ذكياً وشاركهم حزنهم وذلك بزيادته وتعميق آثاره في النفوس بأن هجم على دير ياسين وفعلوا ما فعلوا من أعمال يندي لها الجبين العربي على مر الزمن.

ولا يفوتني لأن أعود إلى ما ذكرت في البداية من أن مذبحة دير ياسين كادت أن تكون مذبحة عين كارم، فقد توصلنا إلى بعض من الحقائق التي تثبت هذا الادعاء وما حدثني به محمود اسماعيل الخطيب، وقد كان أحد «الحماة» في عين كارم وكانت «وظيفته» على رأس الكيك - وقد اسمته اسرائيل برأس كندي - بجبل العقود المواجه لقرية دير ياسين. والشرفة ولفتا والمستعمرات الاسرائيلية القريبة.

لقد اختلف الصهاينة الممثلة بعصابات الأرغون وشتيرين وتسافي لوؤمي على مهاجمة عين

كارم أو دير ياسين لإعداد مذبحة تكون درساً «نفسياً» للفلسطينيين في كل مكان، وللقرى المجاورة التي عرقلت تقدم العصابات الصهيونية، واستنزفت بعض قوتها (وغلّبتها).

وكان اسحق رابين مساعداً لابن غوريون وزير الدفاع الاسرائيلي انذاك من مؤيدي الهجوم على عين كارم لإنهاء أولاً الموقع الذي منه تنطلق إلى القرى المجاورة التي تقع غربي القرية كصوبا وصاطاف وخربة اللوز والقسطل في النهاية للإلتقاء مع القوات الاسرائيلية التي تحاول أن تحتل القسطل ـ قبل أن تحتله ويسقط القسطل ويسقط القائد عبد القادر الحسيني شهيداً ـ.

ولما سقطت القسطل وجدوا مبرراً آخر وهو أن أهالي عين كارم وحماتها وشبابها كانوا في مقدمة من ساعدوا وساندوا عبد القادر الحسيني فحاربوا معه ما كانوا حراسه وقبل ذلك من حرّاس وأعوان الحاج أمين الحسيني، ومنهم عدد كبير كانوا قد تسببوا لهم بالعمليات الفاشلة الكثيرة المحلية في مواقع بيت مزميل وجبل العقود وفي الشرفة بالقرب من جلجيل. ولم تتمكن هذه العصابات من أن يوقفوا حماة القرية عند حدهم، ولم يتمكن أيضاً حماة القرية من القضاء على الحملات الصهيونية المتوالية على القرية.

خلاصة القول إن العلاقات كانت (متدهورة) وسيئة إلى أبعد الحدود منذ أواسط عام ١٩٤٧، كانت من الأسباب التي دفعت من تبني فكرة المذبحة لعين كارم إلى طرحها على بساط البحث.

وأما الطرف الآخر المتبني لفكرة المذبحة لدير ياسين فكان مناحيم بيغن رئيس الارغون/ تسافي لؤومي شتيرن الذي اعتبر أن دير ياسين ما هي إلا قرية فلسطينية تقع بالقرب من القدس وبالقرب من عين كارم، وإن المذبحة لا يقصد منها دير ياسين نفسها إنما يقصد منها كل القرى والمدن في فلسطين، وهو جزء من حرب نفسية تُشن على العرب، مع قناعته لما يدّعي (بأن دير ياسين قرية صغيرة وديعة) إلا إن لها شباباً حاربوا في القسطل مع عبد القادر الحسيني وحضروا جنازته في المسجد الأقصى..

وكان القرار أن تكون اليوم دير ياسين وقد تكون غداً عين كارم إذا اقتضى الأمر ولم (يتعلم العرب من هذا الدرس).

وتعلم العرب من هذا الدرس... فأطلقوا لأرجلهم العنان وبدأوا يرحلون من قراهم ومدنهم قبل أن تصلها يد الغدر والخيانة، وهناك قرى كثيرة ومدن كثيرة في فلسطين سقطت

بأدنى مقاومة... بل بلا مقاومة بخاصة تلك التي سقطت بعد ذلك التاريخ.

ولقد سقطت عين كارم رسمياً في ١٩ تموز ١٩٤٨، ولم يكن فيها إنسٌ ولا جنٌ. «لا عربي ولا يهودي» بعد عشرين يوماً من خلوها من ساكنيها.. رغم ما تحدثنا به عن المقاومة والمجابهة المستمرة واليومية مع العصابات الصهيونية، فحماة القرية والمحاربون أصبحوا على عدد أصابع اليد.. وباتوا في الأيام الأخيرة ـ قلة ـ، بعدما فشلت لجنة جمع السلاح في القرية ومن أعضائها العاملين خليل منون وحسن جبر وغيرهما في تسليح القرية تسليحاً يمكّن حماتها من رد العدوان.

والبنادق المنفوخة الفاسدة... التي زودوا بها لا ترد أي عدوان...

إن مذبحة دير ياسين في ذلك الوقت كانت حدث العصر الجديد... وحديث الناس في تلك الأيام.. وما زلنا نتحدث ونثرثر ونلوك كلاماً كثيراً ولم نغير ولم نبدل.. ولم نمنع مثل هذه المذابح من أن تدخل فُلْك قضيتنا الدوار..

لم نستطع أن نوقف أو نمنع مذابح الفلسطينيين في تل الزعتر، وبرج البراجنة والمية مية، وصبرا وشاتيلا.. ومذابح أخرى في أماكن أخرى.

لقد اتخذ العدو مما أسماه (مذابح العرب للعرب) ذريعة لمواصلة مذابحه لنا في كل مكان وفي كل زمان، مع خلق الجديد من المفارقات والأعذار وإضافة المزيد من التأويلات والتبريرات!

كبر الأطلس.

كبر الروزا.

كبر الصوف.

الفصل السابع

«دوشن» ثوب الملك

«دوشن» ثوب التطريز

التراث الشعبي/ الفلوكلور

لكل أمة من أمم الأرض، تاريخها الخاص بها وتراثها المتميز الذي يحمل مع كل حركة وسكنة خصائص هذه الأمة وميزاتها ومواصفاتها ومكانتها بين سائر الأمم الأخرى.

والتاريخ بما فيه من أحداث، وبما يحمل من مفاجآت، وما تنعكس عليه من متغيرات ليعبر في جميع حالاته عن مدى ما تتمتع به الأمة من أهلية للبقاء والاستمرار، قوية وعظيمة.

وإن ارتباط هذه الأمة بتاريخها هو أمر لا بد منه، وإن التواصل بينهما ضرورة حتمية للمحافظة على المسيرة التاريخية متينة متماسكة.. زمناً وإنساناً وعقيدة وجهاداً وحياةً.

وإن أي تداع في الأمة وتاريخها، وأي اهتزاز في الصورة قد يحدث خللاً في النظام الذي يحكم الأمة وتاريخها وتراثها.

والتراث هو جزء من التاريخ.. ومواكب له، وقد ظهر حديثاً في أوائل القرن التاسع عشر مصطلح التراث الشعبي. ولا يعني ظهوره الفصل بينه وبين التاريخ العام، وقد بدأ باستعمال هذه التسمية في أعقاب عصور الانحطاط التي بدأت مع نهاية الحكم الأيوبي، وقبيل الغزو التتري للمشرق الإسلامي، فقد أخذ الناس يستعيدون الأمجاد الأولى على شكل حكايات وأساطير ـ كما نفعل اليوم ـ ويتحدثون عن الظلم والقهر ـ مثلما نتحدث اليوم ـ منتظرين ظهور «البطل» ليخلّصهم مما هم فيه من حال سيء مستذكرين ما كانوا عليه من أفضل حال تحت راية الإسلام (منذ عهود قصيرة).

فكثر الاهتمام بالمظاهر، واجترار البطولات، واستعادة الأمجاد والاكتفاء منها بالقشور القشور، وما أقرب حالنا اليوم إلى ذاك الحال.

فالمعركة طويلة ومستمرة، وهي ذات أصول وجذور تاريخية وحضارية وتراثية، فهي حرب شاملة، استيطانية ثقافية اقتصادية، فكرية تراثية حرب استراتيجية وهي حرب بقاء، حرب حياة أو موت، لأن العدو يركز كل التركيز على كل هذه الجوانب مجتمعة..

فإما أن يكون هناك شعب صاحب الحق والأرض، وإما ألّا يكون. فالصراع الدائر بيننا وبين الأعداء على اختلاف وجوههم وألوانهم وأهدافهم وجنسياتهم وهم متفقون جميعاً على

حربنا تاريخياً، تراثاً، حضارياً، حيث ينازعوننا على كل مافي أيدينا من أراض مقدسة مباركة غنية بما منحها الله من نِعَمْ وحباها من طيبات.

وينازعوننا على ما كان لنا من تاريخ وحضارة.

وحتى لا يكون الشعب الفلسطيني نهباً للشعوب الأخرى، وحتى لا يكون تاريخه ممزقاً بفعل تجاوزات الشعوب الأخرى عليه، علينا أن نعمل على إيقاف هذا المد المعاكس الرديء بكل ما أمكن من وسائل بالمواجهة في ساحة الميدان..

وبالمواجهة في المحافل الدولية والسياسية والدبلوماسية، كذلك بما نقوى عليه من مقارعة الحجة بالحجة والمحافظة على تراثنا وتاريخنا من النهب والضياع.

لقد حاولت اسرائيل وتحاول على تصوير تراثنا العربي الفلسطيني الشعبي على إنه من تراث الشعوب التي سكنت (أرض اسرائيل) على مر الزمن. وتمكنت الأيدلوجية الصهيونية من توظيف هذا التراث لصالحها.

وحتى على مستوى الأزياء، والأغاني الشعبية، والمأكل والعادات على إنها جزء من عادات وتقاليد تلك الشعوب.

وليست اسرائيل وحدها تفعل ذلك، إن الشعوب المتسلطة التي من مصلحتها إذابة شعوب أخرى في بوتقتها أيضاً تفعل ذلك.. وإن تشتت الشعب الفلسطيني وشتاته في ديار الغربة أفقده القدرة على لملمة تراثه الشعبي ليكون هذا التراث بطاقة محبة وحنان للوطن الذي إفتقدناه أصلاً!

إن الاهتمام بالتراث الشعبي هو جزء من اهتماماتنا بالوطن وقضاياها الأساسية والمتفرعة وهو تعبير خالص لما نكن لهذا الوطن من محبة، وما نحفظ له من الجميل على مر التاريخ.

وإن «الفلوكلور» التراث الشعبي هو أحد ركائز العمل الوطني العام والمنظم، حيث إن العدوان إذا ما وقع على الوطن فإنه بحكم الاتصال والالتصاق بالهم الواحد، يؤثر على هذا التراث، لأنه سيكون مهدداً باالضياع والاندثار إذا لم يكن هناك رد فعل حاسم للدفاع عنه.

وقد أصبح التراث الشعبي «الفلوكلور» مستهدفاً لادعاءات الغير بأنه لهم وإن انتماءه ليس لنا بل لأعداء الوطن، التقليديين وغير التقليديين، فإذا ما سقطت الضحية على الأرض فإن وحوش الغاب على اختلاف (جنسياتها) وعقلياتها وأفكارها وفهمها مجتمعة على الإجهاز على هذه الضحية حتى النهاية.

وليس الفلوكور هو الزي والمأكل والمشرب، والغناء والأساطير والحكايات الشعبة والأدب الشعبي الخاص، إنه أعظم من هذا كله.. إنه ملامح لهوية الوطن، فإذا ما فُقدت هوية الوطن، واختفت بعض مواصفاتها، فإن معرفتنا لأصالة هذا الوطن ستكون عرضة للفناء.

والاهتمام بالتراث الشعبي ليس مجرد هواية (التغني) باتجاهات هذا الفلوكلور. وليس افتخاراً به واجتراراً له... إنه من مكونات الحياة الأساسية لنا في هذا العصر الذي يحاول أن يقطع ما بيننا وبين جذورنا وأصالتنا (بسكين) الحضارة الحديثة المزيفة التي تعتمد كل الاعتماد على المكونات المادية البحته لتلك الحضارة.

وإن الفلوكلور أو التراث الشعبي هو جزءٌ من حياة الأمة، ومن المعطيات المهة ولا سبيل إلى فصلها عن مسيرة التاريخ العامة ولا يجوز الفصل بين التراث والتاريخ. فكما إن التاريخ يُكتب بالدم وبالتضحيات بالبناء والإعمار وبالتجديد بالإصلاح فإن التراث أيضاً يُكتب بمثل ما يُكتب به التاريخ.. فهما متلازمان وعلينا العناية بهما والحفاظ على امكاناتهما وقدراتهما كيما يترعرعا ويشبا عن الطوق حتى يُصار إلى توظيفهما في بناء الأمة ويصبح إعادة بنائهما أمراً ممكناً ومفيداً.

وإن التراث الشعبي الذي بُدء الاهتمام به في مراحل (متأخرة) أو في مراحل الغفلة من التاريخ. إن الاهتمام به يجب أن يكون متواصلاً مستمراً منذ بداية البدايات خطوة خطوة وحتى نهاية الدرب.

وكما قلت ليس التراث الشعبي مجرد الرقص والغناء والزي والمأكل والمشرب وغير ذلك من الألوان والاتجاهات التراثية، إنه أسمى من ذلك وأعظم، لأنه كما قلت ملامح من هوية لهذا الوطن.. ويجب أن تكون الهوية مشرّفة وبرّاقة وباعثة على الفخر والاعتزاز.

وحتى نتمكن سوياً من الوقوف على هوية الوطن (الثانية) أو من مرتكزات هذه الهوية ومتطلباتها، سنتوقف قليلاً لنستعرض ألوان التراث الشعبي (العكرماوي إذا جاز لنا التعبير).. والخطوة الأولى هو أن نبدأ بتقسيم أو بفرز تلك الألوان.

أما الألوان التي (تم فرزها) فهي:

١- الأزياء الشعبية.

٢- المشرب والمأكل.

٣- الأدوات التقليدية والحرف اليدوية.

٤ـ الأمثال والحكم.
٥ـ الحكايات والأساطير.
٦ـ الأولياء والصالحون.
٧ـ الطب الشعبي.
٨ـ القاموس الشعبي.
٩ـ الألعاب الشعبية.
١٠ـ الأغاني الشعبية.
١١ـ الظواهر العامة.

١ـ الأزياء الشعبية

(أ) الزي التقليدي عند النساء:ـ

الثوب الفلاحي القروي الريفي هو ما يميز المرأة في منطقة قرى القدس والقرى في معظم أنحاء فلسطين.

الثوب الأسود المصنوع من القماش الحريري أو من الخَبَر (بفتح الحاء والباء) اللامع، وأحياناً يكون الون أزرق أو أحمر أو أخضر وغير ذلك من الألوان الزاهية الجميلة.

وهناك نوعان من الثياب من حيث (التفصيل والخياطة) فمنها ما هو مطرز ويسمى (بالنول) وفيه فنون تشكيلية رائعة لأنه مطرز باليد وبمهارة، وتُرسم على الثوب بأطرافه وعلى صدره (الدوشن) بأشكال جميلة للورود والزهور والأغصان مما يخلب اللب ويبهر الأبصار.

وألوان الخيطان المستعملة جميلة (D.M.C)، والتنسيق بين ألوان الخيطان المطرزة ونوعيات الورود والأغصان وبين لون الثوب الذي ترتديه المرأة يحتاج إلى مهارة خاصة وذوق رائع.

وأما ثوب (المَلَك) «بفتح الميم واللام» الرائعة التي تطرز عليها باللون الذهبي أي بالقصب ويعبأ أطرافه وصدره وأكمامه برسومات متداخلة وجميلة.. هذا النوع من الثياب هو لبس العرائس في ليلة الدخلة أو في الأيام الأولى من العرس، حيث أن ثوب المَلَك يحمل مع العروس من بيت أبيها إلى بيت الزوجية ويُعد من ميراث الأم إلى البنت وبنت البنت!، لأنه عنوان اعتزاز لأهل العروس وأهل العريس.. والعريس بالعروسة الجميلة، وهو مصنوع من القماش والبفت القوي، وأحياناً يكون من نوعية خاصة، ونوعية خيوطه الذهبية المتداخلة في نسيجه باتقان.

وثوب المَلَك وهو من لباس زوجات المخاتير وبناتهم، ولباس (كرام) العائلات، ويلبسنه أخريات.

وهناك أثواب تخاط بطريقة غير طريقة التطريز حيث يستعان «بالماركة» البيضاء لتنسيق عملية الخياطة.. وهو الأكثر شهرة، لأنها الأقل تكلفة، والأسهل في الصنع ولأنه تراثي شعبي وجميل أيضاً.

وقد يستعان في عملية التطريز بقلم «الكوبيا» أو الرصاص لمطابقة الرسم بدلاً من الماركة [والماركة قماش خفيف تظهر فيها المربعات واضحة]، والرسم يحتاج إلى فنان أو فنانة ليتقن الصنع والتطريز واتقانه ليس صعباً، أما غطاء الرأس عند النساء، فهي (الخرقة) الفضفاضة الواسعة المصنوعة من الحرير أو البفت الحقيقي الناصع البياض أو من الشاش (الثقيل)، وتلبس المرأة تحت الخرقة على رأسها طاقية الذهب المرصعة بالليرات العثمانية، وهي تُلبس للزهو والاختيال والاستعلاء وللظهور بأنها ابنة فلان أو زوجة فلان، ولأنها يجب أن تلبس هذه الطاقية الغالية لأنه من أخص خصوصياتها.

وتعتبر أيضاً (كمصاغ للمرأة) يحفظ عليها حياتها إذا ما تمردت عليها الأيام وتغير وتبدل حالها.

وأما المصاغ العام للمرأة فكان دبوس الذهب على الصدر (المشبك تحت الرقبة) فوق «الدوش» عند فتحته العليا كذلك الأساور والسليتات والحية والخواتم الثقيلة بفصوص ملونة وهناك مصاغات فضية كالأساور والخواتم وهي ثمينة أيضاً، وكذلك الأقراط الذهبية التي (تخزق لها الأذان ـ بالأبرة الساخنة ـ في الصغر).

أما ما يلف الوسط عند النساء فكان الحزام القماشي (أي الجداد) الذي يتناسب وجمال المرأة وسنها وجمال ثوبها.

وأما الحذاء المستعمل عند المرأة فكانت الكندرة بادىء الأمر ذات الطراز النسوي بالكعب العالي ـ نوعاً ما ـ ولكن فيما بعد ظهرت (الصنادل) الانجليزية للنساء الصغيرات والعرائس بصفة خاصة.

وأما الفساتين المعروفة الآن بغض النظر عن الزي والنمط في التفصيل فكانت القليل من البنات يلبسن الفساتين، حتى إن الصغيرات قبل سن الدراسة يلبسن أثواباً كاملة وكانت هذه الأثواب تهدى لهن تعبيراً عن محبة الأهل لهن.. وتيمناً بحسن الطالع.

وكانت العروس العزيزة والمحظوظة تلك التي يُقدم لها مهراً غالٍ ومصاغاً ثميناً وأثواباً جميلة من الأثواب المطرزة والمخاطة وأثواب المَلَك، التي تعبأ في صندوق خشبي خاص مرصع بالأنجم النحاسية والفضية، وبالنسبة للفضيات من أساور وخواتم كانت من إحدى سيافها وهداياها..

وأجمل لحظاتها عندما وتُرفع» على ظهر الحصان أو الجمل بعد أن تُلف بعباءة أخيها أو أبيها أو جدها لتذهب ومسرعة وهي تمسح دموعها من الحزن لفراق أهلها، إلى بيت العريس تحمل معها الأثواب والذهب وربما الفراش ـ الأغطية (اللحافات) ـ وتحمل معها أجرار الزيت والزيتون ليكون نواة لتعمير وتأسيس البيت وزيادة البركة فيه بالمال والعيال وحُسن الحال.

والثوب الجميل للمرأة لم يعد زياً تراثياً يخبأ في الذاكرة أو في الصناديق!

فقد نالت فكرة التعامل معه وارتدائه أكثر قبولاً لدى الشابات من بنات البلد.

فإننا نلمس ذلك اليوم كما نراه في مناسبات الأفراح والأعراس، وفي غير هذه المناسبات أحياناً.

لقد اتخذ الأمر طابع التجديد (وليس التقليد)، وأصبح يُنظر إليه على أنه من الأزياء المعاصرة، وكأنه أصبح يُنظر إليه ـ أيضاً ـ على أنه حلم من الأحلام التي تتحقق بسهولة.

(ب) الأزياء عند الأطفال:ـ

كان الأطفال يلبسون ـ كالرجال ـ مع فوارق بسيطة ـ في اللون والنوعية ـ تراعي عمر الطفل وتفكيره أيضاً.

فالكمباز دائماً والكوفية والعقال في بعض الحالات... حتى استحدث (البنطال) والقميص بعد دخول الانجليز على الرغم من أنه كان معروفاً من قبل.

وبسبب تغير الظروف السياسية المستجدة وتداخل الأمم بعضها ببعض، وللتعليم (الحديث) الذي بدأ يأخذ طريقه إلى القرية، فكم كان جميلاً أن زي الصغير وهو يلبس لباس الكبير الذي كان ينظر إليه على أنه (لباس وطني)، ولكن البنطال والقميص والحذاء المطاطي ـ الكوتشك ـ نجحت في السباق أخيراً.

ج ـ الزي عند الرجال:ـ

أ ـ اللباس العام للجسم، الكمباز / الروزا/ المخطط بأقلام زرقاء أو خضراء أو صفراء وغيرها من الألوان الفاقعة والهادئة ومنها ما تصنع من الجوخ أو الصوف أو الترغال أو الهيلد، ولكن الصوف والجوخ هما الصنفان المتميزان وبخاصة عند المخاتير والميسورين.

ب ـ الأحذية، كانت بادىء الأمر أحذية مطاطية بدائية أشبه (بالخف) ولكنها تطورت لتصبح حذاء أفضل (البلغة) وهي بدون (رباط) وتطورت أكثر بعد في ظل (حكم الانتداب) فظهر الحذاء الانجليزي المصنوع من الجلد ذي النوعية الجيدة المتينة.

جـ ـ العباءة، وهي تكملة للزي الشعبي العام وهي مظهر من مظاهر العز والكبرياء والجمال والذوق الرفيع في القيافة، وهي ذات ألوان متعددة بنية وسوداء ورمادية ومنها ما يصنع من الجوخ الخالص ومنها ما يصنع من القماش أشبه بالبفت السميك بعض الشيء وتكون مفصّبة وموشاة بمطرزات جميلة، وكانت تستورد من الشام أو الحجاز أو قد تكون ضمن هدايا الحجاج الذين يحملونها من بيت الله الحرام.

هذا بالنسبة للرجل المتوسط في العمر، وقد يختلف بعض الشيء عند الكبار، وكان الرجال الذين عاصروا العهد التركي يلبسون العمامة وبعضهم يلبس الطربوش وآخرون يضعون فوق رؤسهم (الكفية) الغبانية بالطربوش الملفوفة بإحكام ذات الألوان البرتقالية والحمراء والمزركشة ويلفون وسطهم (بالشملة) العريض التي كانت من نوعية القماش الذي تُصنع منه هذه الكفية.

أما للشباب (من الأعمار الربيعية) فكانت الحطة البيضاء والمكباز الأبيض والعقال المائل وسن الذهب الذي يزين الفم ويكثر من بريقه.

وما كان يكمل شخصية الرجل (الظاهر) المتميز في القرية بشخصيته كأن يكون مختاراً أو شيخاً كبيراً أو حتى إنساناً عادياً.. أن يحمل العصا.. يضرب بها الأرض بشدة واستعلاء وقد

تكون العصا في هذه الحالة استكمالاً للزينة، ولكنها في حالات أخرى تستعمل كعكازة يتكىء عليها لإصابة ما، وقد تكون لمآرب أخرى كتقويم بعض الأمور المعوجة، وللعصي الجميلة في كل زمان ومكان أهمية وأية أهمية منذ أيام سيدنا موسى عليه السلام!

٢ـ المشارب والمآكل:ـ

اهم المآكل والمشارب في القرية تلك التي كانت تنتج في القرية، وما كانت طبيعتها تهب للناس، فخير الأكل ما كان من الزيتون والفاكهة والزرع، وخير المشرب ما كان من ينابيع ووديان وعيون القرية سيما من «عين» كارم.

كانت المآكل التي تنتج من ثمار الطبيعة المعطاءة والتي كان للذوق أن يقبلها، والأيادي التي تصنعها، فكانت هناك أكلات شعبية معروفة وهي كثيرة ولا يسعني إلا أن أمر عليها مر الكرام، تأملاً وتذكيراً.

أ. الجريشة، وهي من مشتقات القمح، من البرغل المسلوق المطبوخ باللحم والسمن مع بعض التوابل وتقدم كأكلة عامة في مناسبات العقود (عقود المنازل) وبمناسبة (العزائم الكبيرة) في المآتم والاتراح..

ب. المنسف ليس كما هو معروف الآن لم يكن باللبن الجميد وهو كثيراً ما كان يقدم في الحفلات الخاصة والعامة سيما في مناسبات (الأعراس) والعزائم التي تقام على شرف ضيف كبير وعزيز وهناك أكلات كالمفتول والمجدرة التي تقدم لقاطفي الزيتون (والرشتايا) وهي نوع من المعكرونة العريضة، وكانت أكلة المقلوبة بالزهرة أو بالطابطا.

المفتول أو المرمعون أو المغربية أو الكسكسون (بالمغربي) كلها تعني لما يعرف اليوم بالمفتول. المصنوع من طحين القمح الصافي المبلل بالماء بطريقة يدوية أو (صناعية) في المصانع المخصصة لذلك حتى يصار إلى كرات صغيرة من العجين الناشف.

وهناك مأكولات الرز والعدس أو المجدرة كما ورد، ومشتقات العدس كثيرة وهي أكلات دسمة وهي كما يقال (لحم الفقراء).

والمقصود بهذا الحديث هو إعطاء فكرة عامة عن أهم المأكولات في ذلك الوقت، أعني المأكولات الشعبية. ولا أجد ضرورة للتفصيل للمأكولات التي انقرضت وعفا عليها الزمن.

ومن الحلويات المحلية الهيطلية (الحليب مع النشا)، الرز والحليب، والمفروكة الخبز الساخن الرقيق (المشروح) أو خبز الطابون مع السكر وزيت الزيتون الصافي.

وكراديش الذرة، خبز الذرة مع الزيت والسكر المخبوز في الطابون، والزلابية التي تقدم عادة ـ في مناسبة زيارة القبور ـ عجين يقلي في الزيت فيصبح (شابيكاً) من الذهب كما يقول ابن الرومي.

وأما عن اللحوم فكان اللحم رخيصاً فالخروف لم يكن ليزيد ثمنه عن (جنيه فلسطيني) ولحم العجل والجمل كان رخيصاً، وإكرام الضيف كان لا يتم إلّا بالذبائح . . ذبح خروف أو عجل أو جمل.

وبالنسبة للمشروبات، فلم يكن الشراب بأصنافه وأشكاله معروفاً الّا أن القهوة العربية (السادة) أو الشاي أو الحليب وهو من أهم ما يقدم لأنه متوافر ومطلوب أيضاً (فهو لذة للشاربين).

وبالنسبة للفواكه فليس هناك مجال أكثر للتفصيل فكل أنواع الفواكه متوافرة محلياً وأما البرتقال والكريب فروت والليمون والبطيخ والموز وغيره تبتاع من القدس أو يافا أو حيفا أو غزة وغيرها.

٣ـ الأدوات التقليدية . . . والحرف اليدوية : ـ

كانت بيوت الموسرين والمخاتير مليئة بالتحف والمناظر واللوحات القماشية المنسوجة محلياً، وكانت بيوتهم كثيراً ما تكون ذات أثاث فاخر ومتين، كالخزائن ذات الأشكال القديمة الرائعة، فهي محفورة جوانبها بشكل يمتع النظر، وفيها كنبات ومقاعد خشبية مصنوعة من الزان محفورة ضمن أُطر مختلفة وجميلة قلما نرى منها اليوم.

وأما اللوحات المعلقة فكانت مناظر لطيور أو حيوانات وأجمل ما كان يرى منظر الطاووس الذي يمثل الخيلاء والكبرياء، أما القراش العربي، والبسط العربية المنسوجة فكان يؤتى بها من مناطق أخرى من فلسطين كذلك البسط والسجاجيد الفارسية، والمخدات (الارائك) والوسائد المعبأة بالصوف الخالص وفي بعض الأحيان يعتمد في الحصول على الصوف محلياً.

وكانت الجلسة (العربية) في كل بيت، وأما في الساحات والعضافات فكانت مفروشة ومؤثثة تأثيثاً مفتخراً، والضيف العزيز من توضع تحته فرشتان وهو يتكيء على مجموعة من المخدات الفارهة والفراش الخاص حيث كان هناك كثير من العائلات يحتفظون بهذا الفراش كتحف لا يستعمل إلّا في الحالات النادرة وهو لاستقبال الضيوف الأعزاء، حتى صاحب البيت قد لا ينام على هذا الفراش أبداً وهو ينتظر ضيفاً عزيزاً غالياً.

ومن التحف التي كانت تكمل بهجة الضيف والمضيف تعبيراً عن المحبة والكرم وطيب النفس! النرجيلة، ولا يغيب عن أحد وصف النرجيلة ولكنها مختلفة الألوان والأشكال ويتفنن عشاق النرجيلة في التعامل معها، في طريقة النفخ والجلسة ووضع حبات صغيرة من البندورة أو (عرْق) من النعنع أو البقدونس كشجرة تتحرك في الداخل مثل السمكة . . العين هي التي تتعامل مع النرجيلة، وكذلك من أجمل مواقع النرجيلة أن تكون في مقهى عام وعلى الشارع الرئيسي سيما عندما يكون صاحب النرجيلة يلبس عقالاً مائلاً وعباءة مقصبة وذا كرش منتفخ أو متوسط!

وبخاصة إذا كان التمباك المستعمل تمباكاً عجمياً أصيلاً . . المرسوم عليه النرجيلة.

أما أدوات المطبخ كالأوعية والصحون و(السدور) أو ما يعرف بالقدرة المصنوعة من الفخار، كذلك كان هناك أدوات فخارية كثيرة تستعمل (للفتة) أو «الثريدة» من صحون مجورة لمرس اللبن، كما كان هناك أدوات خشبية للمطبخ «كالباطية» وهي وعاء كبير واسع وعميق يستعمل للعجين، ولعجين الزلابية وغيرها.

ومن أدوات الخدمة (المطبخ) الغالية والثمينة، السدور النحاسية والملاعق والشوك

والمغارف النحاسية والخشبية، أما الميسورن فكانوا يمتلكون الصحون والشوك والملاعق الفضية والسدور النحاسية الكثيرة (الدسوت) وهي طناجر واسعة، وكانت بيوت المخاتير لا تخلو من ذلك.

ومن أدوات الخدمة (السفرة) الأباريق النحاسية والفضية المتنوعة لاستعمال الماء والقهوة العربية، وكانون النار النحاسي الفخم الذي يتربع وسط الساحة سيما في ليالي الشتاء، وفي ليالي السمر والاستقبالات الخاصة والعامة.

كذلك فإن أدوات الأفراح الجميلة مثل صندوق العروس المرصع بالنجم والخطوط النحاسية والتشكيلات الجميلة، لهذه الصناديق المحبة الاقتناء عند العرائس والتي يرافقها من بيت أبيها إلى بيت عريسها.

ومن أدوات الغناء والطرب المعروفة العود وهو معروف لدى القليلين أما الربابة فكانت معروفة أكثر، كانت تسليهم وتؤنس لياليهم الجميلة وهم يستذكرون على اوتارها قصة الزير أبي ليلى المهلهل ويستعيدون أبطال تغريبة بني هلال وأحداثها الجميلة والعظيمة والتي تثير فيهم الحمية والنخوة والكرامة العربية القديمة.

وفي الأعوام الأخيرة دخلت الطبلة والدف والناي والشبّابة والصافرة (الانجليزية النحاسية) تذكرهم (بالمشية العسكرية) بعد ظهور الكشافة والنجادة والفتوة.

تحدثنا عن الأدوات التقليدية ولم نتحدث ـ بعد ـ عن الحرف اليدوية. فالحرف اليدوية كانت في معظمها نسائية وهي الخياطة والتطريز، بأشكال وألوان جميلة والتطريز بالنول، وخياطة بتايك الأطراف والدواشن (الصدور) والقبات أجمل في الأثواب الحريرية وأثواب الحبر والكتان لكبريات السن من النساء... وللنساء ذات الحال المتواضع ولكن الأصل هو الخياطة وطريقة التطريز.

ثم نسج قش أطباق العجين، وصحون «قبع» الطحين الذي كان يحفظ فيما يسمى (بالخابية)، مخزن صغير للطحين هذا مع العلم بأن القرية لا تشتهر بزراعة القمح.. حيث يستحضر القش من العرقوب من بيت نتيف ودير بان وغيرهما.

وكذلك هناك صناعة خشب الزيتون «والسبح» والصدف وعلى نطاق ضيق وكان يتعامل بها نصارى القرية ويبيعونها للسياح في القدس.

وقد كان هناك مصنع صغير أو مشغل يملكه أحد النصارى، يصنع فيه الجمال والخرفان

وما ماثل ذلك من الأشكال التراثية ويقوم ببيعها في القدس للسياح الأجانب أو لمحلات بيع التحف الشرقية والتقليدية.

ولكن هذه الصناعات التقليدية كانت محدودة جداً، وهي أقرب إلى الهواية منها إلى الاحتراف في بعض الأحيان.

وعند البعض كانت تمثّل مصدراً من مصادر العيش وكسب الرزق الحلال.

٤ـ الأمثال والحكم الشعبية :ـ

عرفت الأمم القديمة ـ والحديثة ـ المثل الشعبي، الخاص بها، والذي يحمل من المعاني والدلالات الكثيرة التي قد يجمع عليها خاصة الناس وعامتهم، والذي يحمل أيضاً جانباً من جوانب تفكير الأمة في بعض الطروحات سيما على الساحة الشعبية، القاعدة العريضة للأمة.

وتباينت تعريفات الفلاسفة وعلماء الاجتماع، وعلماء الكلام، ولكنهم اتفقوا في النهاية على إن المثل الشعبي، تلك الكلمات القليلة التي تحمل الكثير من المعاني لتصل أعماق الفهم الإنساني بأسرع وقت وأقصر طريق.

والمثل في الأصل هو من الشبه، وهو قول يشبه حال الثاني بالأول فيصبح مع التداول قولاً مسلماً به ومستنداً من المسائد.

وكلما كان المثل قليل الكلمات وكثير المعاني وغنياً بالمضمون ومتصفاً بالايجاز، كلما كان قريباً من البلاغة. بل إن البلاغة هي في الأصل سلامة اللفظ وسلامة المعنى بدقة وايجاز.

ولكن الأمر الذي يستوقفنا هنا هو مدى ما يكون عليه المثل من نزاهة اللفظ، ونزاهة المعنى من حيث مستواهما اللغوي، تختلف مستويات تلك الأمثلة من مثل إلى آخر فمنها ما يصل إلى درجة البلاغة، ومنها ما يصل إلى درجة «الكلام» بل الكلام المبتذل.

وقد اطّلعت على أمثال شعبية كثيرة، ووقفت عند بعضها طويلاً وطويلا، ولكني ارتأيت إلاّ أورد واحداً منها لأنها ـ تلك الأمثال ـ ذات ألفاظ (سوقية) ومعاني ليس فيها من معاني السمو معنى وليس فيها من المذاق السليم شيء!

وقد اكتفيت بمجموعة من الأمثال التي تمثل هذا اللون الشعبي في حياة شعبنا وأمتنا تمثل (الصفات الحميدة) والنصائح الأمينة والدعابات (الخفيفة والثقيلة) وأمثال المناسبات والمواسم..

وأحببت أن يكون الحديث (موجزاً) عنها، وألا أدخل بتفصيلات لا حاجة لنا إليها، من هذه الأمثال:

١ـ الغالي غالي والرخيص لا عاش
٢ـ كثر الزكر بورث الفقر
٣ـ المغرب غريب والعشا قريب
٤ـ زي اللي بتحالى بشعر بنت اخته
٥ـ اللي يلاعب القط يصبر على خراميشه
٦ـ القرد في عين أمه غزال
٧ـ طب الجرة على ثمها تطلع البنت لامها
٨ـ العرق دساس
٩ـ طوله طولة النخلة وعقلة عقل السخلة
١٠ـ دودا من عودا
١١ـ كزبه ولا توصيه
١٢ـ موت يا حمار لبجيك العليق
١٣ـ اللي جدا كل بيبح
١٤ـ اللي ما بغار أبوه حمار
١٥ـ جارك معلمك يا رب سملك
١٦ـ تشوم حجار ولا هالجار
١٧ـ اسأل مجرب ولا تسأل طبيب
١٨ـ ردىء الأصل بقسي في اخاه
١٩ـ عند العقرب لا تقرب عند الحية افرش ونام
٢٠ـ فرخ البط عوّام
٢١ـ الكبير طبيب نفسه
٢٢ـ اللي في بطنه شيء مصارينه بتقرقع
٢٣ـ جاجة نفرت على راسها عفرت
٢٤ـ اللي ما عندا حظ لا يتعب ولا يشقى
٢٥ـ يا رايح كثّر الملايح
٢٦ـ بوس الكلب من ثمة تتوخذ حفك منه
٢٧ـ بوس الايادي ضحك ع اللحا
٢٨ـ من بره رخام ومن جو سخام
٢٩ـ من طين بلادك سخم اخدادك
٣٠ـ يدك تضحك عالاسمر لبسه تنطور أحمر
٣١ـ عتشا (عكا) ما تخاف من هدير البحر
٣٢ـ سوس الخشب منه وفيه
٣٣ـ في آب اقطع القطف ولا تهاب
٣٤ـ قصر ذيل فيك يا أزعر
٣٥ـ كثر الشد برخي
٣٦ـ قرب الردى بردي مثل مسمار الجرب بعدي
٣٧ـ شباط الخباط بشبط وبخبط وريحة الصيف فيه

وهناك كثير من الأمثلة التي كانت تتردد على الألسنة في عين كارم، ولم استطع حصرها وتعدادها، وإنما ما أوردت من أمثلة لم تكن قصراً على عين كارم، فإن بعضاً منها كانت تتردد في أماكن كثيرة من ريف فلسطين. فهي أمثال شعبية التي لا تعرف حدوداً ولا سدوداً ولا إقليمية ولا شعوراً بعصبية أو (عنصرية).

والمثل الشعبي ليس لشعب أو واحد وليس قصراً على أمة دون أمة، وهو ليس جديداً، بل

هو قديم قدم التاريخ نفسه.

وضرب الأمثال لم يكن قصراً على فئة دون فئة، فهو لخاصة الناس وعامتهم وللسراة منهم وللفقراء للمثقفين وغير المثقفين والفرق هنا في مستوى وطبيعة وأسلوب تلك الأمثال فكان الإنسان يتحرك في كل اتجاه ويحمل كل الكلام.

كانت توقيعات الخلفاء والأمراء تذهب مثلاً، ومن هذه الأمثلة!

داو جرحك لا يتسع، دع الضرع يدر لغيرك كما يدر لك.

والمثل الشعبي من حيث علاقته بالتراث الشعبي (الانثروبولوجي)، فهو يعبر عن فلسفة خاصة بالمجتمع (الأخلاقية) في أبسط اطرها، وأما من حيث نشأته ونسبته، فهي أمور تكاد تكون مجهولة، لدى علماء التراث الشعبي فإن قائلي هذه الأمثال غير معروفين، ولربما إن الذاكرة لم تحفظ لهم هذا (الجميل)، لأنه الأهمية لهذا اللون من الأمثلة والحكم الشعبية لم تكن بذات بال.

غير إن الأمثال (الفصيحة لغة) والحكم التي كان يطلقها الفلاسفة والحكماء كان لها من يهتم بها، ولعل أصحابها هم أول من اهتموا بها، فهم أحق بذلك وأولى..

وأجمل ما في المثل الشعبي إنه يذكرنا بتراثنا، بأرضنا، بشعبنا، بتاريخنا القريب والبعيد، يذكرنا بالوطن الذي لم تنضب مياهه من الدماء، دماء الأبطال والمجاهدين ودماء المظلومين.

لأنها جُبلت بهذا التراب المقدس وما زالت بعد ـ تلك الجبلة ـ رطبة وندية.

٥ـ الحكايات والأساطير:ـ

عُرفت الحكايات والأساطير منذ قديم الزمان، وعند كل الأمم، فكل أمة من الأمم لها نمط خاص بها، ولها ذكرياتها الخاصة ولها صلة وثيقة بها.

لأن هذه الحكايات تتناول في كثير من الأحيان بطولات خارقة فردية وغير فردية، ومواقف مشرّفة وغير مشرّفة، ولكنها تملك القدرة على التعبير عن هذه المواقف وتلك البطولات وذلك بنسج حكايات وأساطير وروايات كي تكون باعثة على تذكيرهم بما كانت عليه هذه الأمة في يوم من الأيام من المجد والعزة والسؤدد.

ويطيب التعامل مع هذه الحكايات في حالة فقدان تلك الأوضاع التي كانت باعثة على المفخرة والاستعلاء.

وقد تكون أيضاً ـ مصدر تسلية ـ ليستعينوا بها على قتل أوقاتهم بهذه السموم . . . وقتل نفوسهم بالتغني بماضٍ لا يعود . . وبطولاتٍ لا عودة لها إلى أرض الواقع .

كانت تقام في الجاهلية سهرات (أسمار) يتحدثون فيها عن أيام العرب، التي كانت أيام بطولات عظيمة وثورات قبلية، وتحديات لا تقوم على أساس من الحكمة والعقل والوازع الديني والخلقي .

كان في العصور الإسلامية المتقدمة مجال لمثل الحكايات والأساطير والخرافات الزائفة حيث إن الفتح الإسلامي وانتشار دين الله في الأرض كان الهاجس الأول وحفظ القرآن وفهم ودراسة كتب السيرة، ورواية الحديث الشريف، والاهتمام بحياة الصحابة والقادة كان يشغلهم عن تلك (الخزعبلات) فلديهم الحقائق والبطولات الإيمانية الخارقة، فإنها تغنيهم عن كل زائف من الكلام ورخيصه . . . سيما وأن الإسلام جاء بكتاب عربي مبين يهدي الناس للتي هي أقوم .

وتلت بعد ذلك عصور «مظلمة» في تاريخ الإسلام، تلك التي بدأت بالغزو التتري وسقوط بغداد وتعرض البلاد الإسلامية للخطر الصليبي الذي حمل شعاراً «مقدساً» ليجعله ستاراً «لغزو غير مقدس» ليمرر عدوانه الحاقد وهجمته الشرسة عليها .

كانت هذه الفترة بالنسبة للشعوب الإسلامية في ذلك الوقت ـ فترة اجترار للماضي ـ واستعادة للبطولات الخارقة لأوائل القادة والفاتحين .

وكانت الوسيلة الوحيدة في قتل الوقت هي التغني بالأمجاد، واختراع القصص والحكايات ليتسلى بها الناس، وكان للحكام الضعفاء خاصة اولئك الذين حكموا مصر والشام بعيد ضعف الدولة الأيوبية وظهور المماليك، والصراعات التي دارت بينهما على السلطة في مصر والشام .

فقد كان الحكام يرغبون في الهاء الناس بقصص وأحاديث خرافية تشغلهم عمّا يجري على ساحة الحكم .

هذا الوضع إبّان الفترات الأخيرة للحكم التركي على البلاد الإسلامية والعربية بعد أن بدأ الضعف يدبّ في أوصال الدولة العثمانية، ولكن ـ يجب ـ ألّا تنسينا تلك المواقف السلبية المعتمة ـ من فترات حكم الأيوبيين والمماليك والأتراك ـ بطولات فردية لأبطال وقادة ومصلحين وعلماء كانوا يضيئون لنا المشاعل من وقت لآخر، ومن مكان إلى مكان .

وعاشت تلك الأساطير والخرافات والحكايات والحزازير في الظلام، ظلام عصور الانحطاط، وبدأت بالانحسار قليلاً ببزوغ النهضة ـ في أوائل هذا القرن ـ في مصر أيام سعد زغلول ومصطفى كامل وأحمد عرابي، وفي سورية (الطبيعية) والحجاز في أعقاب ثورة الحسين بن علي شريف مكة عام ١٩١٦.

وإنها ـ هذه الحكايات والخرافات والأساطير والحزازير ـ لم تكن وليدة الساعة أو وليدة حدث معين، وزمن معين، ولم تكن وليدة مكان معين ـ كفلسطين مثلاً ـ، ولم يكن دخولها محظوراً على بيوت معينة ومسموحاً على بيوت معينة، دخلت كل البيوت الكبيرة والصغيرة، الفقيرة والغنية. كانت وليدة أزمان متعاقبة وأحداث متتالية وفي أمكنة متعددة..

البيت العربي دخلته هذه (الخزعبلات) كما دخلت بيوت الفلسطينيين في كل مكان من الناقورة حتى النقب ومن البحر إلى النهر.

وقد دخل بيتنا شيء من هذا...

ولقد سمعت من جدتي وأمي (حكايات) مسلية ولكني أشعر الآن بشيء من (الغرابة) وربما السخرية وأنا أستعيدها إلى ذهني.

فبالإضافة إلى حكايات عنترة بن شداد وبطولاته في الحرب والنزال وصراعه مع قبيلته ومع عمه من أجل ابنة عمه عبلة، كانت تستأثر بنا ونحن نسمعها من جدتي بأنها حقاً جديرة بالاهتمام حتى من العجائز ولما كبرتُ وتابعت دراستي وقرأت أخبار وأشعار عنترة أيقنت أنني كنت أسمع شيئاً ما يشبه الحقائق ولكن بصورة متباينة أخرى..

وإذا كان هناك ثمة مجال لاستذكار بعض أبيات الفخر من الشعر التي قالها عنترة في معرض فخره واعتزازه بقبيلته وبنفسه...

إذا كشف الزمان لك القناعا ... ومد إليك الدهر باعا
حصاني كان دلّال المنايا ... فخاض غمارها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيباً ... يداوي رأس من يشكو الصداعا

كذلك كنا نستمع من جدتي إلى حكايات السلطان حسن وأبو زيد الهلالي وذياب بن غانم وكانت جدتي تشدد على أن تُسمعنا شيئاً من بطولة المرأة العربية دون أن تدري (عن حضرة الشريفة) واخت السلطان حسن الجازية أم محمد وشمّا وزهر البان.

ولما قرأت تغريبة بني هلال فيما بعد، شعرت بأن جدتي كأنها كانت قد قرأت تغريبة بني هلال ولكن بلغتها وبفهمها.

كذلك كنا نصغي وباهتمام إلى قصة جليلة زوج كليب بن ربيعة، وكليب وأخيه الزير أبي ليلى المهلهل، وجساس بن مرة، وسعاد المرأة العجوز التي كانت وراء كل الشرور والحروب التي وقعت بين جساس من جهة وبين كليب والزير من جهة أخرى.

ولعلني استغرب الآن لِمَ لمْ تكن جدتي تقص علينا حكايات عن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وتقرأ على أسماعنا بعضاً من أحاديثه الشريفة.

ولم يكن ليحدثنا أحدٌ عن بطولات خالد بن الوليد، وطارق بن زياد، وشرحبيل بن حسنة، وصلاح الدين وقطز وبيبرس وغيرهم من قادة المسلمين.

ولا أجد تفسيراً إلّا في غياب الوعي الإسلامي وفي انعدام المعرفة اليقينية بالدين، فليس هناك سلطة رسمية ولا سلطة دينية لتنظم علاقة الناس بالماضي وباستذكارهم لتلك المواقف ولهؤلاء الأبطال. حتى أن أحداً لم يكن يقرأ القرآن إلّا في الكتاتيب وفي المدارس وفي المآتم وعلى القبور.

كل هذا كان في الحساب ولكن في غير صالحنا كأمة.

والأشد غرابة من هذا كله إننا كنا نستمع إلى حزازير ليس لها أول من آخر وليس هناك ثمة فائدة تذكر.

(فحكاية أبو محمد اللي مات على قرص القبة) وهي حكاية رجل مات لأن زوجته لم تصنع له (قرص قبة) فقرر أن يموت.. وكُفّن ودُفن، ولكن خرج من القبر بقدرة قادر بكفنه وعاد إلى البيت بعد أن جهزت له زوجته أم محمد القبة التي طلبها وأرسلتها له إلى القبر!

وحكاية جبينة اللي صارت راعية «راعية غنم، راعية بقر، راعية جمال الجاريه» وهي بنت أصل وفصل رمتها الأيام في قرية لا تعرفها فعملت راعية ولم يكتشف أمرها إلّا وهي تبكي وتغني وتردد الجملة التي اعتادت على ترديدها مما دفع بابن الأسرة التي ترعى لهم الغنم أن يغرق في حبها ويتزوجها ولكن بعد أن أعادها إلى أهلها الكرام ذوي الحسب والنسب.

وحكاية أخرى، وهي حكاية ابن السلطان الذي تزوج كلبته.. وقد كانت ترويها لي جدتي وأمي فيما بعد ـ رحمهما الله ـ أما كيف تزوجها، فيروى أن ابن السلطان رأى كلبته تستحم في

العين فوجدها (وتبارك الله) وجدها فتاة جميلة ذات ملامح جمالية مثيرة، وجه أحمر مدور، وعينان سوداوان، وصدر مندفع وأوصاف تدل على إنها بنت ملوك «سبحان مين صوره». . فدهش أول مرة، وظن إنه يعيش حلماً أو وهماً. . فتابعها المرة تلو المرة. . وأيقن إنها ليست كلبة فقرر أن يتزوجها. . فأعلم والديه بذلك فجن جنونهما ولكنه أصر فوافقا مرغمين.

فسمع الناس بالخبر، منهم من ضحك ومنهم من سخر ومنهم من جن جنونه!

وتزوج ابن السلطان. . فمشوا في عرسه وغنوا ورقصوا.

وليلة (الدخلة) أحضر ابن السلطان سوطاً طويلاً وبدأ يضرب الكلبة وهو يقول: «اشلحي جلد الكلبة»، فتقول له: «عو. . عو» فيضربها وهكذا حتى شلحت ولما شلحت كانت تلك العروس التي (تحل عن المشنقة).

فتزوجها ودخل بها. . وبدأ حياة سعيدة كريمة.

سمع بذلك ابن الجارية ـ خادمة تشتغل في القصر كان لها ابن وكلبة ـ فقرر ابن الجارية أن يتزوج الكلبة.

وعلى نفس النمط من الحديث وافقت وأقامت له عرساً حضره جميع الناس وليلة الدخلة أحضر سوطاً طويلاً كما أحضر ابن السلطان، وراح يضرب ويضرب. . . والكلبة (تعوي. . . وتعوي) إلى أن (بلغ السيل الزبى عند الكلبة) ففزرت عليه وطوقت بيديها رقبته وشرحته ونثرت لحمه على ألواح الخشب.

فسمعت أمه الجارية بالخبر. . فراحت تصيح وتبكي قائلة:

«ابن السطان تزوج كلبته فصارت قرقوشة من فضة وذهب، وأما ابن الجارية تزوج كلبته فنشرت لحمه على ألواح الخشب. .

فذهبت مثلاً. . .

هذه الحكاية وغيرها تثير في نفسي الضحك وأنا استمع وأُصغي باهتمام إلى جدتي وأمي وهما تحزراني إياها. .

ولكنها أيام جميلة ـ على أية حال ـ.

﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾.

وإننا نداولها لا لندلل على جهل أبائنا وأجدادنا ـ القريبين ـ وننهال باللوم عليهم وطعنهم وتحميلهم مسؤولية الأحداث التي وقع تحت ثقلها شعبنا المجاهد الصابر.

فإن الأجيال السابقة من أمتنا العربية والإسلامية لتشترك في حمل التبعية واللوم والمسؤولية للأحداث التي نرزح تحت ثقلها الآن وقد نرزح تحت ثقلها أجيال قادمة إذا لم تستجد في الأمور أمور.

٦ـ الصالحون والأولياء:ـ

من مخلفات عصور الانحطاط أيضاً ـ إضافة إلى الخرافات والأساطير والحزاير ـ فإن اسطورة التبرك وامتهان الشعوذة والتسليم لهؤلاء بأمور غيبية، لا قدرة لهم عليها ولا سلطان، ولكن الضياع والوهم وضعف الإيمان جعل بعض الناس يعلّقون أهمية على بعض هؤلاء، يعلّقون عليهم دون تمييز بين الشك واليقين، وبين المعقول واللامعقول، وبين ما يستطيعون معرفة ما لديهم من حدود وما لله من حدود في هذه الحياة.

فالأولياء والصالحون (والرجال الذين عرفوا الله حق المعرفة) منذ بدء نزول رسالات السماء إلى الناس، لم يكن أمرهم غريباً عن الناس ولم يكن التعامل معهم من الأمور المستحيلة.

ولكن الأمر الذي يدعو على الدهشة والاستغراب هو أن يصل التعامل مع هؤلاء إلى مستوى الإشراك بالله ـ دون شعور ـ والوصول إلى مرضاة الله عن غير طريق الحق!

ففي عين كارم، وفي كل أنحاء فلسطين، وفي أنحاء كثيرة من البلاد الإسلامية، سيما في مصر، كان أولياء وصالحون يتبرك بهم، وكانت هناك مقامات تزار، وتقدم لها الأضحيات والقرابين والنذور، وتنطلق من حواليها إلى الله الدعوات، وهذا كله ليس أمراً غريباً أيضاً.

والأمر الغريب هو إن الأحداث الخطرة، والأوضاع السيئة التي آلت إليها الأمة في عصورها المتأخرة، غيرت من مفهوم الناس إلى هؤلاء الأولياء والصالحين وغيرت عندهم مفاهيم (دينية كثيرة) فاختلطت في أذهانهم أفكارٌ كثيرة تتعلق بالإيمان وبالقضاء والقدر، ومزجت بين الغاية والوسيلة في كل امر يتصل بعلاقة الإنسان بخالقه.

كان في مصر أولياء وأضرحة ومقامات، كمقامات السيد البدوي، والسيدة زينب، وسيدنا الحسين. . وفي فلسطين كان مقام سيدنا موسى عليه السلام ومقام روبين وغيرهما والخضر عليه السلام، وفي عين كارم (وهي قرية صغيرة) يوجد فيها مقام الحاج عبيد، وهو صالح من الصالحين ويعود نسبه إلى زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه وسكن وقومه عين كارم منذ أكثر من ٣٨٠ سنة قادمين من الحجاز، وكانوا قد حطّو في عراق المنشية في جنوب فلسطين، قبل توجههم إلى عين كارم، وقد عرضنا لذلك من قبل.

ومقام الحاج عبيد في منطقة الحرجة في القسم الغربي وكان بفناء مقامه من يهتم بمصابيح الزيت، ويتبرع له مرتادوه بالطعام والكسوة ويراعى مقامه (بالمحافظة والنظافة والقدسية).

والحاج عبيد ـ كما يقول الشيخ عبد القادر على الشيخ عميد دار الشيخ ـ هو ابن مصطفى بن جودة بن محمد المنشاوي الذي قدم من المدينة المنورة من الحجاز إلى فلسطين حيث أقام في بلدة عراق المنشية، وتوفي فيها فنسب إليها وسمي بمحمد المنشاوي بينما استقر حفيده الحاج عبيد في بلدة عين كارم وكان ذلك في القرن الحادي عشر الهجري وتوفي عام ١١٠٤هـ ودفن فيها وله مقام معروف يسمى (بحضير الشيخ) في منطقة الحرجة، وقد دُعي بالشيخ لأنه كان يعمل في القرية إماماً ومدرساً.

كذلك فإن هناك مقاماً آخر وهو مقام (سيدي جلجيل)، ومقامه في مكان قريب من الشرفة على الطريق الموصلة ما بين الشرفة والعين، في قمة الجبل مقابل جبل العقود في الشمال ويقال إنه مشتق من اسم (جلال الدين) ويقال أنه كان أحد قادة المسلمين الذين حاربوا الصليبيين في عهد صلاح الدين.

ولكن لم ينفعنا كل هذا، فكان اليهود أن انتهكوا حرمة سيدنا جلجيل، وانتهكوا حرمة الحاج عبيد دون أن يحرك أحد منهما ساكناً!

٧ـ الطب الشعبي:ـ

الطب الشعبي، هو ظاهرة معروفة وظاهرة صحية أيضاً بالنظر إلى طبيعة القرية، فقد كانت جبالها مغطاة بشجيرات كثيرة ومتنوعة.. شجيرات تستعمل للشفاء من الأمراض حتى هذه الساعة.. كالميرمية، والشيح، والجعدة، والقريعة «ورجل الحمامة» والزعتر والكيثا والحصلبان والعطرة والشومر وغيرها.

كانت مزروعة بشكل عفوي.. متناثرة هنا وهناك.. يستفيد منها الجميع في حدود حاجتهم وبالنسبة إلى عددهم.

وأما اليوم فقد استغلت تلك الشجيرات من قبل العدو.. واستفيد منها علمياً في صنع الأدوية واستغلالها وبيعها بأبهظ الأثمان ودخلت الطب الحديث من أوسع أبوابه بأغرب الأسماء.

الطب الشعبي ظاهرة صحية أيضاً، وهي ظاهرة النجبير العربي، فقد كان هناك مجبرون

يقومون بكسر العظام وإعادتها، أو بمعالجة الرضوض، وبإزالة الشعور في العظم بأبسط الطرق وأقل التكاليف «بالبيض والصابون».

وكان أشهر المجبرين في عين كارم حينذاك يوسف يعقوب حيث كان يقوم بأعمال كبيرة في هذا المجال دون مقابل والأجر على الله!

وقد ورّث وظيفته إبنه عبد الله، وابن إبنه صلاح!

وعلى صعيد القابلات (غير القانونيات) فقد كان هناك عدد كبير منهن يقمن بأعمال الولادة وبطرق سليمة كما لو كانت طبية ولأدة متخرجة من جامعات كمبردج!، أشهر هذه الأسماء كما أذكر الحاجة «علياء» والحاجة حسن (بكسر الحاء) وفاطمة شيخة وعليا وردة.

ثم لا ننسى إن هناك من كانوا يعطون الوصفات لوجع البطن ووجع الرأس ووجع المعدة وفي كثير من الأحيان كانت الوصفات تثمر فيشفى المريض ـ بإذن الله ـ، وقد كان هناك مختصون ومختصات في إعطاء هذه الوصفات.. حتى في مجال الطب البيطري «الطب الحيواني» كان هناك عبد حمزة وعلي حمزة. أما الشعوذة أو (التدجيل) والتبريك وفتح البخت فلم يكن له في القرية مقام يذكر.

وكان هناك من يتعاملون (ويتعاطون) المعالجة عن طريق الجراحة الخفيفة... كعمليات الفصد، لعرق النسا، وتشريح الأذنين، وكاسات الهوا وكاسات الدم (والعملية تتلخص في إشعال النار بقطعة قماش أو ورق في «كاسة شاي» وتثبت على ظهر (المريض الذي يعاني من الضغط، من احمرار الوجه والغليان في الدم) وبعد قليل ترفع الكأس، ويشطب المكان المنتفخ المحمر، يشطب الشفرة فينزل الدم غزيراً وإذا ما نزل الدم غزيراً فتكون العملية ناجحة ويشفى المجروح بإذن الله.

ثم هناك طريقة الكي، وكثيراً ما تكون لعرق النسا أو (أبو دغيم) يسخن قاعدة المسمار حتى تحمر.. ثم توضع فوق (العرق) في الرأس أو في الرجلين أو في أي مكان آخر.. كذلك كان هناك علاج (المغص) بالقرب المليئة بالماء الساخن توضع على البطن، وقديماً قالوا آخر الدواء الكي...

كذلك فقد كان من قبيل معالجة الجروح في الأطراف أو الخفيفة منها تضمد بالتراب أو ما يعرف (بالسمقة)، أو بالقهوة.. أو بالزيت إذا كانت الحالة تعرف (بالعَرَفَة) ولا زال قليل من الناس من يحافظون على هذا النوع من المعالجة والتضميد ولكن في حالات نادرة.

وكان ما يشبه معالجة (الخوفة) لطاسة الرجفه هو أن يسقى الخائف من هذه الطاسة . . وكان هناك نوع من مرض الجلد يعالج بأن يدهن الجلد بالزيت أو باليود وبالماء المالح وكان هناك نوع غريب من العلاجات هو بأن يدهن (بيراز الدجاج).

ولا أريد أن أسهب في هذا الباب حتى لا (تشطح) بعض الكلمات فنقع في الخطأ قصداً أو عن غير قصد . . دون أن ندري.

ولعلني أذكر أخيراً بأن هناك معالجة العيون (قطرة) بالماء والملح أو الشاي (غير الحلو) وأحياناً بعصر الليمون داخل العينين للتنظيف زلإزالة الالتهابات.

ومهما يكن من أمر فإن الطب الشعبي كان يعتمد على (صفاء النية) وعلى (التوكل على الله) والتسليم له بالحكم والطاعة.

٨ـ القاموس الشعبي :ـ

هناك بعض الجُمَل أو المفردات قد تكون غريبة على المجتمع المحلي ، لأنها وفدت عليه من الخارج ـ في وقت غير مناسب ـ وفي حالة غفلة منه.

ولأنها غريبة ودخيلة عليه ولم ترق لها أن تمكث في أرضنا، ولم تلق صدراً رحباً من مجتمعنا، ولغتنا الخاصة.

ولذا فإنها وجدت أفضل حل أن ترحل. ولقد رحلت، ولم يبق منها إلا أثرها وذكراها. . .

وهذه مجموعة صغيرة على سبيل المثال لا الحصر!! للذكرى.

١ـ كلمة فنطاز ـ تعني برميل صغير قد يتسع لـ ١٨ـ٢٥ لتراً.

٢ـ كيكرة ـ ما تشبه الزبدية التي تتسع لـ ٥٠٠ ملليتر تقريباً ملبثة.

٣ـ هيذا ـ هكذا.

٤ـ عين (تشارم) تعني عين كارم (وقس على ذلك التشاف تعني الكاف).

٥ـ الكندرة ـ الحذاء العادي.

٦ـ الخرقة ـ المنديل الفضفاض (للنساء).

٧ـ اتخرف ـ اخرفك ـ أحكي لك.

٨ـ بكدّي ـ بكفي.

٩ـ كلتلك ـ قلت لك (وقس على ذلك).

١٠ـ خا ـ خذ.

١١ـ احكك تعني احقق أو أدقق النظر.

١٢ـ مصطبة تعني الأرضية، أرض الغرفة.

١٣ـ شي لاكلك ـ دعني أقول لك.

١٤ـ التشرشات، السقط من الغنم (الكرشة).

١٥ـ الطاسة (كيلة الماء)، والكلمات من هذا النوع كثيرة وكثيرة جداً ولعل بعض هذه الكلمات هي في الأصل تركية.

١٦ـ الخابية ـ مستودع للطحين أو الحبوب.

١٧ـ الجرن والطاحونة، والهاون . . . . وأسماء أخرى!

٩ـ الألعاب الشعبية :ـ

اللعب هو لون من ألوان الرياضة الفكرية والنفسية والبدنية التي يمارسها الإنسان وهو مؤشر إيجابي لدلالة على أن الحالة صحيّة والوضع العام مطمئن، وأن الأمور تسير بسلام.

واللعب هو من الجوانب الإيجابية في حياة الإنسان، وله أهميته في إبراز هوايته وإظهار طموحاته. . . وهو جانب عملي من الجوانب التي تسهم في بناء الكيان الشخصي للإنسان وكما أن السلامة مطلوبة في تكوين نفسية الإنسان ومرتكزات شخصيته، فهي مطلوبة أيضاً في بناء جسم قوي مشدود ذو مكتسبات متميزة تعطيها له قدرات وإمكانات لا تتوافر إلاّ في ممارسة فيها شيء من الحركة البدنية والذهنية والنفسية.

وبما أن لكل شيء حدوداً، ومواقع يتحرك من خلالها، وداسرة ذات قطر معين ومحيط معين فإن الإغراق في اللعب والانشغال والإفراط والاستسلام لمغرياته كثيراً ما تكون سبباً من أسباب الانحلال الفكري والنفسي والخُلُقي.

إذن فلا بد من معايير وضوابط ولوائح تقيد الإنسان في إطار التعامل معها، ضمن مفاهيم ومقاييس تجعل من اللعب وسيلة بناء لا عامل هدم.

واللعب بشكل عام، هو أمر ملح . . وعلماء النفس والاجتماع أقراوا بذلك، لم يحددوا عمراً زمنياً في حياة الإنسان لإيقاف التعامل مع اللعب. . المولود يلعب فالطفل الصغير يلعب، والفتى يلعب، والشاب يلعب، والكبير والعجوز، وكل أطوار الإنسان مكيفة ومهيأة للتعامل مع هذه الهواية الجميلة التي قد تصبح عند البعض حرفة يعيش على رفدها الكثيرون.

ومن هنا فقد أصبح للعب منظمون محليون وعالميون، واشتهرت أنواع من الألعاب

الممارسة . . واشتهر لاعبون . . وتأسست اتحادات للألعاب على المستوى المحلي والعالمي وأصبح (اللعب) ضرورة من ضروريات الحياة، ومن مؤشرات تقدم وتطور الأمم والشعوب، وكثُر الاهتمام بالألعاب، وكثُر أنواعها وأصبحت متشعبة لدرجة أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعملية حصر لها.

فمنذ بداية التاريخ وخروج الإنسان على ظهر هذه الدنيا، ومنذ تنقله وحركته، واندفاعاتها في مسالك هذه الدنيا، والحياة تتحرك، والزمن يمر، والفلك دوار والألعاب تزداد كل يوم تأثيراً في حياة الإنسان، وسيطرة على جوارحه، وأفعاله وانفعالاته.

فكما أننا نسمع بالألعاب الرياضية ككرة القدم أو كرة السلة أو كرة الطائرة وغيرها، ونسمع كذلك بألعاب القوى، وبالسباحة، والجمباز، وألعاب كثيرة.

ونسمع أيضاً بالألعاب النارية والبهلوانية، والسحرية ونسمع بألعاب الشطرنج وهي رياضة ذهنية قديمة العهد وهي اللعبة التي كان يمارسها الخلفاء والأمراء والسلاطين، وهي لعبة تستغل فيها مهارة اللاعبين وحبهم للنزال في المعارك والانتصار في النهاية.

والمعوقون أصبح لهم ألعاب محددة ضمن لوائح وقوانين ودراسات بيولوجية وسيكولوجية وغيرها.

ونسمع بما نحن في صدده الآن الألعاب الشعبية.

والألعاب الشعبية قد لا تكون مدروسة أو منظمة أو مقننة ضمن لوائح أو قوانين ولكنها جميلة ومحببة لمن يعمل على متابعة ممارستها فلها نكهة خاصة. . والجميل أنها ذات نكهة تراثية متميزة تذكرنا بالوطن. . هواءً وتراباً وحضارةً وتاريخاً. . . تذكرنا به دموعاً وآلاماً. . . وابتسامات أمل على الشفاه المنفرجة.

والألعاب الشعبية لو قدر لها أن تتطور، ولو وجدت الاهتمام لظهر لهذا الجيل مذاقها، ولأقبل الكثيرون من الأجيال الحاضرة على استحضار ذلك المذاق.

والألعاب الشعبية هي التي كان الأهل والأجيال السابقة يمارسونها على الفطرة وعلى الطبيعة دون أية مشقة (فنية) ودون الكثير من الإعداد، وبالقليل من أدوات اللعب.

من الألعاب الشعبية التي تروح وتغدوا في ذاكرتنا بين الحين والآخر. . ونحنُّ إليها حيناً إلى تراب بلادنا، ونتمنى أن نمارسها بحرية وطلاقة، وبروح رياضية «خفيفة وشفافة» دون أدنى

كُلفة، فليست كألعاب اليوم مُكلفة بأثمان أدواتها وألعابها! التي يصل ثمنها إلى عشرات الدنانير!

من هذه الألعاب التي أسوقها للذكرى والتأمل. . اذكرها هنا بايجاز ـ قدر الإمكان ـ بوصف غير فني، لأجعل من الطابع التراثي هو المميز في حديثنا عن الألعاب الشعبية.

١ـ اولك يا سكندراني، هو القفز على الظهور بالتوالي، لاعب يقفز من على ظهر زميلة ثم يحني ظهره ليقفز زميل آخر عليه. . وهكذا بالتوالي حتى ينتهي المشوار المقرر. . والمسافة أو الدائرة أو الملعب الذي يقومون باللعلب فيها مع ترديدهم الدائم اولك يا اسكندراني يا بوعيون الغزلاني. ولعلها لعبة مصرية اسكندرانية (من الاسكندرية في الأصل).

٢ـ لعبة (الاكس) أو المربعات، وهي لعبة في الغالب (للبنات) يلقى حجر في إحدى المربعات المرسومة في مكان أملس (سهل) ثم يدفع بأصابع القدم الحجر المدور أو المربع الصغير أو المستطيل المصقول وقد لا يتراوح ما بين ٢ـ٤ سم على إلاّ يقف الحجر على أي خط من الخطوط الفاصلة. . وهكذا يطول المشوار لقطع جميع المربعات أو المستطيلات الأربع أو الست المتوازية والمتساوية، ولا ينتهي دور اللاعب إلاّ إذا ثبت فشله وعجز عن الاستمرار وينتهي دور اللاعب أو اللاعبة وهكذا.

لعبة الغمية (الكمستير) أو حامي بارد، أو أن يختبيء اللاعبون ويتواروا عن الأنظار لترك الفرصة أمام اللاعب (صاحب الدور) للبحث عنهم في الأمكنة التي يختبئون فيها. . وهي العاب متماثلة. . ولا تختلف إلاّ في قليل من التفاصيل. . وإذا عثر أو رأى اللاعب أياً من اللاعبين المختبئين فإن الدور ينتهي منه إلى ذاك اللاعب وهكذا.

٤ـ لعبة البُلْبُل، وهو مخروط خشبي يلف حوله خيط رفيع ثم يرمي بعيد في مكان سهل أملس بطريقة تتيح للبُلْبُل أن يرقص حول نفسه على سِنّه المدببة. . والذي يدور مئات الدورات حول نفسه. وهذا البُلْبُل لا يزيد ارتفاعه عن خمسة سنتمتر وهو دائري حتى منتصفه وهرمي من المنتصف حتى الرأس المدببة.

٥ـ لعبة طاولة الزهر، ولها أنضمتها وقوانينها وتعتمد أيضاً على تشغيل المخ والتفكير في القضاء على أحجار الغريم.

وهي قريبة من الشطرنج من ناحية تشغيل المخ. . وقد عرضنا للعبة الشطرنج في بداية هذا الحديث. . . وهي أيضاً لعبة تراثية.

٦ـ لعبة الورق . . (الشدة) وأنواعها الهَنْد، الحمار، البناكل، والباصرة وهذه الألعاب يمارسها الرجال في أوقات فراغهم ولهوهم.

٧ـ وهناك ألعاب أعرضها للتذكير بها.

لعبة النط على الحبل، ولعبة (الداحديل) العجلات، (بدل دراجة هوائية بعجل واحد وبدون مقعد. . . وكان اللاعب يسابق العجلة. .).

وهناك مهارات فردية (صناعية) يقوم أحد اللاعبين بصنع (طيارة الورق) أو (القع) أو الصاروخ. . ويتفنن الصانع في صنع هذه الطائرات كذلك في صنع السيارات (السلكية) المصنوعة من الأسلاك الموثوقة بعضها ببعض على شكل سيارة أو قطار.

ولعلني أعرض لعبة أخرى جميلة كنا نمارسها كثيراً في المدرسة. . وفي الحقول هي لعبة (طاق طاق طاقية رن رن يا جرس، روّح واطلع على الفرس. .). أو (حوّل واركب على الفرس).

وهي أن يصطف الأولاد وراء بعضهم البعض على شكل دائرة، ثم تلقى محرمة خلف أحدهم ويظل اللاعب يدور في الدائرة حتى يكتشف أحد اللاعبين الجالسين أن المحرمة وراء فيأتي دوره وهكذا.

وهي لعبة جميلة. . فيها الكثير من الفرح والنشوة. . تذكرنا بأيام الصبا والشباب، وإن كل لعبة من هذه الألعاب لتذكرنا ـ دائماً ـ بالوطن وأيامه!

١٠ـ الأغاني الشعبية :ـ

الغناء بصورة عامة، قبل أن يكون فناً من الفنون الجميلة الرفيعة، فهو وسيلة تعبير شفافة عن مختلجات الصدور ومكنونات النفوس من أحلام وآمال وطموحات. . وهو من أفضل وأجمل طرق التعبير.

وليس المعبر عن كل هذه المختلجات بهذه الوسيلة التي ذكرت أن يكون ـ بالضرورة ـ ذا صوت جميل وأداء حسن.

قد يدخل الإنسان السرور إلى نفسه بسهولة حينما يخلو إلى نفسه ويغني. . يغني أي كلام أي لحن. . ولكنه على الأقل أن يوصل السرور الذي يريده إلى نفسه وبسهولة. . فالكثير من الكبار والصغار يعبّرون عن فرحهم (بشيء ما) بالغناء، والمرأة تغني والطفل يغني. . وليس بالضرورة أن يكون هناك مسرح أو (ستوديو) أو (سينما) أو معهد فنون جميلة أو ستيريو ليضخم صوته وليجمّله.

قد يكون الحقل الواسع مسرحاً، وقد يكون البيت المظلم إلاّ من (نور الله) مكاناً للغناء. . . وقد يكون «الحمّام» منصة يسمع فيه الإنسان غناء نفسه.

لا أريد المزيد من «المداخلات» في حديثي. . أريد أن أقول. . أن الغناء وسيلة فطرية للطرب وبعث السرور للتعبير عن الأم النفس وآمالها.

أما عندما يكون الصوت منظماً، مبرمجاً ومصقولاً وجميلاً، ملتزماً ضمن ألحان معينة وموسيقى شجية وكلمات محددة. . وأن تراقق لهذا الصوت «أذانٌ موسيقية». . ترفع من (معنوياته) وأيادٍ وأكُفٌ تصفق، وفنان يؤدي وآخر يقيّم وآخر يسمع!

فإن الأمر مختلف جداً. .

فالغناء في تلك الحالة هو وسيلة راقية ـ أو هكذا يجب أن يكون ـ (للتعبير عمّا في النفس من مكنونات ولإدخال السرور إليها. . وإلى نفوس الآخرين. . ولكن أن تمر في مراحل فنية متعددة).

والحديث في هذه الحالة متشعب ومتسع وسأقتصر الحديث (القصير) على ما تسمية الغناء الشعبي.

فقد يقع في الطريق ما بين الغناء الملتزم. . . بالألحان وكلمات وصوت وأداء المحكوم بقيود وحدود. . وهو في طريقه إلى الوصول إلى النفس الإنسانية وما بين الغناء غير الملتزم بألحان وأصوات غير مقننة وغير مراقبة مراقبة فنية متشددة.

التراث الشعبي. . هو ذلك اللون من الغناء الذي قد ينطلق من فطرة الإنسان ينطلق ليس بعيداً. . ولكنه يُعَدُّ بإحكام فطرية معينة وقيود رمزية دون أن يدخل بعيداً «حاضرة» الحياة من غير أن يفقد مكانته وهو على بابها.

إنه ذو خصوصية مؤثرة. . يدخل القلوب والنفوس بسهولة ويسر، وهو على حاله التي نذكر.

واليوم توافرت لهذا اللون من الغناء الشعبي الفرصة ليقف على أبواب حاضرة الحياة. . توقف وما لبث أن تابع سيره ودخل حاضرة الحياة من أجمل أبوابها! من باب التراث الشعبي.

وأخذ اهتماماً كبيراً من الكثيرين. . وأصبح له سُمّار، وزمار وخِلاّن. إن الأغنيات الشعبية قديمها وحديثها لا تفقد أبداً تلك الخصوصية بالتأثير العام والشمولية في المواصفات البسيطة المتواضعة.

والأغنية الشعبية تشترك في بعض المواقف مع الأغنية الحديثة (الحضارية) العادية التي

تتخذ من حاضرة الحياة مكاناً لها.

والتي لها أيضاً مكانة في نفوس الكثيرين.

والأغنية الشعبية كانت قد دخلت جميع المجالات، دخلت الأفراح من أعراس، ومناسبات مشابهة كالطهور، كالعقود ـ عقد المنازل، كمناسبات النجاح في الامتحانات والانتخابات ـ البلدية والقروية ـ والنيابية ـ اليوم، والخروج من السجن، ودخلت مواسم الأعياد والحج والموالد، ومواسم الزراعة والأمطار والحصاد.. ولم يكن عليها حظر من الدخول إلى أي (معترك).

ولم تقصر، ولم تعجز، إلاّ أن عيبها الوحيد ـ كما نراه اليوم ـ أنها ليست أغنية فنية ـ بالمفهوم المعاصر لهذه الكلمة ـ ومع ذلك فهي محبوبة قريبة من النفوس وجميلة أيضاً.

كانت الأغنية الشعبية في عين كارم في الثلاثينات والأربعينات قوية وعالية ومسموعة، وصبت في اذن الوطن أشجى الألحان، وكانت الأغنية الشعبية الوطنية ذات أثر واضح على الناس في ذلك الوقت.

دخلته من كل المسارح والمحافل الشعبية كموسم النبي موسى.. دخلته لتحيي الوطن والثوار المجاهدين، والشهداء من أبناء الوطن.

دخلته مع النجادة والكشافة والفتوة واتخذت من الكلمات الدارجة والفصيحة للأناشيد القومية والوطنية. خير معين لها في الوصول إلى قلوب النّاس البسطاء المحبين للوطن والعاملين للقضية.

هذه الشمولية للأغنية الشعبية دفعت بالكثيرين وبنا أن نولي لها عناية خاصة وأن نورد لها مكانة واسعة في حقل دراستنا هذه وفي حدائق خواطرنا عن قريتنا الجميلة.

والأغنية الشعبية من حيث الأداء. والمكان تنقسم إلى ما يلي :ـ

١ـ الأغنية الرجالية التي يغنيها الرجال: وتغنى وتؤدّى فردية ومجموعة.

٢ـ الأغاني النسائية تغنّى وتؤدّى فردية ومجموعة.

٣ـ أغاني الأطفال إذا قلنا أن هناك أغنيات للأطفال، ولكن الذي كان في هذا الصدد هو لون من (الترنيمات) القصيرة المسلية والملهية، لتكون وسيلة لمناغاة الطفل أو إظهار الفرحة به عند ظهوره أو عند محاولة استلامه لسلطان النوم بعد كل مساء.. أما «أغنية الأطفال» فلم تكن لها وجود آنذاك.

كان الأطفال محرومين من كثير من «التخصصات» إلاّ من المحبة، فهي وافرة ووفيرة.

ولعل من أهم دواعي الفرحة وبواعثها في القرية هو الزواج من الطُلّبة إلى الخطوبة ألى ليلة السهرات وليلة الحِنّة والزفاف والصبيحة والأسبوعية.. وكل يوم فرحة وفرحة وفرحة الفرد هي فرحة المجموع، وفرحة العائلة الواحدة هي فرحة كل العائلات.

إن الفرح في القرية هو فرح القرية جميعها، وأن المشاركة كانت من قبل الجميع وكانت فعّالة.

ولكن لا بد من (العزومة) أن يدعو أهل العريس الناس لحضور حفلات زفاف ابنهم فيحضر من يحضر ويشارك من يشارك إمّا بالحضور وبالغناء وبالرقص إذا كان يستطيع.

لم تكن هناك فرق موسيقية أو غنائية متخصصة، ولكن كان هناك من يحسنون الغناء أو الرقص، أو لتزيين وحلاقة «العريس» والمشاركة في زفّته مع أصدقائه الشباب.

ولا أرغب في توسيع رقعة هذا الموضوع ـ موضوع الأغنية الشعبية ـ في التراث الشعبي في عين كارم لأمرين مهمين:

أولاهما: أن الأغنية الشعبية ـ في عين كارم ـ هي جزء من الأغنية الشعبية في فلسطين ولقد طُرق هذا الموضوع من قِبَل الكثيرين من المهتمين بالتراث الشعبي العربي الفلسطيني.

وأنا لا أطرق موضوع التراث الشعبي الفلسطيني والعربي من خلال تحدثي عن (عين كارم) بشكل مفصّل، وأكتفي بالإشارة والتلميح.

والأمر الثاني: الحديث عن الأغنية الشعبية يستلزم كثيراً من الدقة، والبحث والتنقيب والتفصيل حتى يستوفي الموضوع حقه

وارتأيت أن أعرض بعض النماذج من الأغاني الشعبية المتعددة الأغراض والتي كانت تتردد على الألسنة في عين كارم نساءً ورجالاً وأطفالاً. تاركاً موضوع أمور البحث والدقة والتنقيب للقارىء الكريم، بعد أن أكون قد حددت الاتجاهات (الفنية) لهذه الأغنيات الشعبية في تلك الأوقات الغنية بالأحداث والمفاجآت المليئة بالهموم والأحزان والآلام الكبيرة.

كانت أغنيات فرح كثيرة وجميلة، تعبّر عن نشوة عارمة، ممتعة في النفس ما بعدها متعة.

فأغاني الفرحة هي الأكثر انتشاراً مع تنوع المناسبات ففي العرس الفلسطيني في عين كارم، أجمل ما كان يُسمع من غناء هو ما يغنى والناس في طريقهم لإحضار العروس من بيت أبيها.

فمن أجمل هذه الأغاني في ذلك الوقت كان اللحن وهذا النغم وهذا الغناء.

ارقص يا رقاص بالسيفين وارقص يا (علي) لاتصيبك عيني
يا ريت اللي صايشك بالعين تقد ثياب العز عالجالين

ملاحظة: ليس من الحكمة أن تقول الأغنية (تقد ثياب العز عالجالين، في مجال الفرح) عالجالين - على الجهتين.

ولعلها تكمل الأغنية فتقول:

محمد وعلي يا الاثنين اللي انتشوا
ربوا على الجود وهم صغاري
فرعن يا طلق الريحان

ثم تنطلق واحدة من النسوة بلسانها (التهاهي) أي ترفع صوتها بلحن متميز مختلف، بصوت منفرد ممهدة أمام انطلاق مجموعة من الزغاريد، فهي تقوم بالتهيئة.

فتقول المغنية أو واحدة من المشاركات في الفرح

هاهي تمنيت لأبو علي الدايرة
يار رب صلى عالنبي محمد
هاهي وعلى فاطمة بنته
هاهي يا رب لك الحمد
هاهي واللي طليته نلته

وقد تكمل مفتخرة بابي علي (قد يكون زوجها أو ابنها أو ابن عمها العزيز أو رجل محترم من العائلة أو القرية).

هاهي حوطك بالله وحده
هاهي والثانية ثنتين
هاهي والثالثة خرزة زرقا
هاهي والرابعة ترد عنّا العين

وليس إحضار العروس من بيت أبيها هو موطن الفرحة الوحيد فموطن الفرحة في كل خطوة بدءاً من طلب العروس والموافقة على الطلب الذي تحمله الجاهة والتي عادة تكون من أكثر

من خمسة أو ستة رجال وقراءة الفاتحة والخطوبة وكتب الكتاب وانتهاءاً ببدء مراسيم الزواج نفسه من ليلة الحنة والسهرات الخمس أو الست التي تسبقها.

كلها أيام فرح حتى ما بعد ليلة الزفاف وما تسمى (بالصبحية)، وإن أشد فرحاً بالعروس هي أمها بخاصة عندما تزورها الأم في تلك الصبحية وتطمئن على أن ابنتها كانت حتى اللحظات الأخيرة «بنت شريفة» مصونة.

ومن أغاني النساء في هذه المناسبات:

خلعت ثوب مطرز لبست ثوب مطرز
يا عين تعال تفرج على زفة العشارمة
لبست ثوب خضاري خلعت ثوب خضاري
تفضلوا يا جوادي على زفة العشارمة

ثم يتغير اللحن بطريقة شاملة ومفاجئة بلحن جديد ومغنيات اخريات.

لاطلع ع العلالي فوق وتفرج ع اولاد العم
وأنا من هيبة أهلي بعدّي تحت قناة الدم
لاطلع ع العلالي فوق واتفرج ع القريب
وأنا من هيبة أهلي بعدّي ومانبي هايب

وعندما تقبل النسوة إلى بيت العروس وتستقبلهن النسوة من الطرف الآخر في بيت العروس تظهر نغمة جديدة.

جين الشراقيات بثياب الحبر رجالهن قدامهن زي الوز
جين الشراقيات بثياب الحرير رجالهن قدامهن زي الأمير

وتعني الشراقيات (القسم الشرقي من البلدة) والغرابيات القسم الغربي منها. المعنى العام هو الافتخار والاعتزاز بعائلاتهم (برجالهن) والتشبة دائماً بعلية القوم الوزير والأمير.

ومن الأغاني (النسوية) في مثل هذه المناسبات، مناسبات استقبال أو في وداع أمام العروس في بيتها وفي السهرات.

تلوى يا شعر الحية على ابدية والشيخة لأبو علي عليها هيّه
تلوى يا شعر الحية على الفنجان والشيخة لأبو علي إلها زمان

تلو يا شعر الحية . . . كأن للحية شعراً!

وما زالت النسوة يفتخرن برجالهن، فلنستمع والنسوة يرتفعن بأصواتهن:

وين دار الوزارة وين دار الوزير وين دار أبو يعقوب مفروشة حرير
وين دار الوزارة وين دار الزباط وين دار أبو يعقوب مصفوفة بلاط
وحنا جينا يا أم الخواتم على صيت أبو يعقوب في المحاكم

وهناك دبكة نسائية قد تغنى فيها أجمل الأغنيات، أغنية برجاس، وهي منتشرة في كل مكان داخل فلسطين وخارجها:

برجاس يا نسم الهوى برجاس
واحنا ورجالنا رافعين الراس
برجاس يا رافع الراية في العالي
واحنا شباب الوطن في العلالي

ودبكة جديدة ووقع أقدام جديدة! ومواصلة الغناء

ع الزباطية الزباطية
واحنا ما نرضى الغلوبة
السيوف مرفوعة والزنود قوية
واحنا وشباب العرب عزوة قوية

وعودة إلى «الدبكة» الأولى لإقفال «الوصلة»

برجاس يا نسم الهوى برجاس

وقد تغنى أيضاً على نغمة أخرى وبلحن آخر طبلة وإيقاع جميل، وأصابع رقيقة تنتظر الدف! وتختتم المغنيات (بمهاهات رقيقة وذات معنى لتكون مسك الختام عندما يذكر الوطن!)

هاهي يا تفاح بياري والمهر غالي
هاهي احنا بنات فلسطين! أو (هاهي واحنا العتشرماويات)
هاهي ما يعلى علينا عالي!
هاهي أرضنا وهي الشين والشانا
هاهي وبسيوفنا نرد العدوانا

الشين: تعني كل شيء. والشأن: تعني الشيء المهم «الشأن الكبير».

لعلني أكتفي بهذا العرض للغناء (النسوي) الذي كان تعبيراً عن السرور والفرحة التي تعُمّر في القلوب والتي تحيا به المناسبات التي ذكرت.

وسأتحول إلى نماذج أخرى من الأغاني (الشعبية) لاستكمال هذا اللون من التراث الشعبي الخاص.

والأغنية الشعبية كما أشرنا لم تعجز عن الدخول إلى أي (معترك)، ولذا فهي تحمل خاصية تعدد الأغراض والمضامين.

ولطبيعة المغنيات والمغنين، ولتشابك المناسبات، ولعدم (تحديد الأُطر الفنية) بشكل واضح عند الأداء، يجعل من عرض الأغاني أمراً فيه شيء من الفوضى في العرض، فقد تكون مناسبات الفرح هي عرس (زفاف) أحد أبناء القرية، الأغنية التي تؤدى ولكن بالقليل القليل من التحوير أو حتى أنها تؤدى كما هي في مناسبة (عقد المنازل) أو النجاح في الامتحانات أو الانتخابات أو الخروج من السجن أو أية مناسبة أخرى.

فعندما تصطف المغنيات ينسين أية أصول أو أي روابط فنية (لفرحهن) فتراهُنّ يغنين للعريس تارة، ولأبي العريس أو لشيخ البلدة أو للحاج أمين أحياناً! ويغنين للوطن. . .

فقد تسمع أغنية الاعتراف لأبي العروس الذي وافق على زواج ابنته. . . وأعطاها (لهن) لأهل العريس ينتقلن بسرعة الى جهة أخرى متناقضة.

فكما أنك تسمع:

يحلف عليتشو تشترا الله خيرتشو ولا عجبنا في النسب غيرتشو
خلف الله عليك يا أبو فلان خلف الله عليك وأنت بالأول
طلبنا النسب منك واعطيتنا غزال مصور
الله يحلف عليك يا أبو فلان خلفك خلف الله عليك خلفين
طلبنا النسب منه واعطانا بناته الثنتين

فتراهن يغنين للوطن في الوصلة التالية:

يا فلسطينات يا أمات المناديلي واحنا الشباب منا زي القناديلي
يا فلسطينيات يا أمات الصور واحنا الشباب منا زي الذهب الأصفر

وتنطلق الأوبهات (المهاهاة).

هاهي يا فلسطين يا قلعة حديدية
هاهي طلعوا عليها الامارة والأفندية
هاهي طلعوا عليها ليهدوها
هاهي فشرت الحاهم ولا قدروا بطولها
لولو.. لولو

إن عدم التنسيق فيما بين المؤديات، كانت له نكهة خاصة في ذلك الزمان. أما اليوم فإنه سيكون أمراً مضحكاً.. ليس من قبيل السخرية. ولكن من قبيل التساؤل.. ولعل من المتتبع لأعراس (الفلاحين) اليوم في مخيماتنا وأماكن تجمعاتنا فإنه يشهد مثل هذه، ولكن بصورة أخف من هذه الحدة التي في الفوضى التي ذكرت.

وعلى الرغم من هذا كله، فإن هناك بوادر عودة للقديم المتناقض الجميل في الغناء وفي اللباس وفي الزي.

وهذا مبعثه محبة الوطن والاعتزاف بجذورنا الممتدة إلى أعماقه، وبانتمائنا إليه رغم تباعد الشقة زماناً ومكاناً.

وما زلنا نسمع في أعراسنا اليوم أغاني قدمية، وتقصد المؤديات إلى تأكيد تأثير تلك الأغاني في نفوسهن، حتى لم يكن يعرفن مسقط رؤوسهن (عين كارم).

من الأغاني التي تغنى في سهرات الرجال أغاني فردية وجماعية منها الفردية:

آه يا أسمر اللون آه يا أسمراني
حبيبي أبو العيون السود بسود الكحل رماني
حبيبي وعيونه سود بغمزة عينيه رماني

كذلك أغنية يا ظريف الطول[٥٨]:

يا ظريف الطول وقف لقدام رايح ع الغربة وبلادك احسنلك
خايف يا زين تروح وتتملك وتعاشر الحلوين وتنساني أنا
يا ظريف الطول يا أسمراني العشق من الله والهوى رماني
خايف يا محبوب تروح وتتساني وتعاشر الغير وتتساني أنا

ومن الأغاني التي يغنيها الرجال أمام موكب العروس، وهم يرقصون بالسيوف[٥٩]:

درّج يا غزالي يا رزق الحلالي
درّج يا حبيبي يا حظي ونصيبي

محمد زين وذكره زين

* * *

تلولحي يا دالية يام الغصون العالية
تلولحي عرضين وطول تلولحي خليني أقول
هانا واربط باب الدير

* * * *

شام ريحة الحندقوق سلبت عقلي هالفوق

وتتحول الأغنية إلى نغمة جديدة:

يا حالالي يا مالي يا ربعي ردو علي

وتتحول النغمة إلى مرحلة جديدة:

حنانين الحنة الحنة ضرب الموزر بلبقنة
يا ويل اللي تحاربه بالسيف نقطع شاربه
هز الرمح بعود الزين وانتو يا نشامى منين
واحنا شباب فلسطين والنعم والنعمتين
حاج أمين لا تهتم بسيفك الأحمر ينقط دم
حاج أمين يا منصور وبسيفك هدّينا السور

هكذا وتكون الأغنيات الأخيرة تجتمع فيها معاني كثيرة، حتى أنها تصل إلى أسمى المعاني الوطنية... وقد تتحول الأغاني إلى الانصباب في بحر المحبة الوطني البحر المتلاطم الأمواج.

آه يا ضرب الشباري في العدى والدم ساري
آه يا ضرب البارود في العدى وعلى الحدود

آه يا ضرب السلاح في العدى والدم ساح
أنا العربي يا عيوني تحت السيف رموني
والله لارمي الصهيوني واحمي بلادي فلسطين

* * * *

وهذه الأنغام كانت تنطلق من بقاع فلسطين على لسان نوح إبراهيم الفنان الفلسطيني الذي ألهب الجماهير سنوات طويلة وهو يغني للمجاهدين، ويثير حماس المواطنين ويذكرهم دائماً بما يجب أن يكونوا عليه من قوة وعزيمة وإرادة وتصميم لمحاربة العدو الغاصب والقادم من وراء البحار ليحتل وطننا الغالي، ويقيم عليه دولته وكيانه.

ولعلنا نستذكر هنا الأناشيد الوطنية التي كانت ترددها الألسنة وتصل إلى أعماق القلوب في تلك الأوقات التي ضاقت فيها السبل على بلادنا العزيزة.

من هذه الأناشيد:

حماة الديار عليكم سلام أبت أن تذل النفوس الكرام

ولنا عودة إلى مثل هذا الحديث بعد قليل.

وأما والميجانا والعتابا، فكان لها (معجبون) من مغنين ومستمعين وكانت لها شعبية في أوساط مجتمع قرية عين كارم، حتى أن هذه الشعبية لتمتد إلى الحقول والمعاصر والمطاحن والمزارع والمصايف، حيث كان المرء يردد مثل هذه الأغاني الشعبية في أوقات عادية وليس في مناسبات الأفراح.

وكثيراً ما كان يُطرب الإنسان نفسه وهو يغني بأعلى صوته في الخلاء الواسع... وهو يقوم بحراثة الأرض أو زراعتها أو أي عمل خاص أو أية جلسة خاصة وخلوة هادئة.

من هذه الميجانا والعتابا[٢٩]:

يا طولك طول عود الزان لو مال وشعرك حير الجدال لو مال
وسيك ما قبل أرض ولا مال وكيف الرأي عندك والجواب
يا طولك طول عود الزان رابي وخصرك هالملوح وين رابي
يا جسمك لو طلع في البحر ذابي وخدك جرحوا تسمة هوا...

ومثل هذه الأغاني تشتهر بها مناطق فلسطين الشمالية، وتتفوق فيها، بالإضافة إلى الزجل (والرد) والحوار بين مغنيين وأكثر.

وعلى دلعونا كان لها مرددون ومستمعون أيضاً، وهي لا تقل رقة عن الأغاني الشعبية الأخرى[٣٠]

على دلعونا على دلعونا نسم يا هوا الغربي حنونا
والله ما فوتك هي يا مزيونا لو قطعوني لحم في الصحونا
على دلعونا ليش دلعتيني وعرفتيني شايب ليش اختيني
والله ما فوتك يا نور العيني يا اللي أنت قمر والناس نجوما

وأما يا حلالي يا ماي... يا ربعي ردوا علي

فهي أغنية المناسبات السعيدة، وتردد ليلة الحنة في السهرة، وأمام موكب العروس.

وأما الدبكات لقم تكن (مقننة) ملحنة فنياً، ومهذبة تهذيباً من حيث المضمون والأداء، وهناك من كانوا يرقصون بالسيوف ويدبكون في مجموعات صغيرة وهم يغنون:

هبت النار من راس البارودة وانت ـ يا فلان ـ يا أبو الراية المشدودة لو
هبت النار والموزر غني وغني هبت النار والموزر يلباقنّا
حنانين الحنة الحنة ضرب الموزر يلباقنّا

وبالنسبة (للحز) على الربابة، فقد كانت أيضاً شاملة لكل المناسبات الجميلة وغير المناسبات، في الأوقات الخاصة، وليالي السمر، كان يكون هناك (حكواتي) مبدع يطلع بالأغنية والربابة ويبدأ في إثارة المتسامرين وفي تشنيف أذانهم وهم يطربون كل الطرب لمثل هذه الأغاني سيما من هم من كبار السن.

ويحلو الحز على الربابة في الساحات، عندما يكون في ضيافة الساحة شاعر غريب يتقن الغناء، أو شاعر محلي يستدعي لقضاء سهرة صيفية، وربما شتوية... حول كانون النار والراجيل التي تبدأ (بالتلعلع)...

ويطيب النشيد على ربابة الشارع وهو يروي على لسان الزير أبي ليلى المهلهل، أو كُليب بن ربيعة قصص بطولاتهم (التي تتحدث عن الثأر ووصف البطولات الفردية لهذا

ولذاك) . . . وغيرهم من أبطال العرب الذين انتظموا ضمن اساطير دخلت (الذهن العربي) في عصور الانحطاط من أوسع الأبواب.

ثم قصص أبطال بني هلال المأخوذة من تغريبتهم المشهورة، وكان يحلو الغناء ويحلو الاستماع.

فبدت تمثل تاريخاً للأدب الشعبي، والقصص الشعبي، والتصور الشعبي لأمجاد الآباء والأجداد.

ومن جميل ما انقله[٢١] هنا من سيرة بني هلال، هذا الحوار الذي دار بين الجازية أم محمد وهي على أبواب تونس مع حارس المدينة.

الجازية:

يا بواب (ساره) افتح للعذارى
هنا يا مشتدر إلى حد السوارة

* * *

الحارس:

روحي يا ظريفة لما أشور خليفة
له حربة رهيفة تقصم الحجارة

* * *

الجازية:

يا بواب منصور افتح لي باب السور
ندخل بدستور ونبيع العطارة

* * *

الحارس.

المفتاح ما هو بيدي أروح أشور سيدي
ذا الباب الحديدي في منحة مشاورة

* * *

الجازية:

افتح وكن طايع جبنالك بضائع
وتحت بدايع تصلح للإمارة

* * *

الحارس:

لا أفتح ولا شي ولا عقلي يلاشي
إن كنت عطاشي اشربوا من السيارة.

نفهم مما سبق أن الأغنية الشعبية طرقت جميع الأبواب، واستوعبت جميع الميادين فهي اغنية للحبيب، للعاشق الولهان، وهي أغنية الأم لولدها، وأغنية الثائر لوطنه.

وهي أغنية الفخر والاعتزاز، بأصل والحسب والنسب، وأغنية الفرح بجميع المناسبات من الميلاد احتفاء بالقادم الجديد، وبالطهور، وبالنجاح في الامتحانات . . . أو النجاح بوصول أي منصب رفيع.

وهو أغنية للفرح بالخطوبة والزفاف . .

وهي أغنية الفرح بحلول الأعياد الدينية والوطنية.

لقد استوعبت الأغنية الشعبية كل المعاني المطروقة للأغنية «الحضارية» الفنية المتقدمة وهي أغنية للحزين الذي يتذكر أيام شبابه وأيام عزه أو يتذكر حبيباً ذهب عنه أو وطناً سلبه الغاصبون.

وبصورة أوضح، الأغنية الجميلة، الأغنية الناجحة، الأغنية الرنانة هي التي تعبّر عمّا في النفس من مكنونات وما أصاب الجوارح لواعج.

والأغنية التي تخرج من القلب تصل إلى القلب بأسهل الطرق، وفي أسرع وقت.

ولكن في هذه الحالة . . . تدخل إلى القلب وتحدث فيه أمراً وتجعل من دخولها حدثاً يذكر على مر السنين.

نوح إبراهيم في عين كارم والأغنية الوطنية الشعبية :ـ

الشهيد نوح إبراهيم
(كان أغانيه الشعبية تلهب الحماس . فانتقم منه البريطانيون بقتله وتمزيق جسده)

لعلنا تناولنا بأطراف حديثنا نوح إبراهيم فنان الثورة الفلسطيني لسنوات طويلة خلت، والذي كان في أوج نشاطه وعطائه في الثلاثينات وأوائل الأربعينات.

كما ذكرنا أنه وجد في عين كارم شباباً، ومناخاً، وموقعاً، وحياةً لفنه، فقد وثّقه اتصاله بشباب عين كارم، لما رأى منهم إقبالاً عليه وعلى فنه واستعداداً لمشاركته في (جهاده) في سبيل القضية والوطن.

وفي غمرة نشاط (عين كارم المسرحي) في النصف الثاني من عقد الثلاثينات، تمكّن نوح إبراهيم من بلورة هذا النشاط المسرحي إلى عمل جاد ومفيد.

وقد نُفي نوح إبراهيم من شمال فلسطين من قبل المندوب السامي البريطاني، فاتخذ نوح إبراهيم من عين كارم إزاء تلك المعطيات المحلية وللأسباب القهرية التي ووجه بها، اتخذ من عين كارم ما يشبه مكاناً لإقامته.

ويذكر لنا نمر سرحان أن نوح إبراهيم كان فناناً، مؤلفاً ومغنياً للثورة ومحارباً للصهيونية

والانتداب.. ولذلك طورد ونُفي من شمال فلسطين إلى مكان آخر وكانت عين كارم هي المكان الذي اختاره نوح إبراهيم ليكون (منفاه) المريح.

أحب نوح إبراهيم أهالي قرية عين كارم شباباً وموقعاً وشجراً ومناخاً وماءً وهواءً وأحبته عين كارم شاباً ثائراً وطنياً ومظلوماً.

وراح نوح يؤلف الفصول المسرحية التي تتناول الحرب ضد الصهيونية ولقي من الشباب المتحمسين من أهل القرية كل مساعدة وعون وتفاعل مع فنه، فمما يذكر لنا نمر سرحان الباحث والكاتب في الفلوكلور الفلسطيني أنه تحدث في إحدى مسرحياته عن شهامة ونخوة المرأة العربية الفلسطينية.

والفصل المسرحي الذي مثله نوح إبراهيم وجمهرة من شباب القرية، يتحدث عن امرأة فلسطينية فقدت زوجها الثائر الذي استشهد دفاعاً عن وطنه، فدفعت بولدها لأن يقاتل بدلاً من أبيه وتبيع مصاغاً وتشتري بثمنه سلاحاً وعتاداً لمواصلة المعركة مع الأعداء.

ومن بعض فصول القصة أن ولدها ـ وكان صغيراً لا يقوى على حمل السلاح ـ عاد ذات ليلة من المعركة لأنه رأى أهوالاً وأهوالاً، فطرق الباب على أمه فلم تفتح له الباب وقالت له: إن ولدي ذهب إلى المعركة، وليس لي أولاد يعودون من المعركة دون أن يبلوا فيها بلاءً حسناً، أو أن يقضوا في سبيل الله.

فأثارت الحمية في قلب ولدها الذي انطلق إلى المعركة (ببندقيته) وظل يقاتل العدو حتى كُتبت له الشهادة.

بمثل هذا النص شعراً شعبياً يغنيه نوح إبراهيم ليلهب في نفوس الجماهير المتألمة حماسهم وليبث فيهم الروح الوطنية المتأججة.

ومن المسرحيات[٢٢] التي قدمها نوح إبراهيم في عين كارم على مسرحه الذي كان يُقام في العراء، مسرحية (العربي والصهيوني) التي تمثل الحياة أو الموت، البقاء والتمسك بالأرض والحق.

ولا أريد أن أُطيل الشرح والتفسير فإن الأغنية التي مثلها نوح إبراهيم وصحبه في مسرح عين كارم، كفيلة بأن تحمل الرسالة إلى كل عربي في كل زمان ومكان.

وكانت أغنية نوح إبراهيم الزجلية تعبّر في حوارها ما كنّا نُريد أن نقوله بالأمس وما نود أن

نقوله الآن... وفي المستقبل.. تأملوا هذا الحوار...

العربي: أنا العربي يا عيوني
عند الموت ارموني
بمحبي اسم الصهيوني
لأحمي بلادي فلسطين
من كيد المستعمرين

الصهيوني: أنا الصهيوني المعروف
وأمري في الدنيا مكشوف
رأس مالي مكر وبلوف
ولازم أملك فلسطين
ولازم أملك فلسطين

العربي: بتملكها بكره بكير
لما تشوف هم وتعتير
وتقابل ناكر ونكير
يوم القيامة يا مسكين
حتى تملك فلسطين

الصهيوني: لا تنسى كنز الأموال
والغدر والاحتيال
تملك فيها رقاب رجال
وبفعل فعل الشياطين
لازم أملك فلسطين

* * *

كان هذا في الأعوام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ - ١٩٣٨.

لقد احتلّ فلسطين ولكن لم يملك فلسطين، ولن يملك فلسطين.

ومهما يكن من أمر،

فإنها الذكرى والتاريخ... وأنه الصراع بين الحق والباطل، وبين العرب والصهيونية، وبين الماضي والحاضر. على صناعة مستقبل جديد مشرق وعزيز.

لقد مارس نوح إبراهيم بفنه الذي كان زاخراً ومعطاءً وملهباً للحماس ومثيراً للمشاعر، واستقطب من حوله الجماهير الفاعلة التي كانت تتوسم في أعماله الخير وترى فيه منفذاً إلى العمل للقضية، والدفاع عن الوطن، ومحاربة العدو المستعمر، كان متنفساً لهم عن آمالهم وأمانيهم وآلامهم.

لقد مارس نوح إبراهيم بهذا «سياسة التوعية الجماهيرية» التي كنّا في أمس الحاجة إليها... توعية صادقة.. توعية تخرج من القلب لتصل إلى القلب دون موارية فعندما يكون الفن للفن يخرج من منابعه الأصلية في أعماق النفس الإنسانية ليصل إلى أعماق النفس الإنسانية للمتلقين، ويؤدي الرسالة التي حملها بيسر وسهولة.

لقد ظل نوح إبراهيم مجاهداً أميناً على القضية بالكلمة والأغنية والأهزوجة وبالزجل وبالشعر العربي حتى قضي في معركة دارت بين الثوار وحرّاس سجن عتليت عندما هاجموا المعسكر ليطلقوا سراح الثوار والمجاهدين...

وبما أن نوح إبراهيم لا زال في ذاكرة الآباء حياً، كما كان حياً في ذاكرة الأجداد من قبل.

وحرصاً على أن يظل في ذاكرة الأبناء والأحفاد من الأجيال القادمة من عين كارم حياً كذلك.

ارتأيت أن أسجل هنا وفاءً مني «كعكرماوي» لذكرى كفاح وجهاد نوح إبراهيم ولدفاعه بأغانيه وأناشيده الملتهبة عن الشعب المقهور، وتشجيعه له على مواصلة النضال.

ارتأيت أن أكرّم نوح إبراهيم نيابة عن الأهل من عين كارم أجداداً وآباءً وأبناءً، بأن أنقل للقارىء الكريم بعض أناشيد وأغاني نوح إبراهيم الوطنية التي ألهبت الأكف والحناجر في يوم من الأيام.

والصفحات التالية هي الكتاب الذي أهداه نوح إبراهيم إلى الحاج أمين الحسيني والذي تضمن بعضاً من أغانيه وأناشيده الوطنية المتعددة الأغراض والمضامين والمتنوعة بالألحان والأنغام!

وهي صورة طبق الأصل.

« مشروع »

تقسيم فلسطين !!؟

« نداء موجه الى البرلمان الانكليزي ووزارة البريطانية »
« وكل حل لا يتفق مع مطالب العرب واستقلالهم فهو
مرفوض وفاشل وخصوصا مشروع تقسيم فلسطين

ع تفكروا بحل جديد
اما مشروع التقسيم ؟
سمعنا جزمتو اليه
ناخذوا القدس ويافا لحم !!
ونحشروا العرب بامسيم !!!
لكن مشروع التقسيم ...
ان شفتوا وثائق مكاهون
بتلغوا وعد بلفور ازور
وكر منكم بصبح عليم
واما مشروع التقسيم ؟

لينفذ بالتاكيد !!
مرفوض وفاشل وبعيد

على طريقه جهنميه
وجينا نكون حداله
والساحل للصهيونية !!!
مرفوض - وفاشل وبعيد

للعرب باسم السكون
الي انعطي للصهيون
بالي كان وراح يكون
مرفوض وفاشل وبعيد

ع تفكروا بحل جديد
اما مشروع التقسيم
تسعطاش السنه صابرين
وفلسطين مقدسه ..
خلو ضميركم سليم
واما مشروع التقسيم !!
افكروا واعطوا القرار
بلكي تنحل العقده
وندخل في دور التنظيم
واما مشروع التقسيم

لينفذ بالتاكيد
مرفوض وفاشل وبعيد
حتي صرنا مهددين
من مئات الملايين
واصفوا الظالمين
مرفوض وفاشل وبعيد
حيث مليا الانتظار .
ويخلص دور الاستعمار
ونصير في بلادنا احرار
مرفوض وفاشل وبعيد

اللهم لا تحقق مشروع التقسيم

وعاشت فلسطين

عربية حره يرفرف عليها العلم العربي المجيد

ظهرت هذه الاسطوانه الهامه بعد صدور تقرير اللجنه المنكيه
بيومين !! وراجت رواجاً عظيماً في فلسطين والاقطار العربيه .

يافخامة المندوب

السر كرغل وكهوب

« نداء خاص موجه الى فخامة الجنرال السر ارثر كرغل وكهوب
المندوب السامي في فلسطين

يافخامة المندوب — السر كرغل وكهوب
انت عارفنا مظلومين !! — وبدك تسكتنا بالطوب ؟؟

يافخامة المندوب

في مدة هالخمس سنين — قوضوك على فلسطين
طارت حقوق العرب — وقويت الصيونيين !!
افتحت ابواب الهجره — حتى صرنا مهددين
اجبر خاطرنا مره — واعطينا شي تعزيوب

يافخامة المندوب

بلعك طويل بالسياسة — وسلوك الزناسه
وانت صديق الفلاح — وهو ما يملك نحاسه!!!!
ارفع عنا هالقوانين — وهالظلم وهالتعاسه ...
ولا تزيد البه طين ... — وخدها بلطف وكياسه

السر كرغل وكهوب — يافخامة المندوب
وبدك تسكتنا بالطوب ؟؟ — انت عارفنا مظلومين !!

يافخامة المندوب

دولتك اسلامية — اكثر منها انكليزية
حيث رعاياها بالملايين — بكل البكره الارضيه
ان كان بدك مصلحتها — خليها تحل القضية
حتى تحفظ سمعتها — وهادي قرضه ذهبية

يافخامة المندوب

فلسطين ارض السلام — مهد المسيح والاسلام
بمصر المدنية والنور — صارت فيشه وظلام
وبحبك كتاب كتابه — حيث مليانه من الكلام
غايتها رفع الرايه — مع الاستقلال التام

يافخامة المندوب

لقد ظهرت هذه الاسطوانة في فلسطين والاقطار العربية ، وراجت رواجاً جيداً ، وقد ترجمتها حرفياً لفخامة المندوب السامي وارسلتها له ليتمعن منها ويقرأها ، ولا شك ان القاريء يتمعن فيها ، ويجد انها تحوي على معاني بليغة لا تخفى على اللبيب

قولو تعيش فلسطين

وشهادة المجاهدين

قصة عجيبه جرت وقائعها في حيفا بفلسطين وهي تمثل شهامة المجاهدين وبأس الصهيونيين وشهادة المستعمرين

لله در الشهامة العربية ، فهي مضرب المثل وهذه القصة الرائعه خير شاهد على ذلك وهي تعلي صورة مجسمة عن النخوة العربيه

لقد جرت وقائع هذه القصه في جبال نابلس العربيه المشهوره معقل المجاهدين الاحرار ، حيث صادف المجاهدون عقب معركة هائلة ضابطاً بريطانياً كبيراً مجروحاً في كتفه جراحاً خطراً فدفعتهم نخوتهم العربيه الى تضميد جراحه حتى تعافى ! وأرسلوه سالماً الى حيفا !! وصدف أن أقام الصهيونيون احدى حفلاتهم « الساهره » حسب عوائدهم !! تكريماً للضباط والجنود الانكليز في جبل الكرمل بحيفا ضمت خليطاً من الرجال والفتيات ! وصاروا يتفنون لإعلانهم بصورة مزعجه وشاءت الصدف ان يكون هذا الضابط حاضراً فما كان منه الا ان قام وأمرهم ان يشربوا نخب عرب فلسطين !! وهددهم باطلاق الرصاص فشربوا مرغمين وقد جعلتها قصة وعبأتها باسطوانه ليحفظها وليفاخر بها الجيع وستظهر قريباً

مقابلتي للجنرال (دل) بمقر القيادة

بعد خروجي من السجن ، معتقل الاحرار في عكا ، زرت القدس الشريف للسلام على ساحة المغفي الاكبر وتقديم الشكر عن اخواني المعتقلين الاحرار ، لما أبداه سماحته من الاهتمام بقضيتنا جميعا ، بارك الله فيه وجعله ذخراً وكنزاً

وقد انتهزت فرصة وجودي وتشرفت بمقابلة الجنرال «دل» بقصد التعرف على جنابه ،لاني نظمت هذه الاسطوانة وعبأتها دون ان أعرف الجنرال الا بالاسم ، وهذا بيت القصيد،فان الشاعر يقول ما يشعر ، لا ما يكلف به وينظر .. ويجب ان يكون رائده مصلحة أمته ورفع شأنها ..

وقد ساعدني الحظ فتعرفت على جنابه ، فوجدته على جانب كبير من اللطف والنبل والاخلاق العالية . وقال انه سمع الاسطوانة وفهم محتوياتها وعرف اني في المعتقل ، واتجه ترتيبها وموسيقاها ولكنه رجل عسكري وليس سياسي،ومهمته المحافظة على السلام .. فقلت له نرجو كما كانت فلسطين في العصور الغابرة (مهداً للسلام) ان تكون في عصر الذرية وعلى عصره مهد السلام وقد وعد في المجيء لهذه البلاد المقدسة زيارة خاصة (كحاج) عندما تسمح له الظروف ليتعرف الى اهلها بصورة واسعة لانه يشهد للعرب بالنبل والاخلاق والحمية . وقد قدمت له الاسطوانة هدية مع رسمي فوعدني بارسال رسم خاص له لي كما وعدني بشرفي زيارة خاصة واني اسجل شكري لجناب الميجر (هولبرك) مساعده الذي كان يترجم اقوالي له والسلام

ذكريات المعتقل والسجن

دخلنا السجن في الشهر الثاني من سنة ١٩٣٧ ، وقضينا فيه خمسة أشهر من سجن عكا ومعتقل المزرعة ... وكان عددنا يزايد حتى بلغ ٢٠٠ معتقلا كلهم من خيار الشباب الوطنيين ، والرجال العاملين ، والعلماء الاجلاء .. وكانت التهم التي وجهت الينا (مضحكة) وعجيبة جداً ، تكفي اثبات احدها ، ان تذهب بنا الى المشنقة ، على معدل القوانين الجديدة

وقد قاسينا الكثير من سجننا ، ولكن شهامة ولطف المستر وورلي مدير السجن ومساعد المستر جرانت والضابط عبد اقندي عبد العال ، والمستر طرز مدير سجن المزرعة ودفاع المحامين الوطنيين خففت عنا بعض المراسيم والقوانين التي تفرض على المساجين وكذلك الدكتور شحاده الذي كان يواسي الجميع مع مساعديه

وقد نقلت الى مستشفى حيفا مع الاخ الكريم والرجل العامل رشيد افندي الزفري ، لاجراء عملية جراحية ،وقد نجحت والحمد لله بيمة الدكتور ايف بك حمزة ، وبراسم افندي الحيري وهنائيهما ولذلك وجب علينا شكرهما مع عموم خادمات الانسانية الممرضات

وفيما يلي القصيدة التي نظمتها ووجهتها لجناب المستر بيلي ، الذي اصدر علينا الاحكام ، وصورت فيها شعور المعتقلين،وكنا ننشدها جميعا في السجن فتخفف عنا بعض الالم ، وسأقدم ترجمتها لجنابه ، فآمل ان يأخذها على محمل حسن النية فالضرورة ملزمة وواجبه من شخص شاعر شعبي مثلي ينطق بالواقع والحقيقة

حقائق ومعلومات

يعتقد الكثير من الاخوان اني املك مبلغا طيبا من المال ولكني افخر ان اقول اني فقير الجيب ، بسبب اني لا ألقي قصائدي في المجتمعات والحفلات العامة الا تطوعا ، لنفعة المشاريع الخيرية وايقاظ الشعور ، ولكني والحمد لله غني بوطنيتي واعتزازي في تشجيع اخواني وابناء وطني

ويعتقد الكثير اني (فوق الريح) مما اتناوله من تهيأة الاسطوانات ولكني اقول ان ما اتناوله لا يكفي لسد النفقات والسفر ، واما الاسباب فلا داعي لذكرها لانها طويلة ... واني لا استطيع اقامة حفلات عامة في مدن فلسطين بسبب تشدد السلطة وربط الكفالات .. الخ ...

ويعتقد الكثير من الاخوان ، ان عمري يتوف عن ٤٠ عاما ولكني اقول ان عمري لا يتجاوز ٢٣ عاما ، وارجو الله ان يوفقني ويمنحني القوة لخدمة الامة ومواصلة جهودي

ويعتقد البعض ان انتشار هذ الاسطوانات الوطنية محدود ولكني أبشرهم وأقول انها منتشرة انتشاراً عظيما جداً في فلسطين والعراق بصورة خاصة ، وسوريا والمهجر بامريكا وسنفافورة وعدن وجميع الاقطار العربية بصورة عامة وافخر ان اقول انها قضت قضاء مبرما على تلك الاسطوانات الهزيلة الساقطة التي تميت الشعور ، وتجهل الشباب مختين ...

ملاك الرحمه هالنرسات

قياما بواجب اخوي انشر هذا الرجل الذي نظمته اثناء وجودي بالمستشفى لاجراء عملية جراحية نجاه مابدا من الممرضات المحترمات اللواتي يدين جميع ضروب اللطف والانسانيه بارك الله فيهن واكثر من امثالهن

في مثل ساير كتير ... نيال معين الفقير
والنرسات افضل كبير ... يلما اتعذوا الوفات

ملاك الرحمه هالنرسات

يلما اتعذوا بالتاكيد ... كل واحد مرضوشديد
حتى رجع كالحديد ... وقاموا باكر واجيات

ملاك الرحمه هالنرسات

موصوفات بين الناس ... عملهن يرفع الراس
هني الركن والاساس ... في كل المستشفيات

ملاك الرحمه هالنرسات

كلهن بنات اكارم ... مابسموا بدراهم
لطفهن كالبراهم ... ولبسهن كالنديسات

ملاك الرحمه هالنرسات

زيارتي لجبل العرب

ولسلطان باشا الاطرش واخوانه المجاهدين الكرام

لله در رجال العرب وجبل العرب، فقيهم كمثل الحمية والشجاعة والاقدام والتفاني في سبيل القضية والوحدة العربية ...

ساعدني الظروف في زيارة جبل العرب ، فسلام على القائد العام سلطان باشا الاطرش، واخوانه المجاهدين الكرام ، لا يلاغهم السلام والتحيات .. وقد شعرت اثناء هذه الزيارة الاخوية اني أشعر بكل معاني العزة والقومية بين اخوان أفاضل ، فدوا التالي والرخيص في سبيل رفع شأن العرب وذاقوا آلام البعاد والاضطهاد والهوان ،حتى تحقق حلمهم، ونالوا استقلالهم المنشود..

ولقد تعرفت على كثير من زعماء الجبل الكرام ومجاهديهم اثناء وجودهم في السويداء للاشتراك في مهرجانات الكتلة الوطنية الموقرة في الجبل التي تمثل جبل العرب بأجمعه ... وقد وجدت فيهم حماسا لفلسطين وقضيتها ومقدساتها مما يعجز اللسان عن وصفه والله شهيد بذلك ..

عدا عن ان الجبل يزخر بالشباب الراقي المثقف ، حتى انك لتجد الطفل يكلمك بلغة فصيحة طلقة ، عدا انهم يمتازون بالشجاعة الفائقة والفروسية المدهشة ولا عجب فهم ابناء معروف الكرام [illegible] حياهم الله ..

محاورة اخويه

مابين الفلسطيني والعراقي

فلسطيني : السلام عليك ايها الاخ العراقي الكريم

عراقي : وعليك السلام ورحمة الله ، هلا وميت هلا باخي الفلسطيني المجاهد المقدام

ف : انا طنيب وملتجيء في حماك ايها العربي الحر

ع . سلمت واتحميت والله ما تقصر في الواجب وهديك بالروح شتو تريد وش تأمر عيني ؟؟

ف : عراقي يا بن الكرام بهديك تحية وسلام
يا بن الشهامة والذمام اشفق على قلبي الحزين
وقوم انجد فلسطين

ع : ابشر يا ابن العرب احكي وفهمني الطلب
بيظهر واقع في تعب نحنا اخوانك اجمعين
طمني عن فلسطين

ف . يحكيلك وقلبي مجروح على حالي يبكي ويبوح
تمنيت والله نروح نروح ولا هالقرار المشين
في تقسيم فلسطين

ع : لا تبكي ولا تهتم اخوانك شريه دم
لازم نسقيهم السم هالجماعة الغاصبين
اللي غدروا بفلسطين

فرقة

كشافة المأمون

التابعة لجمعية الشبان المسلمين

تعرفت على هذه الفرقة الناهضة ورئيسها السيد صالح علي قنيص وقائدها السيد حسن عبد الله نجم وعدد افرادها يجاوز الثلاثين وكلهم يمتلئون حماسة ونشاطا ووطنية والحق يقال ان هذه الفرقة هي في مقدمة الفرق العاملة النشيطة في فلسطين

وقد اقيمت حفلة سمر شائقة بالاشتراك معهم في عين كارم حضرها ما ينوف عن ١٥٠٠ كشاف من القرى المجاورة وقد كانت حفلة كشفية رائعة واني ارجو ان تتاح لي الفرص لزيارة جميع الفرق الكشفية في المستقبل ، واخذ الاستعلامات الكافية عن عدد افراد كل فرقة واسمائهم جميعا وعن جميع احوالهم مع صور تذكارية برفقتهم في كتاب وطبعها وتوزيعها على عموم الكشافة في فلسطين وسوريا ، ولا يخفى ما لهذا الكتاب من الاهمية عند كل كشاف فهو يعارف مع جميع الكشافة في جميع الانحاء وهو في محله تقريبا جو من اخواني الكشافة وقوادهم الكرام في كل مدينة [illegible] وأن يرسلوا الي رأيهم وأكون ممنونا بذلك

هذا وقد تعرفت بعزيز كارم الى حضرة المستشرقة الفاضلة الانس كاريي صديقة العرب ، والتي مضى على وجودها في فلسطين ١٥ سنة ، قامت في خلالها باعمال خيرية تذكر ، وهي تحمل فكرة (السلام) وجمع كلمة الشعوب ضمن وحدة انسانية

والذي نسجله بجدارة انها تقدر العرب وشهامتهم واخلاقهم وتعتز باظهار ذلك الى شعبها ، اكثر الله من اصدقاء العرب المخلصين في كل مكان انه سميع مجيب

وتعرفت ايضا الى حضرة القس المحترم الاب لويس يوسف الدبسي ذلك القس الشاب النابغ الذي يمتلئ حماسة ووطنية والتقوى ارجو الله ان يكثر من امثاله العاملين

مطبعة بيت لحم الحديثة

— لصاحبها —

عبد الله [illegible]

مجلة وطنية في بيت لحم يجب مؤازرتها ومعاضدتها جدا طبعها متقن واسعارها [illegible]

وعودة إلى نوح إبراهيم :-

. . . وكما كان نوح إبراهيم (مطرب الثورة) أو (منشدها) فقد كان إبراهيم طوقان شاعر الثورة، وكانت أناشيده وقصائده تُرَدّد على كل لسان، سيما تلك الملحمة الشعرية التي سمّاها الثلاثاء الحمراء، تخليداً لبطولة فؤاد حجازي، عطا الزير، محمد جمجوم، والذين حكمت عليهم حكومة الانتداب بالإعدام لأنهم جاهدوا في سبيل الله، ولأنهم شاركوا في الثورات[٧٣] الفلسطينية، ففؤاد حجازي اشترك في مذبحة اليهود في صفد في ٢٩ آب سنة ١٩٣٩، وأما الإثنان الآخران جمجوم والزير فقد اشتركا في مذبحة اليهود في الخليل عام ١٩٢٩، وقد أعدموا في يوم واحد وحُدّد موعد إعدامهم في ١٧ حزيران عام ١٩٣٠ على أن يقدم للمشنقة كل ساعة واحد منهم بدءاً من الساعة الثامنة.

والثلاثاء الحمراء مسرحية شعرية حماسية مثيرة، وطويلة، ولكني أجد متسعاً لنشيد منها كان الثلاثة يرددونه صباح يوم الإعدام، وقد سرى هذا النشيد على لسان كل فلسطيني في ذلك الوقت، في المدينة أو في القرية، في كل محفل، ولأن هذا النشيد[٧٤] أصبح نشيداً عاماً أورد منها بعض المقاطع للذكرى:

يا ظلام السجن خيم ... إننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل إلاّ ... فجر مجد يتسامى
أيها الحراس رفقاً ... واسمعوا منا الكلاما
متعونا بهواء ... منعه كان حراما

+ + +

يا رنين القيد زدني ... نغمة تشجي فؤادي
إن في صوتك معنى ... ما تقاسيه بلادي
فاشهدي يا نجم أني ... ذو وفاء ووداد

+ + +

أيه يا دار الفخار ... يا مقر المخلصينا
قد هبطناك شباباً ... لا يهابون المنونا
وتعاهدنا جميعاً ... يوم أقسمنا اليمينا
لن نخون العهد يوماً ... واتخذنا الصدق دينا

موسم النبي موسى وكيف بدأ[٧٥] :-

تحدثنا عن موسم النبي موسى وعن اشتراك بيارق شتى مناطق فلسطين ومن بينها بيرق عين كارم الذي كان كما ذكرنا أيضاً يوم الأثنين من أيام الموسم.

في ١٣ من ربيع أول عام ١٣٦١ هجري نودي عقب صلاة الجمعة من المسجد الأقصى الموافق ٢٠ أذار عام ١٩٤٢، بأن أسبوع الزيارة السنوية لمقام النبي موسى، والذي يسبق عيد الفصح عند الروم الأرثوذكس في خلال خمس الغسل، والجمعة العظيمة، التي يعقبها سبت النور، وأحد الفصح.

بيرق عين كارم
الوجه الأول

ويرجع كما تذكر الروايات أن السلطان صلاح الدين الأيوبي، يوسف بن أيوب، كان قد بادر إلى سن هذه الزيارة الى أول نبي من أولى العزم هو سيدنا موسى عليه السلام.

وقد جدد هذه المآثر التي قام بها السلطان صلاح الدين بعده بتسعة وسبعين عاماً هو السلطان الظاهر بيبرس، الذي بني القبة والضريح على مقام سيدنا موسى الحالي الذي يقع بين القدس وأريحا، التي هي مدينة الجبارين كما جاء في القرآن الكريم، والتي تؤكد ما جاء فيه صحيح البخاري، في باب وفاة موسى وذكره الجزء ٤ صفحة ١٦٤ : حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: ارسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له أن يضع يده على متن ثور فله بهما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب. ثم ماذا، قال ثم الموت. قال فالآن قال فسأل الله، أن يدنيه من الأرض المقدسة، رمية حجر بحجر، قال أبو هريرة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر. . .».

وفي الصحيح أن النبي محمد عليه السلام مر به ليلة الإسراء، وهو قائم يصلي عند الكثيب الأحمر.

ولهذا فإننا نؤكد قدسية المكان، المكان الذي كان يُقام فيه الموسم السنوي للشعب الفلسطيني في ذلك الوقت.

وإنه تكريم إسلامي بدء بتكريم نبي المسلمين عليه االسلام، وبعده أمته في هذه الأرض المباركة التي بارك الله حولها.

وفي المعتاد كان يعلن عقب صلاة الجمعة عن اقتراب الأسبوع السنوي، بأن موسم الزيارة سيبدأ في يوم الجمعة القادم. . . ويحدد تاريخه وزمانه. . .

ويدعي رسمياً من قبل المجلس الإسلامي الأعلى وإدارة الأوقاف والأعيان. . ويبدأ بخروج المصلين من المسجد الأقصى وهم يكبّرون ويهلّلون، ويتجهون وهم يحملون البيارق إلى مقام النبي موسى عليه السلام.

وفي مقدمتهم السادة الحسينية واليونسية من متولي وقف النبي موسى عليه السلام وعددهم ثمانية، ومعهم علم النبي موسى، وعلم النبي داود وعلم المسجد الأقصى، وأعلام مشايخ الطرق والمدن والأعلام الإسلامية الرئيسية، الذي يمثل المجلس الإسلامي الأعلى.

يخرج المحتفلون بالموسم، من باب الساهرة، وباب حطة المقابل للمسجد الأقصى ويتجهون إلى أريحا عبر قرية سلوان، ورأس العامود، ويُقدّم الشراب والمرطبات للمحتفلين من قبل البلدية عند رأس العامود إيذاناً ببدء الرحلة رسمياً.

كان المحتفلون يمتطون ظهور الخيل، المطهمة، والمجهزة بأجمل الأسرجة المزخرفة والمزركشة. . .

يستمر الاحتفال مدة ستة أيام، من أراد الانتظار للمبيت فله أن يفعل ذلك ومن أراد العودة نفس اليوم فله ذلك أيضاً، وأما المحتفلين الذين قرروا المبيت في المقام، فإنهم لا يتجشمون أدنى صعوبة في الحصول على طعام أو شراب، فإن الشراب والطعام وكل ما يلزم يصلهم من المتبرعين في القدس، حيث يحملون إليهم الأمتعة والفراش والحصر.

وتبدأ هناك الأهازيج والمدائح والأغاني الوطنية والدينية ويحيون حفلات سمر متواصلة، ولا ينقطع المحتفلون خلال تلك الفترة. . فمنهم من يأتي في اليوم الثاني أو الثالث ويشارك في إحياء هذا الموسم. .

ويعودون يوم الخميس. من نفس الطريق إلى القدس، يعيدون الأعلام إلى مكانها بانتظار أخذها وحملها مرة أخرى في العام القادم. .

ويحتفل عقب صلاة الجمعة بحفظ الأعلام بالتهليل والتكبير. . علم المسجد الأقصى في المسجد الأقصى، وعلم النبي داود في مقام النبي داود. .

وهذا الموسم الذي بادر إلى احيائه السلطان الظافر بيبرس وظل المسلمون يقتدون بهذا الأثر حتى أواخر أيامنا في فلسطين. .

وكان احتفالاً فلوكلورياً وطنياً دينياً، يثير الذكريات، ويلهب الحماس ويثير الحمية في نفوس المحتفلين.

وفي العدد السادس من السنة الثانية، من مجلة «هنا القدس»[٣٦]، الصادرة في يوم ٢٩ أذار عام ١٩٤٢، وعلى الصفحة السادسة من هذه المجلة. .

كان قد نشر نص القرار أو الأمر ببدء الموسم لعام ١٩٤٢. حيث كان الموسم يُحاط بهالة إعلامية تتناسب وروعة الموسم الذي يشارك فيه الجميع، وينتظره الجميع من العام إلى العام.

وكما هو معروف أن موسم النبي موسى كان أشبه بالعرس الكبير. . . وكان يوم فرح فلسطيني

شامل. . يشارك فيه أبناء فلسطين على اختلاف اتجاهاتهم (وانتماءاتهم) العائلية، والقروية، والمدنية.

فكانت كل مدينة لها بيرق تعد العدة، وتجهز مؤيديها ومعاونيها ومن قراها التابعة لها، ومن المتطوعين (لتأدية مراسم الموسم)، وكانت وسيلة التجهيز لا تتعدى حفظ الأغاني والأناشيد الوطنية، والتغني بالمفاخر الخاصة بالمدينة، أو بالقرية التي يحق لها الاشتراك رسمياً ببيرق منفصل في مواكب تشترك فيها الطبول والخيول وهتافات للحاج أمين.

ويُقال أن موسم النبي موسى كان يشترك فيه الآلاف ويفدون بالأيام المقررة لهم والتي تقررها (الهيئة العربية العليا) أو المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين الأكبر، كانوا يغنون وهم في طريقهم إلى الموسم في مقام النبي موسى في منطقة تبعد عن (الخان الأحمر) ببضع كيلو مترات إلى الجنوب الغربي من أريحا.

وكانت هناك أناشيد تشيد بالحاج أمين:

حاج أمين يا منصور بسيفك هدينا النور
حاج أمين لا تهتم سيفك الأحمر ينقط دم

وكان هناك برنامج ينظم الوفود المشاركة في الموسم فكما يذكر البعض أن يوم الأحد كان مخصصاً لوفود منطقة الخليل، والخميس لوفود منطقة نابلس، والجمعة للقدس.

ومما يذكر أن شباب عين كارم وثوارها في ذلك الوقت (فرضوا) أنفسهم على منظم الزيارات فتمكنوا من أن يحصلوا على إذن من الحاج أمين بتخصيص يوم معين وهو يوم الأثنين وهي أول قرية يُرفع لها بيرق خاص يُحمل إلى الموسم بأيدي رجالها وهو الرابع في فلسطين، وذلك لأن معظم حرّاس الحاج أمين الحسيني ومعاونيه كانوا من عين كارم، كذلك فقد كان شباب عين كارم هم من أقرب الناس إلى عبد القادر الحسيني ولهم ثقل وطني كما أشرنا سابقاً، من الرجال الذين كانوا من وراء الحاج أمين، وقد حملوا البيرق إلى الموسم:

إبراهيم موسى (أبو السعيد)، عيسى الحمزة، عايد جبر، علي محمد عيسى وغيرهم.

أيام الحزن في عين كارم:-

لا بأس أن أعرج قليلاً على أيام الحزن ـ العادية الخاصة والعامة ـ في عين كارم من وجهة نظر فلوركلورية من تراث شعبنا وقريتنا.

وأيام الحزن أو مناسبات الحزن العادية في كل مجتمع وفي كل قرية معروفة، هي أهما حالة الموت، وحالة (وقوع أي حدث سيء) لدرجة أن يترك انطباعاً سيئاً على من وقع على كاهله ذلك الحدث. كالسقوط المفاجيء من مكان عال، أو كالإصابة بجروح بليغة في حادث ما كأن يكون حادث شجار أو حادثة (ثأرية)، أو أية حادثة مماثلة.

فالحزن كان شاملاً في القرية، فإذا توفي رجل في عائلة ما أو في حارة ما من الحارات الأربع الكبرى في القرية فإن كل العائلات من جميع الحارات يشعرون بالمصاب، ويشاركون مشاركة فعّالة، وكانت حالات الموت قليلة ـ على أية حال ـ نسبة إلى عدد السكان في ذلك الوقت، ونسبة إلى الأوضاع النفسية والحالات الاقتصادية العامة فيها، فقد كانت سليمة ومريحة إلاّ في عهد الثورات المتلاحقة، على الصعيد السياسي والوطني.

إلاّ أن الشعور نحو ثائر استشهد، أو مجاهد في سبيل الله قد قُضي فقد كان وقع الحدث من هذا النوع يبعث على الفخر والاعتزاز منه إلى الحزن والكآبة، أو لأن (فلاناً) من الناس من (رجال البيك) عبد القادر الحسيني، أو من رجال الحاج أمين الحسيني فإن هذا كان يكفي لإقناع البعض من أهمية الحدث في ظل تلك الأوضاع.

أما في حالة الوفاة العادية بخاصة إذا كان شاباً يافعاً فله وضع خاص فينظر إليه من منطلق (المصيبة).

أما عن العادات والتقاليد في ذلك، فقد كان المأتم يقام لأكثر من أسبوع، يقبل أهل المتوفى التعازي من الجميع في البيت أو «الساحة» العامة لإحدى الحارات الذي ينتمي إليها الرجل.

أما عن الحداد فإن النساء كن يلبسن (السواد) ـ لمدة عام أو عامين لا أعراس ولا أفراح ـ ويقددن الثياب في بعض الأحيان حين كن يسمعن النبأ... أو يشاهدن (المتوفي)... والصياح والندب «وفقدان المشاعر» «وفلتان الأعصاب»... ويعبرن النسوة عن ذلك كما سبق بالصياح والندب... وبالنوح على الميت...

ومن أمثلة النياح على الميت في ذلك الزمان:

طلبت البارودة والسبع ما طل يا بوز البارودة من الندى منبل

ورب قائلة في معرض النياحة:

بارودته بيد الدلال رايتها لا عاش قلبي ليش ما شريتها

ورب قائلة أخرى:

يا حسيرتك يا عين على اللي راح راحت على أبو (فلان) سياج الملاح

ولا أريد أن أطيل، إنما أريد أن أبين أن العادات في عين كارم لم تكن بالسوء على ما كانت عليه بعض القرى الأخرى في مثل هذه المواقف المحزنة.

وكانت القليل من الأرامل من يتزوجن بعد وفاة الزوج وفاءً للعهد!

وأما عن الرجال فيكفيهم كما ذكرت التعزية في الساحات أو في بيت المتوفى بالكلمات المتبادلة «يسلم راسك أو عظّم الله أجركم»، فيردون عليه غفر الله لنا ولكم، يسلم راسك... إن شاء الله ما تشوف مكروه.

وفي هذا المجال أذكر بأن ما يلفت النظر، أن أهل القرية في هذه الحالة (يلتئمون) بسرعة وينسون بسرعة كل ما يمكن أن يكون هناك من مشاكل... فالموت حالة جامعة وليست حالة مفرقة... وأول العزيمة عزيمة القبر، الرئيسة والعزائم المتداخلة والفرعية التالية ظلت كما كانت عليه من أيام البلاد حتى أن العزّامين في كثير من الأحيان ظل أحفادهم محافظون عليها، وهذه حالة تبعث على الرضا والافتخار بأن أهل القرية ملتفون على المحبة دائماً، ولا زالت هذه العادة سارية المفعول بقوة بين أبناء البلدة حتى هذه الأيام!

ولعلني عرضت للأحزان الخاصة في حديثي، ولبعض الأحزان العامة كالشهادة في سبيل القضية، التي ينال شرفها الثوار والمجاهدون في شتى بقاع الوطن، ولقد تبين لنا من خلال نظرتنا إلى كشف أسماء المجاهدين والثوار نقف على (عمومية القضية) وأن ميدان المعركة ليس بالضرورة أن يكون في (مسقط الرأس الأول)، وأن يكون في القرية التي وُلدَ فيها هذا المجاهد أو ذاك الثائر.

فهناك من استشهد في طولكرم، وفي قرية عاقر «بالعرقوب» وفي علار وفي صور باهر... وفي لبنان بعد الهجرة.

ومن المناسب أن أذكر أيام الحزن... العامة كالنكبات الشاملة للبلاد كلها، كالكوارث الطبيعية التي كانت تصيب البلاد فيذكر أن القرية ـ والبلاد ـ تعرضت لزلزال عنيف عام ١٩٢٧ وهدمت دُور كثيرة.

كذلك ما أصاب الديار ـ في أعقاب الحرب العالمية الأولى ـ خاصة بهجمة الجراد التي لم تُبقِ ولم تذر وأكلت الأخضر واليابس.

كذلك أُصيبت البلاد عقب الحرب العالمية الأولى «بالكوليرا» ولم ينج إلّا القليل ممن أُصيبوا بها، وأن أفضل توقيت هي تلك الحوادث الطبيعية فيقولون سنة الكوليرا أو سنة الزلزال، كذلك فقد ذُكر أن القرية تأثرت باحتلال الانجليز للديار، وبالحرب التي نشبت بين الدول (الاستعمارية) التي تسابقت إلى تقطيع أوصال الدولة الإسلامية العثمانية، فرحل أهل القرية بهجرة ـ قصيرة ـ من وسط القرية إلى الضواحي والمصايف والخرب البعيدة والآمنة عن الأخطار!

الأسعار من وجهة نظر تراثية:ـ

من قبيل اكتساب المزيد من المعلومات ارتأيت أن أنظم جدولاً باسماء لبعض البضائع وأسعارها وذلك ما بين عامي ١٨٥٨ ـ ١٨٨٠، وليس هذا من فائدة غير فائدة المتعة بالمقارنة بين الأسعار لبعض المواد قبل مئة سنة واليوم!

وهذه الجداول نظمت في مدينة القدس ـ وعين كارم واحدة من قراها ـ المتأثرة بنمط المعيشة ومستواها ومستلزماتها.

«الأسعار بالقروش الفلسطينية»[٧٧]

رطل صابون: ـ ١٢ ـ ١٥	رطل لحم: ٣ ـ ٥و١
عباءة: ٩٠ ـ ١٠٠١ ـ ٨٠	زوج أحذية نعل: ٢٢ ـ ٢٤ ـ ١٠
رطل ملفوف: ٣ ـ ٣	رطل جزر: ٢ ـ ٢
٨ حبات برتقال: ١ ـ ١	رطل بصل: ٣ ـ ٤ ـ ٥و٣
رطل زبيب: ١٢ ـ ١٦ ـ ١٠	رطل زيت الزيتون: ١٠ ـ ١٥
رطل رز: ٨ ـ ٩ ـ ١٠	ثمنية قمح: ١٠ ـ ١٢ ـ ٢٥و١١
ثمنية شعير: ٥و٦ ـ ٢٥و٦	رطل طحين: ٥ ـ ٥ ـ ٤ ـ ١٠
رطل لحمة خروف: ١٥ـ ١٣ ـ ١٨	دجاجة: ٦
٤ بيضات: ١ ـ ٥و٠	رطل سكر: ٢٢ ـ ٢٣ ـ ١٦
أجرة العامل اليومي: ٥ ـ ٨ ـ ٤ ـ ٨	البناء: ١٥ ـ ٢٠
رطل سمك: ٢٤	رطل الملح: ٢
العجل: ٥٠	الغنمة: ٥٥
الحمار: ٤٠٠	الجمل: ١٠٠٠

وإني لم أورد ما أوردت إلاّ للمتعة والمقارنة . . . ولأذكّر دائماً أن بلادنا بلاد الخير على مر الزمن!

كلمة في التراث الشعبي (المحلي) :-

في مختتمات حديثي عن التراث الشعبي في الجزء الذي تناولته الدراسة والخواطر «عين كارم الحقيقة والحلم»، أعرف أنني لم أُعطِ كل اتجاه من اتجاهات التراث الشعبي حق قدره، وذلك لأنني لم أقل منذ البداية أنني سأتحدث بالتفصيل وبدقة، وذلك لظروف (موضوعية) وهي أن هذه (الدراسة والخواطر) شاملة عامة لخصائص قرية معينة محددة بالاسم وهي عين كارم.

كذلك إنني لم أقدم إلاّ ما اعتقد أنه صالح ومفيد ونافع ملتزماً بأنني لم أظلم (اتجاهاً) على حساب اتجاه آخر.

ثم أنني توخيت أن أقول كل ما أعلم أنه أحق وأما إذا كان هناك ما هو باطل، أو ما كان هناك بين الحق والباطل فلم اتعرض إلاّ في حالة واحدة، هو أن أقول (أن هذا ليس حقاً) وليس عدلاً أو أنه حق باطل مع تبيان ما أمكن من أسباب.

ومن خلال مطالعاتي لبعض الكتب التي تبحث في التراث الشعبي الفلسطيني، وجدت أن هناك الكثير من السلبيات في إظهار السلبيات، ووجدت أن هناك اهتماماً زائداً بأشياء يجب ألاّ نعير لها بالاً، فليس كل التراث يفتخر به ويعتز، وأنه يجب ألاّ نركز في تراثنا الكثير من سفاسف الأمور التي كانت تدل دلالة واضحة على (تأخر وانحطاط العقليات والأفكار والعادات والتقاليد الموروثة وغير الموروثة، والتي كانت تعلق كالغبار) في عجلة الزمن. بين الفينة والأخرى ومن ستة إلى ستة وقرن إلى قرن.

هناك طرق ذكية للتنقيب عن (العيوب) وهناك حبل يطوق عنق الماضي فتخفته، وتخنق كل ما كان يحمل في ثناياه من ايجابيات وفي مكامنه من شذرات ذهبية لو قدر له أن تنامى وترقى على هامة الزمن لفعلت، ولكن الأيدي التي تخنق قاسية وفي بعض الأحيان حاقدة.

أنا لا أُقر التحايل على الماضي، ولا اتعامل مع المراوغات الذكية التي تتلوى حول نفسها وحول الماضي لتخنق الحق وتطفىء ومضات الخير التي تشع من حين إلى آخر.

الفصل الثامن

رجال من عين كارم :ـ

(١) الشيخ عيسى منون[٧٨] :

وُلِدَ الشيخ عيسى أحمد منون في بلدة عين كارم، وهي ضاحية جميلة من ضواحي القدس قاعدة الديار الفلسطينية المقدسة، وهي جنة من جنان الخلد، الأرض جميلة، وادعة عذبة الماء طيبة الهواء، جيدة المناخ تظللها أشجار السرو وتكتنفه مساحات واسعة من شجر الكرم والزيتون ومختلف أشجار الفاكهة يقصدها سراة القوم لقضاء فترة الاصطياف فيها حيث يطيب فيها المقام لجمال موقعها وخضرة مربعها، ونضارة بقعتها وحسن عمارتها وكثرة بساتينها وأنس أهلها وهم عرب عُرِفوا بكرم المحتد وطيبة العنصر، وماجدة الأخلاق ونبل الأعراق.

تتلمذ على يد الشيخ يوسف الحيبة، العكرماوي الذي قرأ عليه مبادىء العلوم من النحو والصرف والفقه والتوحيد والعلوم الشرعية الأخرى، كذلك فقد استوعب بقية برامج الدراسة ـ في المدرسة كالحساب والتاريخ . . . ووجود الخالق.

وعُين بعد ذلك مدرساً في مدرسة البلدة كأستاذ ثان بالنظر لتفوقه وعلو شأنه في الدراسة والمعاملة، عمل سنة واحدة سافر بعدها إلى مصر للالتحاق بجامعة الأزهر، وبالنظر أيضاً لتفوقه في الدراسة وعلو شأنه ودماثة خلقه وحسن تعامله مع الزملاء عُين بعد إنهاء الدراسة استاذاً في الأزهر بعد أن نال الشهادة العالية من مشيخته. وكان ذلك عام ١٣٢٢ هجرية.

وحصل على شهادة الأهلية ـ التأهيلية ـ عام ١٣٣٨هـ، وعلى الشهادة العالية ١٣٣٩هـ -(١٩١٣)م ـ وبدأ التدريس في الجامع الأزهر.

وفي عام ١٩١٨م تم اختياره ليشغل وظيفة (شيخ رواق الشام) بعد وفاة الشيخ الأسبق يحيى الخليلي.

وفي عام ١٩٣٩م أصدر مؤلفه الجامع (نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الأصول).

وقد حصل بعد ذلك على الكسوة الشريفة من الدرجة الأولى من مشيخة الأزهر، كاعتراف به شيخاً بصفة رسمية.

المغفور له وهو يلابس كسوة التشريفة من الدرجة الأولى

وفي عام ١٩٤٤م بعد ان تم انتخابه شيخاً أسندت إليه مشيخة (كلية أصول الدين)، وبعد ذلك أسندت إليه مشيخة كلية الشريعة.

وفي عام ١٩٥٤م أحيل على التقاعد وأقيمت احتفالات كبيرة وكثيرة لوداعه في مختلف الكليات وقد تحدث عنه الكثير، وذكروا علمه وأفضاله وأخلاقه ومن مختلف الهيئات الإسلامية في كل مكان، وكان رحمه الله حازماً وكان متسامحاً ومعلماً، وقام بواجبه تجاه دينه الحنيف خير قيام.

وللأجيال القادمة قدم أجلّ الخدمات.

وقد عُرف عنه بمساعدته الطلاب الفلسطينيين «والشاميين» الذين كانوا يتوجهون إلى الأزهر للدراسة، وكانت له مواقف وآراء في قضايا دينية كبيرة، منها قضية ترجمة وتفسير القرآن الكريم.

وكان رأيه أن ترجمة القرآن الكريم لا يمكن أن تفي بالأغراض المقصودة منها، وأنها لا تستوعب المزايا والخواص والإعجاز في لغته التي لا يرتقي إلى مستواها أي لغة أخرى...

وفي ليلة الأثنين مساء الأحد من جمادى الثانية ١٣٧٦هـ الموافق السادس من كانون الثاني ١٩٥٧ لقي وجه ربه راضياً مرضيا، وكانت وفاته قد أحدثت صدى واسعاً وألماً لدى جميع الأوساط الدينية في البلاد العربية والإسلامية.

وقد رثاه سماحة الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا، والشيخ عبد الحميد الساتح ـ رئيس محكمة الاستئناف الشرعية آنذاك بالقدس ـ كذلك من رئيس محكمة الاستئناف بغزة، ومن رئيس الهيئة الإسلامية فيها.

وبعد هذا كله،

يحق لعين كارم أن تفخر بأن الشيخ عيسى منون هو من ابنائها سيما وأنه ظهر في وقت اختفى فيه الكثيرون، وأن نور الله الذي استنار به الشيخ منون، في وقت اشتدت فيه حلكة الظلام سواداً على سواد...

في بداية القرن الذي سموه «القرن العشرين» عصر النور والحضارة والتكنولوجيا...

(٢) الشيخ إسماعيل الخطيب[٣٩]:ـ

كان الشيخ اسماعيل الخطيب من أبرز الأسماء على الساحة في عين كارم، وألمع النجوم في سمائها، اسم لا ينساه أحد ويعرفه الجميع.

ذلكم هو اسم الشيخ اسماعيل الخطيب، وذلك في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن.

وهذه هي البداية... ففي أوائل العشرينات أُعتقل ونُفي إلى مصر أو ابعاده مع العناصر الوطنية من أجل تمرير مهزلة الوعد المشؤوم.

ولم تكن ساحة عين كارم وسماؤها لتتسع لهذا الاسم، فقد ذاع واتسع وانتشر في سماء فلسطين كلها سيما في منطقة القيادة والحركة، في القدس وما حولها من قرى بني حسن وغيرها.

وكانت تذكر له المواقف باشارات مهمة على أنه كان من الرجال الذين دافعوا عن قضية الوطن ولكن بأسلوبه الخاص المتسم بالعناد والتحدي، وبطريقته التي لم يفهمها الكثيرون، حيث كان يتمتع بشخصية قوية نافذة. سيما وأن شيخنا هو محام وخطيب، رجل دين، لأنه من خريجي الأزهر الشريف وخريج معهد الحقوق من القدس الذي أسسه الحكومة البريطانية بعد الانتداب، ورجل سياسة للمواقف التي كانت لها كثير من الانعكاسات على حياة الشيخ، فتسببت له ببعض النغص في العيش، والمطاردة والملاحقة من فئات لم تفهم تلك المواقف.

شارك في ثورات ٢٩ـ٣٩، حيث كان يُلهب حماس الجماهير بخطبه الرنانة خصوصاً في الأوساط (القروية) والفلاحية حيث كان من (الفلاحين القرويين) الذين استطاعوا أن يكونوا من القياديين المحليين المؤهلين للمشاركة في قيادة البلاد المركزية.

ولكن مشاركته هذه أو محاولة مشاركته لم ترق للبعض لاختلاف وجهات النظر، ولتضارب في الآراء ولاجتهادات خاصة لكل من الطرفين، ولاختلافهما معاً لصالح القضية والوطن.

فقد اختلف مع الحاج أمين الحسيني في أساليب مقاومة الثورة للعدو الغازي جاء ـ أو جيء به ـ من كل مكان في أنحاء المعمورة ليقيم وطنه القومي (الموعود) للشعب (المختار).

وكان الشيخ لا يفرق بين عدو وعدو، فكلاهما عدو آثر، يشتركان في محاربتنا، ويتعاونان

على قتالنا، ويسعيان دائماً لقلضاء علينا، فاليهود والانجليز عنده صنوان.

ولذا لم يكن ليتجو من ملاحقة الانجليز، تارة بالمطاردة العملية، وبتشويه سمعته وتأليب الناس عليه تارة أخرى.

ومما كان يشاغلهم هو كيفية الإيقاع به، عن طريق ابناء قومه أنفسهم، وتأليب الثوار بشتى الوسائل، بما يدبون في قلوبهم من الكراهية والبغضاء، وكان مما زاد الطين بلة، أن استطاع الانجليز بهذه المناورات والمشاغلات أن يدفعوا الحاج أمين الحسيني وبمساعدة جمال الحسيني ـ وهما لا يدريان ـ اتخاذ مواقف سلبية من الشيخ الخطيب وأدت إلى فتور العلاقات بادىء الأمر، وإلى تدهورها فيما بعد، وإلى العداوة في نهاية الأمر.

وكانت الخلافات تتمحور حول الأمور التالية:

١ـ كان الشيخ الخطيب كثيراً ما يوجه خطاباته إلى الجماهير القروية بأن يُعِدّوا أنفسهم ويتأهلوا لأخذ زمام المبادرة لمحاربة العدو، وليتولوا القيادات المحلية في قراهم بالتنسيق والمشاركة مع القيادات المركزية.

٢ـ كانت قيادة الحاج أمين الحسيني تعتمد في عملها الوطني على قاعدة (علوية) من المدنيين (أهل المدن) الذين تفسح لهم القيادة مهام الرياسة والريادة والتنظير، وأما الاتباع الأخرون ومنهم القرويون فمه في الصفوف الخلفية حيث كان ينظر إلى هؤلاء الفلاحين القرويين على أنهم (المنفذون والأدوات التي توجه وإلى أي اتجاه تتحرك. وهم المأمورن دائماً لا الآمرين.

لقد أدت هذه الأوضاع إلى إفساد الجو السياسي على الساحة الفلسطينية آنذاك فدفعت بكل طرف من الأطراف أن يبادر إلى العمل الذي يراه يتفق ومصالحه:ـ

١ـ أوجد الانجليز أرضاً خصبة لتطبيق سياستهم الاستعمارية في المراوغة والمناورة لضرب الحركة الوطنية وإلى توسيع شقة الانقاسامات بين ابناء الشعب الواحد.

٢ـ لقد أدت هذه الأوضاع إلى أن يتجه (القرويون إلى إثبات وجودهم بالتطبيق الميداني أمام القيادات المدنية التي يرى فيها أنها تكرس (للطبقية والاقطاعية) فقام القرويون بتأسيس الهيئات العاملة من الشباب القروي لتأسيس نادٍ خاص بهم، كرد فعل أو كرد اعتبار لهم ـ هو النادي القروي الذي يضم تحت لوائه الأندية العاملة في مختلف قرى القدس، وقد كان هذا التجمع القروي بعض النتائج الحسنة فيما يتعلق بالشباب القروي الذي بدأ

يشارك في المهام الوطنية في عهد الثورات الفلسطينية وظهور بعض (الزياديين) والمنافسين للقيادات المحلية في العمل الوطني. وإلى زيادة هذه المشاركة الفعّالة في حرب النكبة عام ١٩٤٨.

كذلك أدى إلى ظهور بعض المثقفين والمتعلمين من ابناء القرى الذين أثبتوا جدارتهم في العمل الوطني فيما بعد.

٣ـ أما بالنسبة للقيادات المركزية (ومعظمها من المدنيين) فقد أدى إلى ايجاد وخلق بعضاً من ردود الفعل مما يحدث على الساحة الفلسطينية، مما دفع بكل فصيل من هذه القيادات إلى محاولة استقطاب البعض من هؤلاء القرويين فاجتهد كل منهم في كسب أكبر عدد ممكن إلى صفه ولضمهم تحت لوائه!

وقد اشتدت الخلافات على الزعامة بين (العائلات المدنية) نفسها في القدس والمدن الكبرى.

٤ـ أما بالنسبة لليهود فقد كانوا هم الرابحون الاوائل من حالة (الفوضى) هذه التي اكتنفت (مسيرة تلك الخلافات) المتشعبة والمتعددة بين كل الأطراف الوطنية والاستعمارية، وتلك الحالة كانت تثير الضحك والاشمئزاز. . . حتى أنه كانت خلافات حادة بين اليهود والانجليز، وإن كانت كل هذه الخلافات في صالح تثبيت دعائم الباطل اليهودي وتحقيق اسطورة شعب الله المختار ووعد بلفور المشؤوم في تأسيس دولة اسرائيل الوطن القومي اليهودي.

لم يكن الشيخ الخطيب ليقتصر في عمله الوطني على الساحة القروية، بل كان يتجاوزها إلى الساحة المدنية نفسها وإلى مركز القيادة في القدس بين المجلسين الحاج أمين الحسيني وحزب الدفاع بزعامة راغب النشاشيبي، واتصاله بهما كان على مستوى تبادل الآراء والمشاركة الفعّالة وحمل اعباء القضية الوطنية مهما، ولكن النتائج لم تكن مثمرة بالنسبة للقضية الوطنية فلم يكن الانجليز ليسمحوا لأحد من هؤلاء العاملين في الحقل الوطني، لان يجتازوا أية عقبة مهما كانت سهلة وصغيرة، فالأساليب الاستعمارية كثيرة ومتعددة. . . والطرق متعرجة ملتوية ولا سبيل للتخلص من شر هذا الوضع إلاّ بإزالته وخلعه من جذوره.

وكانت الحرب الفلسطينية الاسرائيلية قد خلعت هذا (الوضع) من جذوره وآل الحال إلى ما آلنا إليه. . . وانتهى الأمر.

لم ينج الشيخ من ملاحقة الثوار، ولم ينج من ملاحقة الانجليز ولكل وجهة نظر. . . لان

انعدام الثقة بين هذه الأطراف كان وراء هذا التناقض في العلاقات والمواقف.

ومهما يكن من أمر فإن أُس الخلافات بين الشيخ الخطيب والحاج أمين هو حول (أساليب) مواجهة العدو الواحد (اليهود والانجليز) والطريقة الأنجع في معالجة القضايا والمشاكل الوطنية بالإضافة إلى ما ذكرنا من قضية المدني والفلاح التي أفسدت على الوطن قضيته!

وقد شهد له عبد القادر الحسيني بالشجاعة (وبرأه) ممّا يقال عنه! وذلك في اجتماع عام بالقرية وأمام جمهور كبير من أهلها.

والشيخ الخطيب كما ذكرنا كان محامياً نظامياً وشرعياً وخطيباً مصقعاً وشاعراً متمكناً، وكانت أشعاره تُنشَد في المواسم الوطنية، وفي مواسم النبي موسى، وإنه لمن سوء الحظ ألاّ نحصل على نماذج حية من أشعاره حتى من أولاده وأهله المقربين حيث لم يزودنا أحد حتى بأبيات (معدودة من الشعر) على الرغم من أنني سمعت عن ديوانين مطبوعين ضمن كُتيبات صغيرة معظمها أناشيد وطنية ودينية، وهذان بيتان ليس أكثر[٨١]. . .

صندوقك أيتها الأمة عمل يحتاج إلى الهمّة
الدرهم لليوم الأسود وأنه تحمي ذاك السؤدد

عاش الشيخ الخطيب خمساً وستين سنة، قضاها كفاحاً وجهاداً ودفاعاً عن القضية الوطنية التي لم تجد حلاً بعد، إن حياته حافلة بالنضال والمعاناة والتعب والمشقة، وبالعطاء الزاخر للوطن.

وتوفي عام ١٩٣٩ قُبيل بدء الحرب العالمية الثانية، وقدر له ألاّ يشهد مرارتها وفواجعها وألاّ يعيش آلامها، كما عشناها نحن بعده.

٣ـ الشيخ اسماعيل سمرين :ـ

كان من حملة الشهادة العالية المصرية من الأزهر الشريف، وهي شهادة تعادل شهادة الدكتوراة في الوقت الحاضر. وهو ثاني عالم حصل على هذه الشاهدة من طلبة العلم من بلاد الشام.

عمل مدرساً في رواق الشام بالأزهر، وقد وقّع مع الشيخ عيسى منون شهادة الافتاء للحاج أمين الحسيني قبل توليه منصب الافتاء في القدس.

وعند عودته إلى فلسطين، لم يعرض عليه الحاج أمين الحسيني وظيفة تليق بشهادته مما جعل العلاقة بينهما سيئة.

وأخيراً توسط بينهما الشيخ عيسى منون وأعطى وظيفة رئيس كتاب المحكمة الشرعية في نابلس، ثم قاضياً فيها.

الفصل التاسع

عين كارم في ذاكرة الزمن

(١) الرحالة المسلم ناصر خسرو:-

في مذكرات الرحالة المسلم ناصر خسرو قال أثناء زيارته للقدس: أن فيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف منٍّ (ومنٌّ وحدة وزن في تلك الأيام) زيت الزيتون يحفظها في الآبار والأحواض يصدرونها إلى أطراف العالم.

ويصف الاصطخري الجغرافي المسلم فيقول:

إن فلسطين[٨١] من أخصب بلاد الشام وأكثرها عمراناً على صغر رقعتها، ثم وقف الرحالة عند أشهر مدنها فحدّثنا عمّا شاهده من زروع وأثمار، فالقدس تُعدُّ من أخصب بلدان فلسطين تحيط بها بساتين وكروم ومزارع وأشجار فاكهة وزيتون وتنتشر حولها قرى كثيرة الزروع والأشجار، وقد كثرت فيها زراعة الاترج والموز والجوز والرطب والتين والموز فضلاً عن السماق.

وقد شهد ناصر خسرو أربع قرى متجاورة على بعد فرسخين سميت (الفراديس) لكثرة حدائقها وبساتينها وجمال موقعها، وبسبب كثرة خيراتها رخصت فيها الأسعار سيما وأن معظم مزروعاتها تعتمد في سقيها على مياه الأمطار إلاّ أن أكثر مزروعاتها وفرة ولا شك يستخرج منه الزيت.

وكان ذلك في عام ٤٢٧هـ.

ولا أشك أن ناصر خسروا كان يعني - دون أن يذكر الاسم - عين كارم في تسميته (الفراديس). لأن الشروط التي ذكرها تنطبق على عين كارم كاملة من حيث الجمال ووفرة الزرع... سيما أشجار الزيتون... ومياه الأمطار التي تعتمد القرية في سقيها لمزروعاتها. سيما وأن المسافة (فرسخين) وهي مسافة ليست ببعيدة.

وحتى لو لم يسميها ناصر خسرو بالفردوس - وجمعها الفراديس - لاسميتها الفردوس الأول أو الجنة.

(٢) عين كارم في مذكرات القديس دارفيو أو الفارس دارفيو:-

الفارس درافيو فرنسي الأصل عمل في البلاط الفرنسي الملكي في عهد لويس الرابع عشر كان له حلم يسعى إلى تحقيقه وهو زيارة الأرض المقدسة والمشرق الإسلامي للوقوف على أحوال الأرض المقدسة في عهد المسلمين، وكان في هذا ذاتية سيئة، ولكن هذا الحلم كان مغلفاً بطامع شخصي وهو التجارة مع المشرق الإسلامي والتغلغل في أعماق الأرض الإسلامية ليكتب عن الأرض المقدسة، ولذا سُمي بالقديس دارفيو.

كان اتصاله الأول بالجزائر حيث سافر إليها بحجة محاربة قراصنة البحر من أجل المحافظة على التجارة الفرنسية . . . ولكنه طُرد من الجزائر، إلاّ أنه ظل يحاول المرة بعد المرة إلى ان تمكن أخيراً (بواسطة) الباب العالي للتوجه إلى المشرق عن طريق الاسكندرونة فحلب فالأرض المقدسة وفلسطين وبيت المقدس. وكان ذلك في عام ١٦٦٠م في آذار وبمناسبة عيد الفصح عند النصارى.

وقد بدأ يكتب مذكراته المتعددة والمتشعبة والتي تتناول بالتفصيل وبأدق الجزئيات لرحلاته تلك، ولا أود أن أدخل في تلك التفاصيل لضيق المجال . . . وما يهمني أن أذكره هنا الطريقة التي ذكر بها عين كارم أثناء وصفه لرحلته من بيت لحم وعودته إلى القدس من جهة الغرب وهو يصف مرور الحجاج إلى القدس عن طريق طويل شبه دائري وصفها (بطريق صحراء القديس يوحنا).

يقول (القديس دارفيو)[٨٢]:-

العودة من بيت لحم إلى القدس بطريق صحراء القدس يوحنا.

وقد مر الحجاج من المناطق الآتية: وادي سحريب، نبع القدس فيليب - كرم سورفيك - شعاب جبلية متعرجة - مدرجات زراعية - مغارة القدس يوحنا (أو صحراؤه) - قفرية صغيرة قيل أنها القرية التي وُلدَ فيها القديس يوحنا، فمودان المدية موطن المكابيين فدير الصليب الذي يقم فيه رهبان من اليونان فالقدس.

والاسماء التي وردت هنا هي اسماء افرنجية ربما أخرجها الرحالة من الاطلس الكبير للكتاب المقدس في ذلك الزمان وقد جاء في شروحات كتاب «المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام» فلسطين، ص٢٩٣ على أن «يوحنا المعمدان قد وُلدَ في بيت كارم على بعد كم واحد غربي القدس» ولكن مصطفى مراد الدباغ قال في ص ١٥٧ من كتابه «بلادنا» تقول

التقاليد أن النبي يحيى عليه السلام يوحنا المعمدان وُلدَ في هذه القرية، ولعل كلمة «صحراؤه» تعني «الموقع» أو المنطقة.

وفي إشارة إلى البيئة الطبيعية للأرض المقدسة جاءت عين كارم في البند الرابع من تقسيمات الرحالة الفارس دارفيو دون أن تذكر بالاسم اليهودية[٨٣]، وكلها جبال وأودية غير مزروعة كريهة المنظر وقاحلة، وبصفة خاصة حول القدس والبحر الميت ولا يمكن أن يستثنى من ذلك سوى صحراء القديس يوحنا والضواحي كما رأينا في الوصف الذي ذكرت.

أما البند الأول منطقة الجليل، والثانية السامرة، والثالثة «فلسطين» وكان الناس قديماً يستخدمون كلمة فلسطين ليحددوا في بادىء الأمر المنطقة الساحلية وجمعوها مع كلمة سورية فكانت (سورية - فلسطين) وقد طفت هذه التسمية على التسمية الأصلية وهي «بلاد كنعان»، وكانت تضم في القديم الجليل والسامرية، واليهودية، مؤاب وعمون

GI.vol 8-p 104 (Artpalstine)

وكانت هذه تقسيمات البيئة الطبيعية[٨٤] للأرض المقدس - أيضاً - عند اليونانيين القدماء.

(٣) محمود العابدي. . . وعين كارم:-

في أواخر عام ١٩٧١م وبعد صدور روايتي الثانية الدم والتراب، قمت بزيارة المؤرخ المعروف أديبنا (المرحوم) محمود العابدي لأقدم (هديتي الجديدة تلك) له بصفته الشخصية وبصفته (المستشار الثقافي لأمانة العاصمة).

ولأول وهلة عرفني - ربما من خلال الصفحات الأولى من الرواية بعد أن راح يقلبها بهدوء وبتأمل. فسألني على الفور: هل أنت من عين كارم، فأجبته بايماءة خفيفة، وبابتسامة قصيرة - أنا من عين كارم.

قال العابدي مبتسماً: أنت لا تعرف عين كام أكثر مني.

قلت له: كنت في الثامنة من عمري. . . ولكني استدركت هل توضح لي متى وكيف تعرفت إلى عين كارم.

هز رأسه طويلاً وقال[٨٥]:

كان ذلك في ربيع عام ١٩٢٤ حين طلب استاذ التاريخ والجغرافيا - آنذاك - المرحوم درويش المقدادي من صفنا الأول بدار المعلمين أن نذهب مبكرين في الصباح إلى عين كارم بأقصى ما يمكن من السرعة وطلب عدم التوقف وأن يكون الملتقى وسط البلدة على العين وما

أسرع ما لبينا الطلب مع رفاقي، كيف لا ومعلم الاجتماعيات أحب المعلمين إلينا.

ومضى الاستاذ المرحوم العابدي يصف لنا مشواره إلى عين كارم من دار المعلمين ببلب الساهرة واتجهنا نحو الغرب، وكنا نمر من أراضٍ كثيرة خالية من البناء والأبنية والعمارة تابعنا طريقنا ويشغف حتى وصلنا بعد خمسين دقيقة كنا على «العين» في الموعد مكاناً وزماناً.

وأشد ما كانت دهشتي وفرحتي عندما وطئنا أرضها المليئة (بمستقيات) الماء الكثيرة، غاصة بالناس منهم من يشرب، ويروي ظمأه، ومنهم من يسقي (دوابه) وبعض النساء يغسلن الملابس، وهناك بعض الفلاحين يغسلون الخضار.

وبدا لي وكأن «العين» هي السوق الحقيقة للقرية، وأن الحياة بألوانها مرسومة في «العين المقدسة».

وزاد من إعجاب استاذنا أن تولى شرح أهمية العين وتاريخها، وراح يصف لنا القرية بأسلوب رقيق يبعث على الفرحة في نفوسنا ويثير فينا كوامن الشوق، وأذكر أنه شجعنا في تلك اللحظة على زيارة الأرياف الفلسطينية الجميلة ومنها ريف عين كارم، فجمال ريف عين كارم هو من جمال الطبيعة وهو ليس بحاجة إلى زخرف في القول أو تكلُّف في الحديث لنصف به ريف هذه القرية وريف كل قرية فلسطينية.

وبعد تجوال طويل في القرية في شوارعها وأزقتها استغرق سحابة يومنا ذاك عدنا إلى القدس وما زالت لتلك الرحلة ذكرى خاصة في نفسي حتى لحظتي هذه.

حاولت أن أقاطع استاذنا بالحديث ظناً منه أن سيستأنف حديثه اللطيف، ولكنه هب من مكانه وراح يعرض لي بعض ذكرياته المكنونة عن قرى فلسطين، ليبيّن لي أن عين كارم أجمل قرية زارها في ريف فلسطين.

وعاد الاستاذ العابدي إلى حديثه الأول، ليحدثني عن زيارته التي قام بها عام ١٩٣١ حين كان في مدرسة بيت لحم، وذكر لي أن مفتش المعارف للواء القدس الاستاذ حسين روحي المصري ـ أنذاك ـ ذهب لزيارة عين كارم فقال الاستاذ يصف الرحلة، أنه ركب مع طلاب المدرسة البالغ عددهم المائتي طالب، من الصفوف الابتدائية العليا، في باصات كبيرة وقطعنا الطريق من أقصر طريق عن طريق «مار الياس»، وفي التاسعة صباحاً كنا نقف جميعاً مبهورين عند «العين» المَعْلَمْ المشهور في القرية حيث وجدنا المفتش بانتظارنا، فرحب بنا مع بعض ابناء القرية واتجهنا بعدها إلى دير المسكوب وأرانا المفتش الغرفة التي كان يسكنها أثناء وضعه كتاب

جغرافية فلسطين الذي كان مقرراً للصفوف الابتدائية في مدارس فلسطين وقال أنه اختار هذا المكان من القرية أولاً لهدوئه ثانيا لجماله، الذي قلّ أن يكون لها مثيلاً لا في أوروبا ولا في لبنان.

فهذه الأشجار الباسقة والسفوح المشجرة والوديان المثمرة والخيرات العميمة والشعب الطيب والثروات الحيوانية المنتجة كالألبان واللحوم والخضار والفواكه بأرخص الأسعار تمكن كل مواطن من الحصول عليها، وتباع معظمها في القدس.

هذا نص ما قاله الاستاذ روحي حسين المصري مفتش المعارف في فلسطين ومؤلف كتب الجغرافيا عام ١٩٣١.

وأشد ما كان إعجاب الاستاذ المصري، انظروا إلى هؤلاء النسوة وقد أخذن يعدن حاملين معهن الهدايا والمأكل والحلوى والهدايا حيث كان الأطفال ينتظرون أمهاتهم على مشارف القرية.

لا أستطيع أن أتصور منظراً أجمل من ولد يقبل على أمه يسرع بالتعلق بأذيالها منتظراً ما تتحفه به مما أحضرت من المدينة.

وهذا الفلاح استمر طوال يومه في أعماله، وأهما الفلاحة وأعمال البناء من قلع وتقطيع الحجارة، ودقها ونقشها، وبنائها، وهو يجد امرأته أنمها قامت بقسطها في أعمال الحياة.

لقد اقرأني الاستاذ العابدي بعض ما كُتب عن عين كارم.

هذه قابلية هذا الشعب، وهو يحتاج إليكم أيها المعلمون اليوم ويا أيها الطلاب، وهو ينتظر زيارتكم لقرى فلسطين... ولقرية عين كارم...

وبعد تناول طعام الغذاء في حديقة الدير ونحن نتحدث عن جمال هذا الجزء من بلادنا الغالية.

ومما يذكر أن المرحوم العابدي كان من أشهر المؤرخين المعاصرين الذين أرخوا للقضية وكتبوا عنها وعن المدن الفلسطينية وقد كتب وله كتب عن صفد، وعن الكرك وعن بيت المقدس وله كتب كثيرة في مجالات الأدب المتعددة.

رحم الله استاذنا العابدي الذي ذكرنا حديثه أن قريتنا جميلة.

الملك عبد الله بن الحسين

(٤) عين كارم والملك عبد الله :ـ

إن ما اسمع عن جلالة الملك عبد الله بن الحسين الكثير، وما أقرأ عنه أكثر، ففي كل مرة اسمع وأقرا عن حنكته وبُعد نظره ومواقفه السياسية من قضايا الأمة والوطن، سيما قضية فلسطين.

وأن الكثير مما كان يتحدث عن الملك وكان يفكر به قد تحقق أو بدا وكأنه أقرب إلى المنطق والعقل في هذه الأيام.

وهذا هو دليل على سلامة وصحة ما كان يفكر به الملك وصلابة ما كان عليه من مواقف.

وإن ما اسمع عن اهتمام الملك ومحبته لعين كارم ولأهلها يبعث على الفخر والاعتزاز.

وإنني سأتناول الحادثة التي زرعت في قلب الملك المحبة لعين كارم ودفعت بالمجتمع العكراوي أن يتناقلوها على ألسنتهم جيلاً بعد جيل، وإن لم تكن هذه الحادثة مسجلة (رسمياً) وتحمل الطابع (الشخصي)، ولذا قد يجوز فيها التأويل والتفسير.

وخلاصة ما حدث وحسب ما سمعت من الذين عايشوا تلك الحادثة، أن قضية عشائرية طرفاها عين كارم ممثلة بعائلة (دار العتمة) التي فقدت أحد شبابها غدراً في مكان ما بجبل القلعة، وأما الطرف الآخر عائلة كانت تسكن تلك المنطقة في ذلك الوقت.

وكأي قضية عشائرية في الأردن لا بد وأن تتخذ مسارها الطبيعي من الواسطة إلى (العطوة) إلى الصلح في النهاية... وتنتهي القضية، فتلك أمورٌ تتعقد فترة من الوقت ولكي تجد لها حلاً بعد ذلك.

ورب سائل يسأل... وما شأن الملك عبد الله في هذه القضية؟ من الحديث المتواتر أن الملك عبد الله عن طريق الصحف المحلية وتجمهر عدد كبير من الناس من أهالي عين كارم في منطقة المحطة والقرية من القصور الملكية، فقيل أن الملك سأل عمّا يحدث فأجيب أنها قضية عشائرية، ونقلت له الصورة كاملة!

وصادف ذلك أن أحد (العكراويين) كان على علاقة حسنة وموثقة بالملك وهو المرحوم (إبراهيم سعيد) وكان من موظفي الدولة في أريحا وقبل ذلك كان من موظفي حكومة الانتداب في فلسطين.

ويبدو أن إبراهيم سعيد هذا نقل الصورة إلى الملك (بأسلوب خاص)، فسرّ الملك وأبدى إعجاباً بأهل عين كارم ورغب بالاجتماع إليهم، فدعوا بعض وجهاء القرية للاجتماع إلى جلالته وتم اللقاء في القصر الملكي ـ قصر رغدان ـ.

ومما خرج الوجهاء به إلى الأهل في المحطة والهاشمي والتاج وفي كل مكان :ـ

أن الملك أُعجب بأهل عين كارم وبكرمهم وأخلاقهم وحسن توجيههم، كما أبدى إعجابه

القرية نفسها ويُقال أن الملك زارها في أيام خلت من خلال زياراته لمدينة القدس ولقضاء زيارات رسمية وخاصة.

كذلك خرجوا إلى الأهل، لينقلوا إليهم رغبة الملك في أن يجتمع أهالي عين كارم في مكان واحد جميل، وفي أجمل بقاع الأردن، ما بين السلط وعمّان بالقرب من الفحيص في مكان يدعى (بالحمّر) لتكون بديلاً عن قريتهم الجميلة.

ولكن الأهل رفضوا عطية الملك شاكرين لأنهم لن يرضوا عن عين كارم بديلاً - مع تجريد كلمة (البديل) من كل شائبة لدى الملك ولدى أهل عين كارم!

كان الأهل يأملون بالعودة إلى عين كارم في أقرب وقت وربما بعد بضعة أشهر كما كان يخيل إلى أذهانهم في ذلك الوقت!

ولا زال الأهل يذكرون هذا اللقاء كأنه (حزيرة) لأن العرض كان (ودياً) وليس رسمياً ولم يتخذ إجراء إدارياً بذلك! ولكنه على أية حال.. عرض جميل وأجمل ما فيه هو طرفاه... الملك.. وعين كارم.

رحم الله الملك فقد كان أعلم منّا (بالحقائق) والرجال ورحم الله اولئك النفر من الأهل الذين قضوا... لأنهم نقلوا الصورة الجميلة والوجه الحسن لعين كارم الجميلة ولأهلها الطيبين!

بيرق عين كارم الوجه الثاني

Matters of taste Haim Shapiro

(David Rubinger)

Sauce of pride

Michael's, Ein Kerem Inn, 13 Rehov Hama'ayan, Ein Kerem, Jerusalem. Tel. 02-431840. Kosher. Open nightly except Friday. (All credit cards).

IF YOU think you have problems when relatives come to town, just imagine what I go through. After all, a restaurant critic ought to be able to come up with a place that is beautiful, with lots of atmosphere, fabulous food and amazingly low prices. Shouldn't he?

And if I dare tell them there is no such place, they just laugh and think I'm holding out on them. After all, they have a friend who was in Israel five years ago and ate in a wonderful place. It was either in Afula or Dimona and the owner's name was Yossi.

All this is true when you're talking about people you know well. Then you can tell whether the most important thing for them is a clean toilet, an interesting first course or a gooey dessert, but what about people you barely know?

I was in just such a position last week when I met a cousin whom I had not seen in 40 years, together with his wife, whom I had never met at all. They were charming people, witty and interesting, but I was still not sure whether they would prefer soup with which all my table companions began their meal was not exceptional. The duck soup was tasty, but not as rich as one would have hoped and the lentil soup tasted a bit underdone and lacked a really exciting seasoning.

Items listed for the main course include breast of moulard duck, stuffed chicken breast, steak and sea bass. The duck is the favourite here, but on the night we visited the restaurant, there were only two portions left, so we graciously let the visitors try them.

There was also no sea bass that night, but in its place was poached salmon and I decided to try that. The fish itself, I am sorry to say, had just a hint of fishiness, but the sauce, with dill and capers, was absolutely marvellous and I think really compensated. Alongside were some cold chips and a warm avocado creation, both more decorative than anything else.

My usual companion ordered a steak. Here the meat was good, if not exceptional, but the mustard sauce that came with it was very very good, one of the best we have ever had.

As for the duck, this was a bit of a disappointment. As most of my readers no doubt know, the meat

الفصل العاشر

ملامح جديدة

(١) أهالي عين كارم في ديار الغربة :-

يُعرف عن أهالي عين كارم الكثير من كريم الطباع وجميل الخصال ولين الجانب، وليست هذه المعرفة قائمة على أساس حُسن الظن المبني على المجاملة، ومراعاة الخواطر أو التحيز من قبلي لأبناء بلدي.

بل هو من واقع التجارب التي مررت بها ومر الكثيرون من ابناء البلدة ومن غير ابنائها التي تربطهم بالأهل في عين كارم صلات متميزة، وعلاقات اجتماعية خاصة ذات أبعاد متفاوتة.

إن السمعة الطيبة المكتسبة الأصيلة هي الرصيد الذي حافظ عليه ويحتفظ به بحرص من قبل الجميع.

لذا فإنك قليلاً ما تسمع أن في عين كارم من يتاجر بالمخدرات على سبيل المثال أو أنه لصق بأحد منهم صفة الإجرام، أو أنه قاتل، أو فيهم سارق أو نصاب معروف، وما إلى ذلك من الصفات غير الحميدة التي تؤثر على سمعة الإنسان وتلوثه.

وعلى المستوى الرسمي في الدولة، حيث ليس هناك من هو ملاحق بتهمة الاعتداء على أمن الدولة، أو أن هناك من المناوئين المتشددين.

ولكن لا يمنع من أن يكون هناك بعض الاستثناءات غير المؤذية وهي نادرة وقليلة ولا بد من اختلاف وجهات النظر حتى في السلوك والأخلاق.

وهم في النهاية مواطنون صالحون شرفاء، وأني لا أنزه أهالي عين كارم من كل رذيلة، ولكن المعنى الواضح هنا، هو الشمولية في النظرة العامة.

وشهادات الآخرين فيهم تعزز موقفي هذا، من خلال ما ذكرت من التجارب التي عشناها، وعاشها الكثيرون، وهي حقائق تسجل لهم وما يسجل عليهم إلاّ القليل.

وإن حوادث (الدم) وحوادث السير وهي الأكثر حدوثاً وضرراً، برهنت على أن أهالي عين كارم أناس بسطاء متسامحون، يسقطون حقوقهم هكذا لوجه الله، وبأقل وأبسطها شروطاً، وأهم

هذه الشروط القليلة، هي كرامة الأهل وشخصيتهم، وسمعتهم...

ولقد ظن البعض أن تسامحهم أدى إلى أن يتحكم بهم الخصم عندما يكونون في موقف المعتدي أو المتسبب بالحادث «كحوادث الطرق مثلاً» ولكن هذه المقولة لم تحمل من معاني الصدق شيئاً.

ومن الصور الجميلة لأهالي عين كارم، أنهم متفقون فيما بينهم، متكاتفون ويتسامرون ويتصاهرون.

وإنهم يفضلون أن تتم الزيجات في نطاق أسرهم «أخذاً وعطاءً»، ولكن هناك من خالف هذه القاعدة، فأعطى لغير عين كارم، وأخذ من غيرها، ولكن الرابطة قوية، ولم تؤثر عليها تلك (المخالفات) إذا اعتبرنا أن ذلك من أنواع المخالفات ذات «الدرجة الأولى» ولكنها مخالفات ذات نكهة خاصة.

تجمع ولا تفرق، وتزيد من الأحباب والأصحاب، وتوسع من رقعة عين كارم، محبة وداً واحتراماً وتقديراً.

ومما أود أن أشير إليه الصفات الفردية والاتجاهات الخاصة للكثير منهم، كأفراد فنجد تشكيلة متنوعة من صنوف الرجال، فهناك الكثير من المصلحين، من وجوه الحمائل الأربعة، يشتركون معاً في صنع القرارات العشائرية للقضايا التي يتولونها.

وإلى عهد قريب كانت هذه الوجوه كثيرة، لكن إرادة الله في غياب هذه الوجه عن وجه هذه الدنيا، خففت من أعدادهم ولكن ذكراهم المتأسّين بهم والمقتدين بهم جعلوا من هذا العدد قليلاً وكأنه لم ينقص ولم ينحسر.

إلّا أن الوجوه الأولى، والمخاتير الأوائل، والآباء والأجداد الأولين لن يرقى أحد منا إلى درجاتهم العليا، في الفهم العشائري، وفهم مصلحة البلد... وفي (مبادلة المحبة بالمحبة)، فلسفة العصر قد اختلفت والمفاهيم تغيرت.

ولا بد من الإشارة في معرض الحديث عن الأهل في مكان إقامتهم الدائم في الأردن، الوطن الذي أحبوه وأخلصوا له وعمروه؛ وهم في هذه الحالة ليسوا غرباء وليست هناك غربة بمعنى الغربة!

إن بدأوا في الالتفاف حول بعضهم البعض ضمن «تنظيمات» اجتماعية خاصة بهم...

ولا تنفصل هذه التنظيمات لأبعد من (عين كارم) وطناً وسكناً ومكان إقامة.

فعلى سبيل المثال،

قام نفر من دار (علي) بتأسيس ديوان خاص بهم، على أن يظل هذا الديوان مفتوحاً لأبناء القرية، ليكون عاملاً مساعداً في الجمع تحت لواء المحبة الذي أسس من أجله.

وأصبح الديوان «دار علي» مركزاً للنشاطات الاجتماعية الخاصة، واستقبال الضيوف على الحامولة، وفتح الديوان أيام المآتم الثلاثة، ومكاناً لاجتماعات الحامولة الخاصة، للتداول في شئون الحامولة والقرية ولإصلاح ذات البين.

ومساعدة في نشر النمط الاجتماعي الخاص، مع الرجوع إلى الجمعية التي تضم أهل القرية جميعاً ضمن هذه المفاهيم وغيرها. وهي جمعية عين كارم الخيرية.

وثمة مبادرات من الحارات الأخرى والعائلات الأخرى في القرية، فقد كانت بوادر جديدة تلوح في الأفق تفكيرهم بقريتهم وابناء قريتهم، بأن تكاتفت بعض العائلات في تأسيس روابط مصغرة للعائلات تقوم بالمهام الاجتماعية، وبمساعدة الفقراء وإصلاح ذات البيت، وكذلك تقوم بتوثيق الصلات بينها وبين الجمعية.

ومما يلفت النظر أن هناك شبه تقليد هو الاجتماع الشهري لكل عائلة، والصندوق الذي أسس للعائلات لمنفعة العائلات المشتركة فيه، ولمنفعة أهل القرية، فإذا طُلب من هذه العائلة مبلغاً من المال كواجب في قضية ما، فإن المبلغ المطلوب جاهز وممد حين الطلب.

وقد كانت الاجتماعات الخاصة بالعائلات تتكلل في معظم الأحيان بالنجاح وبالتجاوب من قبل الآخرين.

وظهرت دعوات للتخفيف في المهور، وللتخفيف ـ المادي ـ على العائلات في المواقف التي تتطلب (الأمور المادية)، كالعزائم في الأفراح والأتراح، والاكتفاء بالقليل دون المساس بالواجب الأصلي وبالضروريات الأساسية.

مع ذلك يبقى الواجب واحداً، والانتماء يبقى واحداً، والشعور بالمصلحة والمسؤولية واحدة.

الحزن حزن الجميع، والفرح فرح الجميع، والمشاركة فيما يستجد من أمور شاملة وأكيدة.

(٢) جمعية عين كارم الخيرية :-

نادى بعض المهتمين والنشطاء الخيرين من الرواد الوسيطين الذين عايشوا جيل آبائنا السابقين وجيل الأبناء المتعطشين لذكريات الآباء والأجداد الذين قدر لهم أن يشهدوا سماء وتاريخ الوطن.

تنادوا فأسسوا تجمعاً خيرياً رسمياً مشروعاً وهو جمعية أهالي عين كارم الخيرية لتكون منبراً لكلمة الحق والخير ولتكون جامعة للأهل على التقوى ومصلحة القرية وفي سبيل رعاية مستقبل ابنائها جيلاً بعد جيل.

وأسست الجمعية عام ١٩٦٤، وتحمّل مسؤولية وشرف تأسيسها نفر من خيرة أهل البلد منهم كما وردت اسماؤهم في نظام الجمعية الداخلي:

شاكر الصوباني، إبراهيم علي حزين، إبراهيم محمود التمري، محمد خليل عواد، موسى محمد سمرين، إلياس نواره، إبراهيم جودة، وكان من غاياتها الأعمال الخيرية بممارسة النشاطات الثقافية والرياضية والنشاطات التعليمية.

وتدخل في بند الأعمال الخيرية نشاطات كثيرة متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر، مساعدة طلبة الكليات والجامعة المحتاجين لمواصلة تعليمهم ومساعدة العائلات المحتاجة والفقيرة، والمستورة ونشاطات أخرى مماثلة.

والنشاطات الثقافية كإقامة المواسم الثقافية السنوية وبازارات خيرية وقد قامت مواسم متعددة نجح معظمها، وأقيمت ندوات ومحاضرات ولقاءات دينية وأدبية شارك فيها رجال مختصون وأساتذة أجلاّء ممن لهم السبق في ذلك، وكان منهم أساتذة من عين كارم.

وأصدرت اللجان الثقافية المتعاقبة دليلاً خاصاً بهواتف أهل البلد سنوية وتقاويم زُيّنت بمناظر لقريتنا الجميلة كانت تثير في النفوس مشاعر الشوق والحنين لتراب الوطن.

وبالنسبة للنشاطات الرياضية، فقد بلغت جمعية عين كارم شأواً بعيداً حيث رعت فريقاً رياضياً كروياً قوياً.. وصل إلى الدرجات الممتازة، وقد رفع الفريق الرياضي اسم عين كارم ونشره في كل مكان. وقد استعادت القرية بعض مجدها (الرياضي) حيث أن أول ناد رياضي قد أسس في اوائل الثلاثينات من هذا القرن، كما هو معروف لدى الجميع.

وأما النشاط المهم والأهم هو النشاط التعليمي حيث أسست الجمعية مدرسة جمعية عين كارم الخيرية من الروضة والتمهيدي إلى الصف الابتدائي السادس!

وتعتبر المدرسة من أوائل المدارس دقة في التعليم وإخلاصاً في الأداء، وملكت سمعة طيبة بين مثيلاتها في الأردن.

وتشرف الجمعية عليها من خلال أعضائها المختصين الذين يتولون المسؤولية كأعضاء منفذين.

والذي لم نذكره من أهداف الجمعية، هو الإسهام في حل مشاكل أهل القرية الداخلية، والمشاكل التي يتجاوزه أهل القرية إلى مناطق أخرى.

وتكتسب في كل مرة سمعة طيبة على مستوى البلد ككل، وتشارك الجمعية كإدارة وجوه الحمائل البارعين في حل المشاكل المتعلقة بالقضايا المستجدة والعشائرية الناجمة عن حوادث السير، (والتماس المباشر) وغير المباشر بالناس الذي قد يتسبب بعض منها في مشاكل قد يكون فيها العنف صاحب الجولة والصولة.

بقي أن نشير إلى أن موارد الجمعية المالية تعتمد أول ما تعتمد على دخل المدرسة، وعلى الاشتراكات السنوية للأعضاء، ومن أهل الخير الذين يتبرعون لصندوق الجمعية من حين لآخر، علماً أن صندوق الجمعية في نهاية كل عام مالي يجب ألاّ يكون فيه إلاّ مبلغ صغير جداً، لأن الدخل العام يصرف أولاً بأول على أعمال الخير المشروعة والتي تنظمة لوائح الجمعية ونظامها الداخلي مع التقدير السليم للحسابات الدائنة والمدينة.

وثمة شيء آخر هو أن هناك انتخابات سنوية تجرى لاختيار الأعضاء الذين يعملون كمتطوعين دونما أجر.

وأحياناً يختار الأعضاء بالتزكية، أو بالتراضي فيما بين وجهاء الحمائل الأربعة، حيث يتفق على تعيين عضوين من كل حارة، وعضو من دار الشيخ.

وتمضي المسيرة في طريقها بكل هدوء، وتدار الجمعية على أحسن وجه من الجميع لأن الهدف الأسمى هو عمل الخير ومصلحة البلد.

وفي الجمعية مستوصف طبي وطبي عام وطبيب أسنان لتقديم الخدمات الصحية لأبناء المنطقة.

ومما يذكر أن الجمعية قد نالت جوائز رمزية من وزارة التنمية واتحاد الجمعيات الخيرية لقاء ما تقدمه من خدمات أساسية للمجتمع المحلي.

(٣) المختار في عين كارم . . . اليوم:-

تحدثنا عن المختار في عين كارم قبل الهجرة، وعرفنا الكثير عنه، عن جرأته ونفاذ أمره، وثقابة فكره، وقوة شخصيته،

عرفناه حاكماً إدارياً للقرية، وأباً رحيماً، وراعياً صالحاً، وأميناً على مصالحهم. هذه هي صورة المختار قبل الهجرة، في العشرينات والثلاثينات والأربعينات. . . فمن هو مختار اليوم، في السبعينات والثمانينات والتسعينات.

الفرق شاسع وكبير، كما هو الفارق شاسع وكبير في أنماط الحياة كلها الخالية، وبين الأنماط السائدة اليوم هي التي تحكم طبائع وتصرفات وحركات الناس اليوم.

ليس مختار عين كارم هو الذي تغير، من حيث الشهرة والقوة، والمعاني السامية التي كانت كلمة المختار تحملها أينما حلت وحيثما وقعت.

ليس الأمر بيد المختار وحده، وليس له جريرة فيما حدث لشخصيته وفعاليته، التقدم والحضارة، واتساع آفاق الحياة الممتدة الأرجاء والتي لا نهاية لها، الأرجاء التي استوعبت كل متناقضات الحياة الجديدة المصطنعة لوقود المتكلفة، (والملوثة) وقود عجلة الزمن التي تحترق فتدفع بالعجلة إلى الأمام. وأما صاحب العجلة، فتدفعه إلى الوراء وهو لا يدري، فتفسد عليه نظام حياته، وتنغص عليه أموراً كثيرة وتحول بينه وبين نفسه في بعض الأحيان، وبينه وبين طموحاته وأحلامه في معظم الأحيان!

هذا هو المختار، الذي أثرت على وضعه التعليمات الجديدة التي تصدر كل يوم والتنظيمات الإدارية الجديدة، والمتغيرات (الرسمية) والشعبية فيقع المختار تحت طائلة هذه المتناقضات، فيقف متسمراً في مكانه وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً، إلاّ أن يهز رأسه ويتمتم، رحم الله أيام زمان.

حقاً رحم الله أيام زمان.

المختار اليوم هو شخص محترم، له قدره ومكانته، ولكن لا تعادل شيئاً مما كان عليه في زمن مضى.

وظيفته أن يوقع على استمارات تتعلق بشهادات ميلاد أو وفاة، أو وثيقة شخصية لبعض من يطلب المختار.

كذلك فإن من مهمات المختار اليوم أن يدعى للمشاركة في تقديم عطوة أو في استقبال (الجاهة) من طرف آخر لإعطاء عطوة، أو الاشتراك في ترتيبات الصُلْح بين الأطراف المتخاصمة فردية أو مجموعة (عكرماوية أو غير عكرماوية) وحضوره قد يكون من قبيل تعزيز الجاهة أو إعطاء الجلسة صفة معينة، ولكنه ربما لن يكون أكثر أهمية من غيره.

وعلى الرغم من هذا كله فإن المختار شخصية محترمة، محبوبة إلى حد معقول، وبهذا يختلف عن المختار أيام زمان الأمر الناهي الحاكم الممثل للسلطة والممثل (للشعب).

ولعلني أُشير هنا أن المختار اليوم قد يعين بالتزكية، وبسهولة حيث لم يكن هناك من يتنافس على (المخترة) لأنها عمل متعب وليس فيه فائدة (إسمية) أو عملية رمزية أو مادية.

ولقد حضرت مراسم انتخاب أحد المخاتير فوجدت أن الأمور تسير بسهولة عجيبة، ورأيت كيف يحاول الجميع إقناع هذا أو ذاك بأن يتولى شؤونهم. . . وهو (يتدلل) عليهم، وهم يحايونه (ويرجونه) بأن يقبل المخترة.

«ومعه حق» فإن المخترة لم تعد منصباً فخرياً أو تنفيذياً عند السلطة والناس وهو ليس منصباً رسمياً أو غير رسمي، وليست المخترة مهنة توفر أدنى درجة من الاستقرار المادي لصاحبها وهو لون من ألوان العمل التطوعي المرهق، الشريف!

والخدمة التطوعية لا يقبلها إلاّ أناس مجدون طيبون، والمختار إنسان مجد طيب ومعروف ومحبوب.

ولعلني في نهاية (المخترة) أورد بعض اسماء المخاتير الذين تعاقبوا على خدمة أهل البلدة منذ أيام الهجرة الأولى عام ١٩٤٨م، وهم عبد الله محمد عطية نعواش، محمود جابر في بيت لحم وعمّان، إسماعيل جلال في السلط، حمدان إبراهيم فضة، أحمد خالد (أبو فتحي)، إسماعيل دودو، ولعلني أعرب عن أسفي (ربما) لعدم مراعاة الترتيب الزمني وعدد السنوات التي قاموا فيها على خدمة القرية في الضفة الغربية وعمّان والمدن الأخرى في الأردن.

(٤) عين كارم في المهجر:ـ

إنه لما يسر حقاً أن العائدين من غربتهم في كل مكان لا ينقلون لنا عن سمعة عين كارم إلاّ كل ما يبعث على الفخر والاعتزاز بسلوكيات واخلاق مواقف ابنائها في كل مكان يذهبون إليه لكسب الرزق أو للزيارة وللراحة والاستجمام!

وهناك الكثير من قضوا حياتهم في دول الخليج والسعودية والعراق بعيدين عن الأهل للأسباب نفسها، ولأسباب متعلقة بالعمل بصفة خاصة.

كذلك توجه الكثير منهم إلى امريكا الشمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ممن توجهوا إلى تلك الديار مبكرين (عثمان عميصة) وهو من المغتربين الأوائل والذي يرعى ويسهم في تجمع أهل القرية المتوجهين إلى هناك.

وكانت مجموعات من أهل القرية بدأوا بالسفر إلى الولايات المتحدة وأهم الولايات التي يتجمعون فيها هي ولاية نيوجرسي في مدينة باترسون وفي ولاية لويزيانا.

وقد حدثني (المغترب) محمد صالح نعواش وأحمد خالد وآخرين التقيتهم عن الروابط الوثيقة التي تجمع ابناء القرية هناك الذي يقدر عددهم بـ ٤٠٠ ـ ٥٠٠ شخصاً تبعث على الرضا والمحبة وتخفف بعض الوحشة في البعد عن الديار والأحباب.

ونقل إلى أحمد خالد والذي يقوم بزيارات متابعة إلى مدينة باترسون للإقامة مع أحد أبنائه بعض الوقت أن مجموعة من أهل الخير والدين استطاعوا أن يقيموا ما يشبه (المصلى) ليؤدوا فيه الصلاة، وقد أديت فيه الصلاة في يوم جمعة وكان أكبر تجمع لأهل القرية في يوم واحد في ساعة واحدة من زمن بعيد!

وقد تبرع أهل الخير منهم ببعض أموالهم لإقامة مشاريع خيرية لهم ونقلت بعض تبرعاتهم إلى المحتاجين في عمّان والضفة الغربية.

ومن المغتربين هناك أذكر إبراهيم مصطفى حزين، زكي خليل حزين، ، محمود حزين، محمود صالح نعواش، حسن صالح نعواش وصالح ذيب فرحان وغيرهم.

مسك الختام:ـ

بعد أن انتهيت بحمد الله من انجاز عمل من الأعمال المهمة، والمرهقة والمضنية وهو عمل أدبي، وثائقي، تاريخي، تراثي، وطني ديني، فلسطيني، عربي، وإن كل هذه السمات، التي أراها في هذا العمل لم تأت من فراغ، ولم تخلق في ذهني عبثاً وإنها لرؤية خاصة، آمل أن تكون واعية يقظة، مدركة لما حولها، وما بين أيديها وما خلفها. وإني لمدرك مسؤولية وانعكاسات هذه الرؤية، وأثق كل الثقة بأني على يقين بأن ما جاء في هذه الرؤية ما هو إلاّ حق كما أراه ـ وظاهر ما أرى هو باطنه وحسن النية فيها يواكب صدق العمل.

وإن السنوات التي قضيتها في إعداد هذه الدراسة التي سميتها «عين كارم الحقيقة والحلم» كانت تعلمني يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة أن الوطن غالٍ وعزيز، وأن الذكريات جميلة، وجمالها في شدة مرارتها، وشدة مرارتها في أنها أصبحت حلماً من الأحلام، وأصبحت في الأذهان شيئاً أشبه بالسراب، الذي يعني النفس بالأحلام التي تبدأ من حيث تنتهي، وتنتهي من حيث تبدأ، ولا تلبث أن تتناثر... وتتلاشى سحابات الصيف الصغيرة في الأفق الكبير.

إن الألم والسهر، والجد، والتعب إلى غير ذلك مما واجهت في عمل هذا بدءاً من خلق الفكرة وظهورها إلى حيز التنفيذ والتطبيق، وما تبع ذلك من كتابة وطباعة وتنسيق ومراجعة وتدقيق ومقابلات من أنستُ فيها الخير والحكمة والفائدة، وتشمل أيضاً أثقال بعض هؤلاء بالأسئلة والاستفسارات والاستيضاحات عن الماضي الذي ذهب من حياتنا اليومية، ولكنه لم يذهب من حياتنا الذهنية، ومن معين أفكارنا الذي لا ينضب، ومن روافد لم تنقطع أبداً، لأن أحداً لم يخذلنا في مسعانا، وفي محبتنا لوطننا وأهل هذا الوطن الذين لم يبخلوا علينا بالكلمة الطيبة، والابتسامة الجميلة، وبالرضا عن أعمالنا ومواقفنا وبمنحنا المزيد من محبتهم لنا، وحنوهم علينا، وخوفهم علينا، من غائلة الزمن.

وعلى الرغم من كل ما تقدم، فإنني اعتقد، بل ربما أجزم، أنني لم أقم بعمل كامل مستوف للشروط الأدبية والتوثيقية، لا لشيء، بل لأن العمل الكامل ليس موجوداً وإنما حاولت قدر استطاعتي أن أقدم للقارىء الكريم مقتطفات من عين كارم ومن غيرها، هذا العمل المتواضع، على أنه رمز للمحبة التي أكنه لهم.. ولقريتي الجميلة ولوطني الجريح ولأمتي الماجدة.

ولكني أنفي عن عملي هذا ـ وبشدة ـ أي تأثير لجهة ما ـ أو أي ولاية لأحد عليه وأية مسؤولية لسواي عن كل ما ورد في هذه الدراسة المتواضعة، لأنني سعيت من وراء ذلك أن يكون الكتاب

كتاباً أدبياً وثائقياً، تراثياً ـ قدر الإمكان ـ وأن خصوصية (عين كارم) تعني ازاء ذلك، شمولية للقضية الوطنية في ذهن كل إنسان، يشعر مع الذين فقدوا أوطانهم، وهُجِّروا إلى أماكن متفرقة في هذا العالم، مهما كانت الظروف والأحوال والأسباب والمسببات، والحيثيات التي رافقت هذه الأوضاع لتجعل منه أمراً واقعاً لا يتغير. . . وما الأمر الواقع إلاّ مصطلح لا يقر به إلاّ الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة الذين لا يملكون إلا أن يضربوا كفاً بكف، وينفخون في المجهول، ويثرثرون في اللامعقول، وينفثون أحلامهم وأمانيهم في الهواء (الفاسد) الذي ليس له مدى محدود، فكل الأجواء الفاسدة هي المكان الصالح التي تعيش فيه هذه الأحلام والطموحات.

وكما إني شكرت في بداية ملتقانا اؤلئك الذين ساعدوني ووقفوا معي، اشكر اؤلئك الذين ستكون لهم النية ـ مستقبلاً ـ في مساعدتي والوقوف معي، في تكملة (عين كارم الحقيقة والحلم. . .)، فلا بد وأن تكون هناك بقايا من كلمات، لم يتوصل إليها ذهني وقلمي بعد من منطلق ما قلت قبل قليل، بأن هذا العمل ليس كاملاً فالعمل الكامل لم يخلق بعد، إن المخلوق ـ الإنسان ـ لا يمكن أن يبدع إبداع الخالق الأعلى. . . فالكمال لله وحده. . . وهو بديع السموات والأرض، وهو على كل شيء قدير.

لا بد وأن يكون لنا لقاء آخر وآخر، وحديث طويل طويل، ولكني في المنتهي من حديثي، اسأل الله تعالى أن أكون قد أخلصت النية، وصدقت العمل، وقلت كلمة الحق ولم أخش في الله لومة لائم. . .

والله من وراء القصد،

الهوامش لكتاب عين كارم

(١) حقائق فلسطين للتاريخ والمستقبل ص ٥.
(٢) جهاد شعب فلسطين ص ٢١.
(٣) مأساة بيت المقدس ص ٥.
(٤) حقائق فلسطين للتاريخ والمستقبل ص ٥.
(٥) حقائق فلسطينية للتاريخ والمستقبل ص ٩.
(٦) جمهرة أنساب العرب ص ٣.
(٧) جمهرة أنساب العرب ص ٥.
(٨) سورة النور آية ٥٥.
(٩) سورة الأنعام آية ١٦٢-١٦٣.
(١٠) عالم الفكر/ مراجعة عامة للعدد الخاص عن الاغتراب.
(١١) عالم الفكر/ نفس العدد/ ص ٨٣.
(١٢) عالم الفكر العدد الخاص عن (الاغتراب).
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) حقائق فلسطينية للتاريخ والمستقبل ص ١٣.
(١٥) عالم الفكر العدد الخاص عن الاغتراب.
(١٦) الأيديولوجية الصهيونية ص ٥٩/٦٠.
(١٧) المصدر نفسه ص ١٩٨.
(١٨) احذروا الصهيونية ص ٤.
(١٩) احذروا الصهيونية ص ٢٦.
(٢٠) المنجد في اللغة والأعلام ص٥١٥.
(٢١) بلادنا فلسطين ص ٥٦.
(٢٢) نفس المصدر ص ٢٠٥.
(٢٣) بلادنا فلسطين ص ١٥٧-١٥٩ / الموسوعة الفلسطينية/ التقاليد الموروثة
(٢٤-٢٥) راجع المكانة الدينية لعين كارم.
(٢٦-٢٧) بلادنا فلسطين ص ١٥٧.

(٢٨) تحولات جذرية في فلسطين ص ٢٢٤ .

(٢٩) نفس المصدر ص ٣٠.

(٣٠) بلادنا فلسطين ص ١٥٩ .

(٣١) مجلة عين كارم العدد ٣ .

(٣٢-٣٣) د. يحيى فرحان.

(٣٤) نفس المصدر.

(٣٥) الموسوعة الفلسطينية.

(٣٦) كتاب ناصية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي اطروحة الماستر للطالب محمد أحمد سليم/ الجامعة الأردنية .

(٣٧) village statics 1945 classition of land palwstine Arew own aship in by Sami Hadawi

(٣٨) مجلة عين كارم العدد ٣/ د. يحيى فرحان.

(٣٩) الموسوعة الفلسطينية.

(٤٠) مجلة عين كارم العدد ٣ د. يحيى فرحان.

(٤١) المؤتمر الثالث لبلاد الشام ص٤١ .

(٤٢) عالم الفكر المجلد٧/ العدد١/ ص٢٢-٢٦ .

(٤٣) المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام فلسطين.

(٤٤) بلادنا فلسطين ص١٥٨ .

(٤٥) الموسوعة الفلسطينية ص٥١٠ .

(٤٦) الموسوعة الفلسطينية.

(٤٧) بلادنا فلسطين ص ٣٧ .

(٤٨) نفس المصدر/ نفس الصفحة .

* راجع كتاب نوح إبراهيم .

(٤٩) الرواة.

(٥٠) صحيفة صوت الشعب / ٥ نيسان ١٩٨٧ .

(٥١) الرواة.

(٥٢) صحيفة صوت الشعب عدد ٥ نيسان / عدنان لافي .

(٥٣) المصدر السابق.

(٥٤) بلادنا فلسطين ص١٥٧ .

(٥٥) بلادنا فلسطين ص ١٥٧-١٥٩ .

(٥٦) بلادنا فلسطين ص ١٥٧-١٥٩ .

(٥٧) وقفيات المغاربة د. أحمد العلمي ص ٤-٧.

(٥٨) المصدر نفسه ص ٢٣٧-٢٤٥ .

(٥٩) تحولات جذرية في فلسطين ص ٢٦٦-٢٧٢ .

(٦٠) تحولات جذرية في فلسطين ص ٣٠ .

(٦١) تحولات جذرية في فلسطين ص ٢٦٩ .

(٦٢) تحولات جذرية في فلسطين ص ٢٦٩ .

(٦٣) الرواة: محمد إسماعيل دود.

(٦٤) جهاد شعب فلسطين ص٣٤٧.

(٦٥) جهاد شعب فلسطين ص ٤٠٩ .

(٦٦) الرواة: سعيد إبراهيم .

(٦٧) الرواة: أحمد خالد .

(٦٨) الدستور عدد ١٩٨٧/٤/٩ .

(٦٩) جهاد شعب فلسطين ص ٣٥٨ .

(٧٠) أغانينا الفلسطينية ص ٢٩٥ .

(٧١) أغانينا الفلسطينية ص ٣٠٥ .

(٧٢) المجتمع والتراث في فلسطين.

(٧٣) المجتمع والتراث في فلسطين ص ٢٤٧/ ٢٥١ .

(٧٤) عالم الفكر المجلد ١٧ عدد ١ ص٥٩ .

(٧٥) صحيفة صوت الشعب.

(٧٦) بطولات عربية ص٢٠ .

(٧٧) جهاد شعب فلسطين ص١٤٢ .

(٧٨) تراث فلسطين ص١٣٤ - ١٣٦ .

(٧٩) تراث فلسطين، المصدر السابق ص١٣٤ .

(٨٠) تراث فلسطين ص١١٦ - ١٢٣ .

(٨١) حياة عَلَم من أعلام الإسلام (الشيخ عيسى منون)/ مراجعة عامة .

(٨٢) الرواة: اسحق إسماعيل الخطيب، محمود إسماعيل الخطيب.

(٨٣) الرواة: إسماعيل دودو.

(٨٤) المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام فلسطين ص٤١ .

(٨٥) المصدر السابق ص٢٩٣ .

(٨٦) المصدر السابق ص٣٧٣.

(٨٧) المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام ص ٢٣٢.

(٨٨) مجلة عين كارم العدد٣/ محمود العابدي.

* الرواة: عبد الله حسن جبر.

مصادر البحث

١ ـ بلادنا فلسطين/ الجزء الثامن/ القسم الثاني/ في ديار بيت المقدس/ مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الجليل/ دار الطليعة للطباعة والنشر/ بيروت/ الطبعة الأولى/ ١٩٧٤م.

٢ ـ المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) المجلد الثاني/ جغرافية فلسطين وحضارتها
منشورات جامعة اليرموك/ الجامعة الأردنية/ مطبعة الجمعية العلمية الملكية/ الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٣ ـ جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن/ صالح مسعود أبو بصير/ دار الفتح للطباعة والنشر بيروت/ الطبعة الثالثة ١٩٧٠م.

٤ ـ احذروا الصهيونية/ يوري ايفانوف/ منشورات ابناء نوفوتي/ ١٩٦٩م.

٥ ـ الأيديولوجية الصهيونية/ القسم الأول/ القسم الثاني/ الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري/ عالم المعرفة/ مطبعة الرسالة/ الكويت ١٩٨٣م.

٦ ـ أغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الأردن/ نمر سرحان/ منشورات دائرة الثقافة والفنون/ جمعية عمّال المطابع التعاونية ـ عمّان ١٩٦٨م.

٧ ـ مجلة عين كارم/ العدد ٣/ ١٩٧٤م/ مطبعة التوفيق عمّان.

٨ ـ فلسطين قلب العروبة/ محمد فيصل عبد المنعم/ سلسلة اقرأ العدد ٢٩٥ الهلال/ العدد خاص عن القدس/ ١٩٦٩م.

٩ ـ المجتمع والتراث في فلسطين (قرية البصة)/ يوسف حداد/ مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية/ الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

١٠ ـ الأوقاف الإسلامية بجوار بيت المسجد الأقصى/ عبد اللطيف الطيباوي/ ترجمة عن الانجليزية عزت جرادات/ منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية/ ١٩٨١م.

١١ ـ حقائق فلسطينية للتاريخ والمستقبل /ريما كمال/ منشورات رابطة الكتّاب الأردنيين/ مطابع دار الشعب/ ١٩٨٣م.

١٢ ـ بلفور المؤامرة التاريخية/ عرفات حجازي/ سلسلة التوعية الفلسطينية/ الكتاب الثاني/ الطبعة الأولى ١٩٦٦م.

١٣ ـ ألعاب شعبية للأطفال من التراث الفلسطيني/ إعداد محمد رزق سماره أبو عجمية/ مطبعة طبيلة/ الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

١٤ ـ بطولات عربية/ عيسى الناعوري/ إبراهيم القطان/ منشورات مكتبة الاستقلال/ مطبعة الاستقلال ـ عمّان ١٩٥٨م.

١٥ ـ وقفيات المغاربة/ دكتور أحمد العلمي/ دائرة الأوقاف/ الضفة الغربية/ مطبعة دار الأيتام الإسلامية/ القدس ١٩٨١م.

(١٦ ـ جمهرة أنساب العرب/ لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي/ تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون/ دار المعارف/ مصر/ دار المعارف للطباعة والنشر/ ١٩٦٦م.

١٧ ـ عالم الفكر/ المجلد السابع عشر/ العدد الأول/ ابريل/ مايو/ يونيو/ ١٩٨٦م.

١٨ ـ حياة علم من أعلام الإسلام: الشيخ عيسى منون، تأليف محمد بن عبد الرزاق، محمد عيسى منون ١٩٥٧م / القاهرة.

١٩ ـ تحولات جذرية في فلسطين (١٨٥٩ ـ ١٨٨٢) دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي تأليف: الكزاندر شولش (نقله إلى العربية د. كامل العلسلي، إصدر عن الجامعة الأردنية/ ١٩٨٨م عمّان.

٢٠ ـ تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص مع دراسة مفصلة عن حياته وشخصيته العلمية دكتور كامل العسلي/ سلسلة كتاب صامد ـ ٨ ـ ١٩٨٩م عمّان.

٢١ـ الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني/ دراسة ونصوص/ د. عمر الساريسي المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ١٩٨٩ ـ عمّان.

٢٢ ـ صحف أردنية / الدستور/ صوت الشعب.

٢٣ ـ مجلة عالم الفكر (الكويتية)/ المجلد العاشر/ العدد الأول/ أيار ١٩٧٩م.

٢٤ ـ مأساة بيت المقدس/ محمود العابدي، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ـ عمّان ١٩٦٩م.

٢٥ ـ موسوعة التراث الفلسطيني/ الأزياء الشعبية الفلسطينية/ عبد الرحمن المزين/ منشورات فلسطين المحتلة/ ١٩٨١م.

أشخاص قابلتهم واجتمعت إليهم بقصد إثراء هذه الدراسة
والأسماء مرتبة حسب الحروف الأبجدية،

١ـ المرحوم إبراهيم محمود التعمري.
٢ـ اسحق إسماعيل الخطيب.
٣ـ أحمد خالد إسماعيل (أبو فتحي).
٤ـ إسماعيل محمد دودو.
٥ـ د. إسماعيل عبد الرحمن إسماعيل.
٦ـ بدر إسماعيل سمرين.
٧ـ خليل عبد الله إسماعيل.
٨ـ سعيد إبراهيم.
٩ـ عبد الله حسن جبر.
١٠ـعباس ناصر.
١١ـ محمد يوسف عواد.
١٢ـ محمود إسماعيل الخطيب.
١٣ـ محمود عبد الرحمن إسماعيل.
١٤ـ المرحوم علي محمد عطية نعواش.
١٥ـ المرحومة والدتي.
١٦ـ بعض من النسوة فيما يتعلق بالأغاني الشعبية.
١٧ـ وآخرون. . . .

قام بتمويل الطبعة الأولى زكي علي رحال

فهرس الكتاب

الإهداء ٣
شكر ٥
مدخل ٧
الفصل الأول
إضاءات ١٣
الإضاءة الأولى / الجذور ١٥
الإضاءة الثانية / الأنساب ٢١
الإضاءة الثالثة / الانتماء ٢٦
الإضاءة الرابعة / الاغتراب ٢٩
الاغتراب الديني ٣٠
الاغتراب الذاتي ٣١
الاغتراب الاجتماعي ٣٢
الاغتراب الانتقالي ٣٣
الاغتراب الحضاري ٣٥
الإضاءة الخامسة / الأيديولوجية الصهيونية ٣٧
الإضاءة السادسة / الحنين إلى الوطن ٤٢
الفصل الثاني/ عين كارم ـ الحقيقة
القدس كتنظيم إداري ٥٢
عين كارم / أصل التسمية ٥٤
الموقع ٥٥
المساحة والحدود ٥٧
التضاريس الطبيعية ٥٩
الجبال ٦٢
السهول ٦٤

الوديان ٦٤
العيون والينابيع ٦٥
المناخ والعوامل الجوية ٦٨
الثروة الوطنية / الحيوانية ٦٩
الثروة الزراعية ٧٠
الثروة الصناعية ٧٣
اليد العاملة والحرف التقليدية ٧٤
التجارة ٧٦
التركيبة السكانية الديموغرافية ٧٧
الظروف المعيشية ٨٠
العلاقات الاجتماعية ٨١
الساحات في عين كارم ٨٣
التعليم في عيّن كارم ٨٤
النوادي والنشاطات الشبابية ٨٧
النوادي الرياضية ٨٨
التعبئة الوطنية/ الكشافة ٨٩
النجادة . الفتوة . الجهاد ٩١
جيش الانقاذ ٩٢
المسرح في عين كارم ٩٢
صندوق العجب ٩٦
السينما المتنقلة ٩٦
الراديو والميكرفون (الحاكي) ٩٧
المختار ٩٩
مجلس محلي عين كارم ١٠١
الطفولة في عين كارم ١٠٤
المرأة في عين كارم ١٠٤
المنازل في عين كارم ١٠٧
ظواهر عامة ١٠٩

الفصل الثالث
عين كارم ومكانتها الدينية والتاريخية ١١٣
الكنائس والأديرة ١١٥
النصارى في عين كارم ١١٦
اليهود في عين كارم ١١٧
الفتح الإسلامي للقدس وعين كارم ١١٨
الفصل الرابع
عين كارم ووقفيات المغاربة ١٢٣
الوثائق الوقفية ١٢٨
عين كارم والنزاعات القبلية ١٣٧
الفصل الخامس
عين كارم والثورات الفلسطينية المتلاحقة ١٤٣
الفصل السادس
عين كارم وحرب النكبة ١٥١
قائمة بأسماء الثوار والمجاهدين والشهداء ١٥٧
عين كارم ودير ياسين ١٥٩
الفصل السابع
التراث الشعبي / الفلوكلور ١٦٧
الأزياء الشعبية / للنساء ١٧٠
الأزياء الشعبية / للأطفال ١٧٣
الأزياء الشعبية / للرجال ١٧٣
المشارب والمآكل ١٧٥
الأدوات التقليدية والحرف اليدوية ١٧٦
الأمثال والحكم الشعبية ١٧٩
الحكايات الشعبية ١٨١
الصالحون والأولياء ١٨٧
الطب الشعبي ١٨٨
القاموس الشعبي ١٩٠

الألعاب الشعبية ١٩١
الأغاني الشعبية ١٩٤
نوح إبراهيم في عين كارم ٢٠٨
كتاب أغاني / نوح إبراهيم ٢١٢-٢٢٥
موسم النبي موسى ٢٢٧
أيام الحزن في عين كارم ٢٣٠
الأسعار من وجهة نظر تراثية ٢٣٣
كلمة في التراث الشعبي ٢٣٤
الفصل الثامن
رجال من عين كارم/ الشيخ عيسى منون ٢٣٧
الشيخ إسماعيل الخطيب ٢٤٠
الشيخ إسماعيل سمرين ٢٤٤
الفصل التاسع
عين كارم والرحالة المسلم ناصر خسرو ٢٤٧
عين كارم في مذكرات القديس دارفيو ٢٤٨
المؤرخ محمود العابدي ٢٤٩
عين كارم والملك عبد الله ٢٥٢
عين كارم في الصحف الإسرائيلية (في صور دعائية) ٢٥٦
الفصل العاشر
ملامح جديدة/ أهالي عين كارم في ديار الغربة ٢٥٩
جمعية عين كارم الخيرية ٢٦٣
المختار في عين كارم/ اليوم ٢٦٤
عين كارم في المهجر ٢٦٦
مسك الختام ٢٦٧
الهوامش لكتاب عين كارم ٢٦٩
مصادر البحث ٢٧٣
أشخاص قابلتهم ٢٧٥
الفهرس ٢٧٧

عطية عبد الله عطية

- من مواليد عين كارم عام ١٩٣٩م.
- بدأ دراسته الابتدائية في مدارس عين كارم الخاصة والحكومية، وتابع بعد هجرة عام ١٩٤٨م دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس بيت ساحور وبيت لحم.
- عمل في فندق الأردن انتركونتنتال أربعاً وعشرين سنة في مجال إدارة المشتريات والمستودعات، وشارك في دورات تأهيلية، ونال العديد من الشهادات التقديرية في مجال عمله.

وفي السنوات التي تلت عمل في شركات تجارية في أعمال مماثلة.

- بدأ حياته الأدبية بنظم الشعر عام ١٩٥٥م، وفي أوائل الستينيات تحول إلى كتابة القصة القصيرة والمقالات الأدبية المتنوعة، وقد نُشر له العديد منها في الصحف الأردنية والعربية.

ثم كان التحول الثاني وهذه المرة إلى (عالم الرواية) فصدرت له الروايات التالية: متى تورق الأشجار عام ١٩٧٠م، الدم والتراب عام ١٩٧١م، وجوه لا تراها الشمس عام ١٩٧٣م، المنعطف عام ١٩٨٠م، عود الثقاب عام ١٩٨٣م، نيران لم تنطفىء بعد عام ١٩٨٩م.

ووجه كتابته للأطفال في روايتيه الحقيد الضائع عام ١٩٨٥م، وأريج عام ١٩٨٩م.

وثمة تحول أو توجه آخر وهذه المرة إلى الدراسات والخواطر، فكان له هذا الإصدار (عين كارم/ الحقيقة والحلم) الذي هو بين يدي القارىء الكريم.

الثمن ثلاثة دنانير